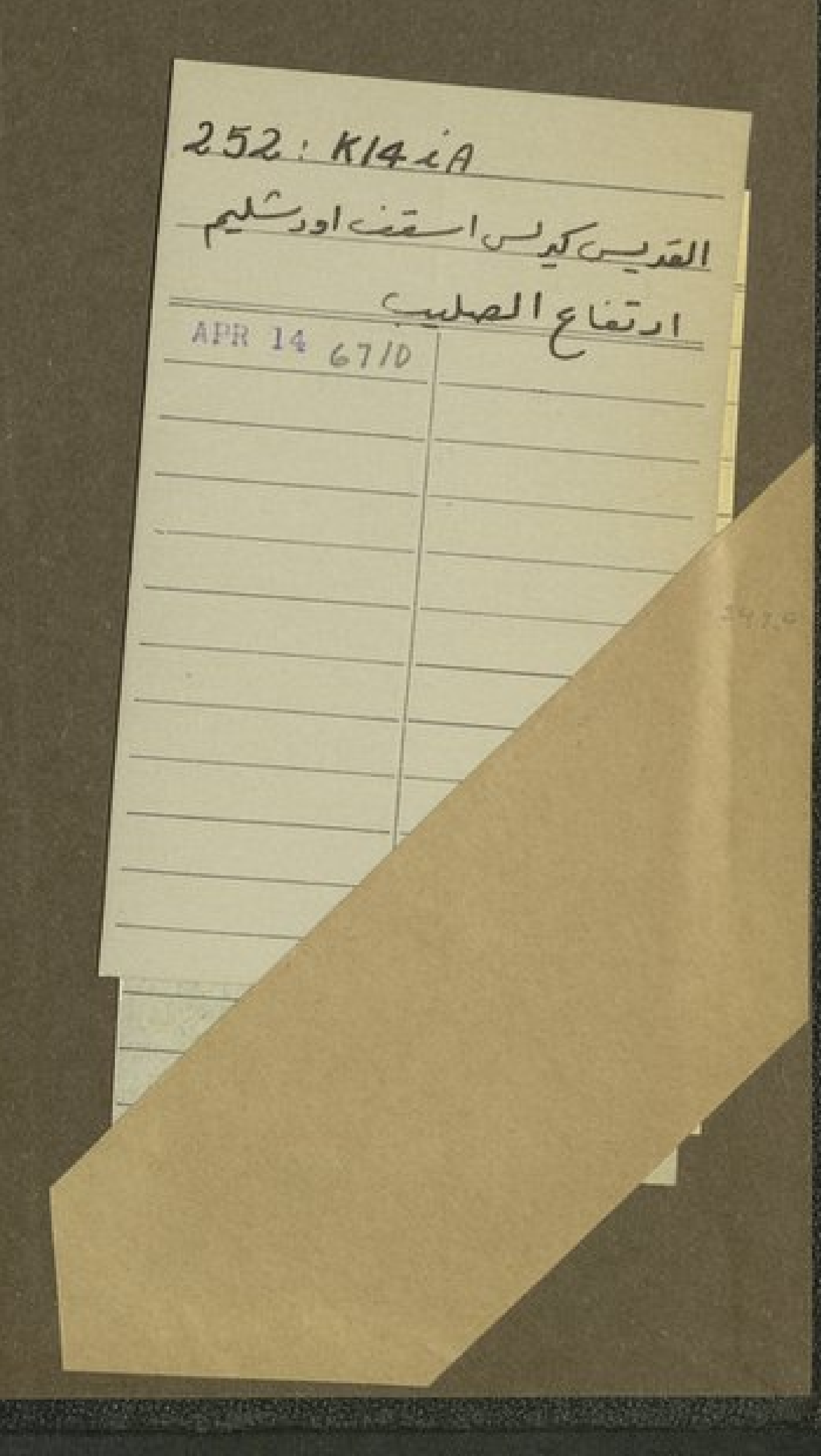
ارتفاع الصليب


252: K14iA
القديس كيرلس اسقف اورشليم
ارتفاع الصليب
APR 14 67/D

المجلة البطريركية السنة التاسعة كانون الثاني — اذار ١٩٣٤

ارتفاع الصليب

ميمر منسوب الى

القديس كيرلس اسقف اورشليم

٣١٣ — ٣٨٧ م

نشره لاول مرّة ، وعلّق عليه

الخوري بولس قرألي

مدير المجلة البطريركية

المطبعة الكاثوليكية . بيروت

١٩٣٤



الى صاحب السيادة

المطران عبدالله خوري

النائب البطريركي الماروني

صاحب الايادي البيضاء على ترقية الدين والعلم والوطن

اقدّم

هذا البحث الديني العلمي الوطني

الخوري بولس قرألي

توطئة

لما كانت هذه التوطئة درساً للميمر قسمناها الى ثلاثة ابحاث :

١ – في نسخه واهميته　　٢ – في الاعتراضات عليه　　٣ – في صحة نسبته

البحث الاول

في نسخه واهميته

نستهلّ هذا البحث بكلمة في تكريم الصليب في الشرق قديماً ، وفي لبنان حالاً . وننتقل منها الى وصف نصّ الميمر في مخطوطتي بكركي وحلب ومقابلتهما . ونختمه بترجمة وجيزة للقديس كيرلس الاورشليمي ، وبيان عام لاهمية الميمر .

١ – ارتفاع الصليب في الشرق

أُتيح للشرق أن يكون مهد الانسان والعمران ، ومهد العلوم والفنون والاديان . وأُتيح لسورية أن تكون دماغه المفكر ، وقلبه الحسّاس ، ولسانه الفصيح . وهي ، ان لم تكن يوماً بالبطش والسيف سيدته ، بل غالباً عبدته ، فقد تسلطت دائماً على عقله بثقافتها وعلى قلبه بعاطفتها ، وبسطت عليه عقائدها وشرائعها .

اصطفاها الرب لأن تكون أرض الميعاد لشعبه وانبيائه ، ومهبطاً لوصاياه واوحيته ، ومسرحاً لآياته ، وهيكلاً لعبادته . واختارها السيد المسيح لان

تكون مهـدًا لطفوليته ، ووطناً لانسانيته ، وحقلاً خصباً لتعاليمه ، ومشهداً لصلبه وقيامته ، ولسانـاً مبشراً برسالته وألوهيته وشرائعه الرفيعة السامية . فنشأ الدين المسيحي فيها ، ومنها تفرَّعت اشعته وتوزَّعت على كل المعمور.

في السنة الثالثة والثلاثين للميلاد ارتفع الصليب على الجلجلة حامـلًا الاله المتجسّد ، باسطاً يديه صليباً علامة الحب والتضحية والغفران . فتبدَّل وجـه الكون الادبي: ارتفع العدل على الظلم ، الحلم والدعة على الغضب والعجرفة ، الطهر والحياء على الخلاعة والعهارة ، التقشف والزهـد على السكر والشره ، القناعة والتجرّد على الطمع والجشع ، المحبة والاحسان على الحقد والانتقام . فتشرفت بالصليب الفضيلة على الرذيلة ، وتساوى العبد والسيد ، والفقير والغني ، والضعيف والقوي.

ثم ثارت الوثنيـة المؤلهة للرذيلة ثائرها على ديانـة الصليب ، وحاولت ان تستردّ مركزها ، فلقيت حتفهـا . كانت الاضطهادات الاولى موجةً هوجاء لطمت النصرانية لطمات عنيفة توالت ثلاثة قرون ، فلم تقوَ على سحقها ، بل صقلتها واخرجتها من هذا المحكّ لؤلؤة ناصعة البياض ، نقيةَ الجوهر ، صلبة المعدن . أما الموجة فانكسرت حدّتها حالمـا ظهر رسم الصليب في الفضاء ثم تلاشت...

في مطلع القرن الرابع ظهر الصليب لقسطنطين الملك نجوماً لامعة في قبة السماء . فاتخذهُ حرزاً وترساً وعلماً ، وتغلّب به على مزاحميه واعدائه ، واصبح امبراطور العالم . فاوقف الاضطهاد الذي أعلنه على النصرانية ديوقليانوس سلفُه ، وأسس الامبراطوريـة المسيحية على ضفتي البوسفور ، مفرق الشرق والغرب . تساقطت الاصنـام ، وتهدمت هياكلها[1] ، وقامت الكنائس والصلبـان على أنقاضها . تحوّل صليب العـار الى علامة الشرف والانتصار ، وارتفع على جباه البشر ومخادعهم وابواب منازلهم وقصورهم ومدنهم ، وزوايا ازقتهم وشوارعهم ،

---

١) في سنة ٣٣١ اقفل هيكلي الزهرة في بعلبك وأفقـا بلبنان . راجـع معجم الاثار المسيحية ، للاب كابرول ، مجلد ٣ : عمود ٢٦٧٠

جلس في صدور قاعاتهم ودواوينهم ومجامعهم ، ولمع على تيجان احبارهم وملوكهم وصولجاناتهم ، مصوغاً بأثمن المعادن ، مرصعاً بأكرم الحجارة وازهاها.

وما طال الامر حتى ظهر عود الصليب المقدس المطمور في ارض الجلجلة ، فاهتزّ العالم لهذا النبأ حبوراً . وشيّد له الامبراطور قسطنطين كاتدرائية عظيمة فخيمة على انقاض هيكل الفشحا.[1] ، واخذت الامم كبارها وصغارها ، ملوكها واعيانها واحبارها تتقاطر للاكتحال برؤيته وتكريمه والتبرّك منه . وجعل قسطنطين يوم تدشين كنيسته عيداً عظيماً في الامبراطورية كلها ، كان يدوم ثمانية أيام ، وينتهي بحفلة ارتفاعه « هبسوزيس » (*Hypsosis*) . كان يعتلي الاسقف مكاناً مرتفعاً ويرفع الصليب بيديه على رؤوس الجماهير ، ويبارك به اربعة اقطار المسكونة ، فيصرخ الشعب بحماس : كيرياليسون !

وطالبت سورية الشمالية بحصتها من هذا العود الثمين ، فقُسم الى ثلاثة اقسام : قسم بقي محفوظاً في كنيسة القيامة بالقدس ضمن ذخيرة كبيرة من فضة ، وآخر أرسل الى القسطنطينية ، والثالث أودع مدينة حماة . وكانت حفلة ارتفاع الصليب تُقام في اليوم نفسه في هذه العواصم الثلاث ، فتعم بهجتها ونعمها جميع مسيحيي الشرق.

وفي سنة ٥٧٤ ، على أثر غزوات الفرس لسورية ، حُملت ذخيرة حماة الى القسطنطينية . وفي سنة ٦٢٨ استخلص الملك هرقل ذخيرة اورشليم من ايدي الفرس الغزاة وأتى بها في سنة ٦٣٣ الى القسطنطينية . فاحتكرت عاصمة الامبراطورية الرومانية ذخائر العود المقدس . بيد انها ضاعفت الحفاوة بعيد ارتفاعه بكل ما أوتيت من عظمة وثروة وفخفخة . وكانت النصرانية باسرها تشاركها في هذه الحفاوة بالصلوات والمظاهرات والزينات ؛ فيتحول ظلام ليلة العيد الى مصابيح زاهرة ونيران باهرة ، وسكونه الى اكبر مظاهر الحماسة الدينية وأفخمها.

---

١) كان للزهرة معبد بُني على تلّ من تراب رُدم به القبر . راجع معجم كابرول مجلد ٣ : عمود ٣١٣٥

٢ — ارتفاع الصليب في لبنان

ما كاد عود الصليب المقدس يخرج من يد سورية حتى داهمها خطبٌ جلل لم يقم فيها للنصرانية بعده قائم . كانت العلة قد استحكمت من جسمها ، وكنت تنخر في عظامها . فشت فيها بدع الاريوسية ، فالنسطورية ، فاليعقوبية ، وتمكنت منها ففككت اوصالها . وفي القرن السادس توالت عليها غزوات الفرس ، فاجهزوا على قواها : نهبوا واخربوا واحرقوا وذبحوا . انما ذهبوا كموجة هوجاء تهجم وتلطم ، ثم تنحسر .

وفي اوائل القرن السابع تجمّع في الصحراء سيلُ العرب العرمرم وطغا على سورية المسيحية فأغرقها ، واجتازها الى وادي النيل ، فالمغرب ، فاسبانية ، فايطالية . تداعت معابدها الواحد تلو الآخر ، وسقطت او تحولت الى جوامع . انكسرت نواقيسها ، وعلت المآذن كاتدرائياتها ، واحتل الهلالُ مواقع صلبانها . طُمرت اسفارها ، وامحت رويداً آثارها الدينية والعلمية والفنية والادبية ، وخيّم الدمار والجهل والذلّ على أمجادها . نزل صليب الخلاص والنصر والشرف عن مبانيها ومداخل مدنها ودواوينها ، وعادت شارتُه عاراً وذلّاً لراسميها ، وعلامتُه خطراً على حامليها .

تضعضع مسيحيّو سورية أمّ الكنائس ومعلمتها الاولى[1] . استسلموا للغازي صاغرين ، او انضموا اليه جاحدين ؛ ما عدا فئة قليلة عزّ عليها الخنوع والجحود ، فتركت المدن العامرة والسهول الخصبة لتعتصم بجبال لبنان الوعرة القاحلة ، حيث انشأت دولة مسيحية مستقلة متضامنة تحت ألوية رؤسائها ومقدّميها . وفي هذا الحصن المنيع دافعت ثلاثة عشر قرناً طوالًا عن حريتها المدنيّة والدينية وتقاليدها العزيزة ، راضيةً بالفقر والجهاد عن الذلّ والالحاد .

حاول الطغيان عبثاً ، طيلة هذه القرون العديدة ، أن يغرق الجبل الاشم .

---

١) نعني هنا ان الديانة المسيحية قد انتشرت منها . ففي رسالة وجهها الاساقفة الخارجون من مجمع القسطنطينية الاول سنة ٣٨١ الى البابا داماسوس ، او الدمشقي ، لقبوا كنيسة اورشليم بام الكنائس ، كما سيأتي الكلام في ترجمة القديس كيرلس .

هاجم مرارًا سواحله ، وطوّق جوانبه ، وتسلّق احياناً بعض مرتفعاته ، انما لم يثبت له فيها قدم ، فانحدر . كموج البحر اذا هاجم طودًا منيعاً ضرب شواطئه وحاصرها مزبدًا مرعباً ، انما لا يسعه بلوغ قمته ، وان بلغها لا يسعه الاستقرار فيها ، فينحسر عنها. كان لبنان هذا الطود منذ القرن السابع ، وما زال باذن الله حاميه !

اصبح لبنان حصن النصرانية بعد سقوط سورية في ايدي العرب ، وحصن الكثلكة وملجأها الوحيد في الشرق بعد سقوط القسطنطينية الاول في هوّة الشقاق وسقوطها الثاني في ايدي الاتراك

ولم يعد يُسمع صوتُ الرب جلياً في الشرق ، الا خلال ارز لبنان الباسق. ولم يبقَ اصليبه ملكاً في الشرق ، الا في هذا الجبل المقدس. . .

اينا جلت فيه واجلت النظر وجدت الصليب مرتفعاً على قممه وسفوحه وابنيته . فوق كل هضبة سائدة على جوارها ، كما يسود لبنان على جواره ، ترى له معبداً احتلّ قمتها بارتياح وطان وثبات جنان . حجارة بيضاء ، قطعها عماله من صخورهم الجميلة ، ونحتها صناعه وزخرفوها بمهارة وعبادة. قبة ظريفة مستديرة ام مسلّة رشيقة ، راكزة على اعمدة رخامية أنيقة ، ويتدلى داخل قفصها ، كالاجاصة بين اغصانها ، جرسٌ سبكته أيدٍ لبنانية ، اذا ترنّح سمعت له رنات ما اعذبها في الآذان وأوقعها في القلوب. هي نداء ، ودعاء ، وغناء . هي نغمة سرور وعبادة وحماس وشجون تهبط على فؤادك من تلك القبة الهيفاء وتحرّك فيه اصلب الاوتار . ثم تنسكب موجاتُها بركاتٍ وتعزيات على اسطحة القرية ومنعطفاتها ، على اغراسها وحافاتها . واذا بالقوم ينسلون من اكواخهم وبيوتهم ، من ازقتهم وحقولهم ، تاركين اشغالهم واطفالهم تلبيةً لدعوته المحبوبة . وقد ألفوا سماعها واستعذبوا لقاءها منذ طفوليتهم . فنغماتها تهيج في صدورهم اكبر ذكريات وتعزيات حياتهم الساذجة الهادئة ، واحلاها وابقاها.

وما هي هنيهة حتى تسمع المزامير المؤثرة والالحان الشجية ، المذكّرة بعصور النصرانية القديمة المجيدة ، تختلج في صحن المعبد فترتج لها جدرانه خشوعاً . ثم تتدفق من فتحاته وتصعد على اجنحتها الروحية في الجوّ الصافي نحو قبة السماء

الاطلسية ، حيث تمثّل ساجدةً أمام العزة الالهية ، مسترحمةً مسترضيةً عن هذا القطيع الصغير الباسل[1] : « احمهِ يا رب من حكامه الظالمين واعدائهِ الروحيين ، من المبتدعين والمنشقين ، من الاباحيين والملحدين والمفسدين ، الذين يهاجمونه ، كالذئاب الكاسرة ، من كل جانب بلا شفقة ولا كلل !... »

وقد صانه الرب وبصونه: صان شعوره الديني وحريته المدنية وآدابه القويمة. وان شئتَ ان تعرف السرَّ في هذه الرعاية الخاصة ، فارفع نظرك الى الصليب اللامع على تلك القبـة بين السماء والارض . هو الوسيط والحامي والمقوّي . هو الشاري الذي يدرأ عنه صواعق الضربات الادبية والزمنية ، ويستجلب لـه غيوث البركات والمعونات الالهية .

وقد ارتاح الصليب ، بعد ان سقط في الشرق عن الكاتدرائيات والقصور وشوارع العواصم ، ان يملك هنا وحده على هذا الشعب المختار : على قلبـه المستقيم وعاطفتـه الخالصة ، على عقيدته الراسخة واخلاقه الرضية . على روابي جبله الشماء ، واعاليه الناصعـة بالثلوج ، وربوعه الفتانة ، وجوّه النقي الزاهي الالوان . تراه هنا يُرسم باحترام وحبّ على جبين الصغير والكبير ، ويرتفع على كل منزل انيق ام حقير ، منحوتاً في الصخر او مصبوباً بالنحاس على منزل الوجيه ، او مرسوماً بالكلس الابيض على باب الوضيع وقبو مواشيه . هو يترأس هنا ، كما في عصر امجاده ، كل اجتماع ، ويتصدر كل قاعـة ، يحرس كل مخدع ومهد ، يتدلّى من اعناق الاطفال ، ويلمع على صدور الفتيات .

هو يحبُّ اللبنانيين ويعزّزهم لانهم يحبّونه ويعزّزونه . وقد حافظوا وحدهم طيلة ستة عشر قرناً على حفلة ارتفاعه القديمة . يحتفون بها بكل ما أوتوا من حماس وما تملك ايديهم من ثروة . في ليلة الرابع عشر من ايلول المعيّن لعيده يحوّلون جبلهم ، من اقصاه الى اقصاه ، الى زينة عظيمة من الانوار والنيران . تقدّم لاكرامـه تربتهم هشيمهـا ، وأشجارهم اعوادها ، وغاباتهم احطابهـا ،

---

١) عن الفرض الماروني : خاتمة الساعة السادسة من يوم الاربعاء : [illegible]



الرسم ١ – عجلة السنين الواردة في الصفحتين ٢٥٤ و٢٥٥ من مخطوطة بكركي

ومنازلهم شرفاتها ، وكنائسهم اسطحتها ، وتلولهم اكتافها ، وسفوحهم نتوءاتها ، وكهوفهم واوديتهم بطونها العميقة لترديد اصوات الزغاريد والاناشيد والتراويد ، واصوات الزمور والطبول والاجراس والبارود .

وعلى اضواء المشاعل والنيران تشاهد الشعب كله مجتمعاً لهـذه التظاهرة القوميـة : احباره وكباره ، نساؤه ورجالـه وصغاره ، وقد اشتدّ سرورهم وحماستهم ، وعلا هُتافهم ، والشبان يدبكون ويقفزون فوق النيران المتأججة ، غير مبالين بلهيبها المتعالي ، صارخين بملء صدورهم :

محبةً لدين المسيح ! كيرياليسون !

والجماهير تردّد بهتاف يشقّ كبد السماء ، كما في اورشليم وحماة في عصور مجد النصرانية :

كيرياليسون !!!

وقـد هزّت اصوات تمجيد الصليب الفضاء الواسع الحالـك ، ورجرجت احشاء الكهوف والاودية ، وتدفّقت كالشلالات الزاخرة على المـدن والسهول والبحور المنبسطة تحت اقـدام الجبل الجبّـار ، فتهيّبت . وانعكست انوار الصليب على تجاعيد وجه اليمّ العظيم القاتم ، فاضطرب وازبد وأرغى . ولمعت شزراً شفرات امواجه المتكسرة على صخور لبنان المسيحي . . .

* * *

كيرياليسون !

صدى الهتاف العظيم ، الذي كان يتصاعد منذ ستة عشر قرناً من صدور الجماهير الغفيرة المحتشدة في اورشليم ، وحماة ، والقسطنطينية ، لمشاهدة ارتفاع الصليب ، يحييه الان الشعبُ اللبناني المسيحي الصغير بعدده ، الكبير بأمانتـه وشجاعته وتقاليده .

كيرياليسون !

صدى مئات الآلاف من النواقيس التي كانت تقرع فرحاً في مساء هـذا العيد في كل انحاء الشرق ، وقد خنقت اصواتها في سورية منذ ثلاثة عشر قرناً ، تردّده الآن أجراسُ لبنان من داخل اقفاصها الرخامية ، واصوات اللبنانيين من

داخل اقفاص صدورهم.

محبةً لدين المسيح ! كيرياليسون !

صدى بعيد من نـداء مقدّمي لبنان المسيحيين حـين كانوا ينقضون على الاعداء كالبواشق الكواسر ليردّوهم عن جبلهم العزيز ويصونوا حريتهم الدينية والمدنية ، يردّده الان احفادهم في ليلة هذا العيد ، معلنين استعدادهم لبـذل المهج في سبيل استقلالهم الروحي والزمني.

كيرياليسون !

شعلةٌ من آلاف الحرائق التي كانت تستعر في مثل هذه الليلة في انحاء الامبراطورية البيزنطيـة ، وقد انطفأت منذ سقوطها في اواسط القرن الخامس عشر ، يذكّي الآن جمرتها ويضرم اوارها هؤلاء الجبليون المستقيمو الرأي ، على قمم طورهم المقدس ، في عيد تجلي الصليب الكريم.

كيرياليسون !

صدى خطاب بديع بليغ تاريخي حماسي ألقاه ، في اواخر القرن الرابـع ، بجانب القبر المقدس ، القديس كيرلّس اسقف اورشليم ، احد كبار الملافنـة والقديسين السوريين ، على الجماهير الوافـدة من كل حدب وصوب لمشاهـدة حفلات الصليب ؛ نسمعه الان بعد ستة عشر قرناً خارجاً من بطن مخطوطـة قديمة العهد احتفظ بها بطاركة الشعب الماروني ، ومن طيـات كتاب صلوات بيعية حافظ عليه أساقفتنا في حلب . وقد أتيح لكاهن ماروني حلبي أن يبلّغ الى العالم المسيحي أقواله ، مفسراً الغامض من معانيها ، مرمماً الداثر من آياتها ، محبةً لدين المسيح ! كيرياليسون !

٣ – مخطوطة بكركي

وجدنا لهذا الميمر نصّين باللغة العربية مأخوذين عن مصدر واحد : الاول في خزانة بكركي الخطية ، والثاني بين مخطوطات مكتبة الكرسي الاسقفي الماروني بحلب .

وفي المتحف القبطي بالقاهرة ميمران بالعربيـة على ظهور الصليب المقدس منسوبان الى القديس كيرلس الاورشليمي : الاول حديث العبارة مسجع يختلف عن نصّينا بشكله ، انما يظهر ان بعض تفاصيله مستقاة من نص ميمرنا الاصلي . وسنقول فيه كلمة . اما الثاني فيحوم موضوعه حول استخلاص الملك هرقل لذخيرة عود الصليب من الفرس سنة ٦٢٩م ، اي بعد القديس كيرلس بثلاثة قرون ، فلا داعٍ للاهتمام بامره . وله نسخة محفوظة في متحف مونيخ بالمانيـة تحت رقم ٢٤٢ . ولنحصر الآن كلامنـا في نصّي بكركي وحلب .

أذعنا بشرى اكتشاف هـذا الميمر في صدر الجزء العاشر من مجلتنا البطريركية لسنتها الخامسة (١٩٣٠) ، في مقدمتنا على رسالة زرع يعقوب ملك الحبشة الى محمد جقمق سلطان مصر وسورية سنة ١٤٤٧م . ونشرنا بهذه المناسبة بياناً بموضوعات المخطوطة التي أثبتته . واليك خلاصة ما قلناه فيها :[١]

« بين مخطوطات خزانة الكرسي البطريركي الماروني في بكركي كتاب كرشوني الخط ، قديم العهد ، قطع من العمر ٣٧٣ سنة . خشبي الجلد ثقيله ، سميك الورق صقيله ، أسود الحبر لامعـه ، ما عدا العناوين فبالحبر الاحمر ، تعلوها رفارف مزخرفة بشتى الالوان . وقد رُقمت كراريسه بالاحرف الاسطرنجلية ، ودُلَّ على آخر الجملة بنقطة حمراء ، وعلى نهاية المعنى باربع نقع من اللون ذاته محيطة بنقطة سوداء . أعدّه صاحبهُ للخلود . فجهّزه بورق متين وجلد ثخين ، غير حاسب للعثة حساباً . فقد عاثت في اوراقـه بلا رادع ، وعششت فيـها

---

١) المجلة البطريركية ٥ : ٦٤٩

بطمأنينة ، وخاطت بعضها ببعض لاهية ، فذهبت بقسم من حروفه وأرقامه . ولم ينثنِ عزمها امام صلابة دفتيه الخشبيتين ، المكسوّتين بجلد من بقر ، بل هاجمتهما وخرقتهما . وكادت تطوي السفر النفيس في خبر كان ، لو لم ننجده عليها في خريف سنة ١٩٢٢ ، حين كلّفنا غبطة بطريركنا المبجل مار الياس بطرس الحويك تنظيم مخطوطات هذه الخزانة . فعينا له رقم ١٥ في القائمة التي وضعناها عندئذٍ . وفي سنة ١٩٢٩ ، لما نقلنا مجلتنا الى لبنان استفقدناه فألفيناه بحالة غير مرضية ؛ اذ أعادت عدوّة المخطوطات عليه الكرّة . فأنقذنا كنوزه من براثينها نهائياً بنشر اثمنها ، حتى اذا تغلّبت عليه للمرة الثالثة ، وهي لا شك فاعلة لرطوبة المكان ، لم تفز منه الا بما تدنّت قيمته .

« واول مـا وجهنا اليه العناية ، بعد نفض غباره وانقـاذه من الجراثيم الآكلة فيه ، وضع الارقام على صفحاته ، فبلغت ٤٩٤ قياس الواحدة ١٨×١٣ سنتمترا . وبين الصفحة ٩٤ والتي تليهـا سبع ورقات مسلوخـة ، تضمنت موضوعاً او اكثر قائماً بنفسه ، لان الموضوعين السابق واللاحق كاملان .

اما اسم الناسخ فوارد فيـه مرتين . في الصفحة ٣٥٢ رسم متقن لعجلة السنين[1] مع ايضاحات بالسريانية لمعرفة عيد الفصح على الحساب اليولياني[2] ابتداء من سنة ١٨٦٩ يونانية الموافقـة لسنة ١٥٥٨ مسيحية . وقـد علّق الناسخ في الصفحات ٣٥٥–٣٥٨ شرحاً على اختلاف هذا الحساب والحساب الشرقي تحت العنوان الآتي :

« بيان الغلطة من اين صارت بين النصارى [كتب] ذلك وبيّنه الحقير في الكهنة يوحنا طانيه . . وهذه العجلة موقّعة على حساب الكرسي الرسولي كرسي رومية . . . وهو يقيم اليوم الزايـد من كل سنة في حسابه ويجعل الفصح بخمسة في نيسان . ويتبعـه في ذلك الملكية

---

١) انظر الرسم ١

٢) نسبة الى الامبراطور الروماني يوليوس قيصر الذي استقدم من الاسكندرية العالم الفلكي سوسيجنيس في سنة ٤٦ ق . م . فجعل السنة الشمسية ٣٦٥ يوماً وست ساعات . فزادت السنة ١١ دقيقة و ١٠ ثوان . وقد اصلح غريغوريوس ١٣ هذا الخطأ سنة ١٥٨٢ فعُرف حسابه بالغريغوري . وهو الذي يتمشى عليه العالم اليوم . (راجع مجلة المشرق ك ٢ الاخير صفحة ٤٨و٤٩)

وسبطُنا وجميع معاملات الغرب . واما النساطرة واليعاقبة فانهم يسقطوا ذلك اليوم الزايد في حسابهم ويعملون الفصح في ستة من نيسان »

وفي آخر الشرح صفحة ٣٥٧ يقول :

« هلمّوا على الخاطي الحقير في الكهنة يوحنا ابن الخوري ايوب الذي اجتهد وبيّن ذلك بمعونة روح القدس . وهذا كتبناه لطائفي الكرسي الرسولي . . . »

ومن هذا نستدلّ ان الكاتب كاهن ماروني يُدعى يوحنا ابن الخوري أيوب . ولعله القس يوحنا ايوب الحصروني الذي اوفده البطريرك سركيس الرزي الى رومية سنة ١٥٨٢[1] . انما قد نسخ كتابه قبل هذه السنة التي ظهر فيها الحساب الغريغوري . ولما كان التقويم يبدأ بسنة ١٥٥٨م فالمرجح ان الكتاب نسخ سنة ١٥٥٧ او على الاكثر قبيل فصح سنة ١٥٥٨ المذكورة . ولولا ذلك لما بدأ تقويمه بتلك السنة لمعرفة ميعاد فصحها .

اما المصدر الاصلي الذي نقل عنه ناسخ المخطوطة ، او من سبقه ، فيغلب على الظن انه مجموعة لاحد السريان اليعاقبة القاطنين في القطر المصري ، حيث كان لهم شان يُذكر . كما بيّنه حضرة الخوراسقف اسحق ارملة في مقالة كتبها لمجلتنا السورية[2] .

ويُستدلّ على جنسية الجامع السريانية ومذهبه اليعقوبي من كثرة الموضوعات المأخوذة عن آباء السريان واحبارهم[3] ، كيعقوب السروجي ، ومار اسحق السرياني ، والبطريرك يوحنا ابن المعدني ، وموسى بن حجر الموصلي . وهو يلقب هذين الاخيرين بالقديسين ويطلب صلواتها ، وهما يعقوبيان . ولا يبعد ان يكون موضوع الاوراق السبع المسلوخة قد حوى ما يشتم منه رائحة هذه البدعة فنزعها الناسخ او صاحب الكتاب .

والدليل على ان جامع المخطوطة كان نازلاً وادي النيل نجده في ايراده

---

١) راجع تاريخ الموارنة للدبس صفحة ٢٩٧

٢) ١ : ٥١٩ و٣ : ٧ ، راجع ايضاً مقالته الاكثر اسهاباً في مجلة المشرق ٢٣ : ٢٨٣ و٢٨٤ و٤٢٦ و٥٧٤ و٧٤١ ، وقد طبع نبذته هذه على حدة في المطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٩٢٥

٣) راجع يافا في مجلتنا البطريركية ٥ : ٦٥٢ - ٦٥٥

اسماء الاشهر القبطيـة. واذا وردت باسم آخر قابله بالشهر القبطي. ففي صفحة ٢٤١ يقول عن اليهود انهم باشروا « ازالة الروم عن قبر السيد المسيح في الثاني عشر من شهر مارديوس الذي هو برمهات (اذار) ومـا زالوا يعملون فيه الى الثالث عشر من شهر توت (ايلول) » وقد جاء في عنوان قصة القديس بهنام ، الذي له مكانة كبيرة في كلندار السريان ، انه « اكمل جهاده في العاشر من كانون الاول سنة ٦٣٣ لاسكندر وهو الرابع عشر من كيهك » . ولعل اهتمام الجامع باثبات رسالة ملك الحبشة المذكورة اعلاه الى سلطان مصر ليرفق بالمسيحيين من رعاياه ويرفع عنهم الجور في معاملات الوراثة وغيرها دليـل آخر على ان المجموعة وُضعت في القطر المصري.

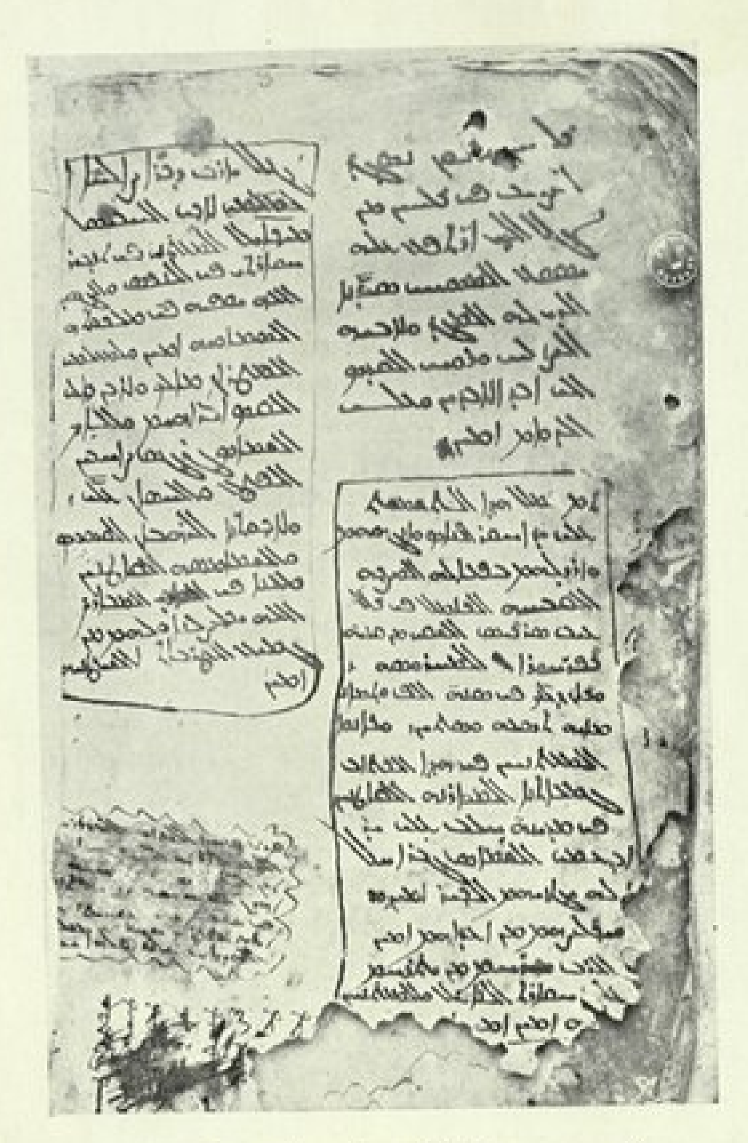
ومواضيع المجموعة كلها مكتوبـة بالحرف الكرشوني ، ما عدا رسالة ملك الحبشة فبالعربية، وتعزية للموتى، وميمر للجمعة الكبيرة كتبا بالسريانية. اما ميمر القديس كيرلس الاورشليمي فقد ورد بالكرشوني ايضاً وشغل ٦٤ صفحة من المخطوطة من صفحة ١٨٧ حتى ٢٥١ . وسندلّ على هذه الصفحات بارقام نضعها بين قوسين معكوفين كما هي عادتنا.

٤ — مخطوطة حلب

ما كدنا ننتهي من درس نصّ الميمر واعداده للطبع حتى علمنا من مطالعة كتاب « الفروض البيعية في كنيسة حلب المارونية » الذي وضعه المأسوف على علمه الخوراسقف جرجس منش الحلبي [1] ، ان بين هذه الفروض المخطوطـة صلوة بالسريانية لعيـد ارتفاع الصليب ، أُلحق بها ميمر للقديس كـيرلس الاورشليمي على ظهور عـود الصليب . فاسرعنا بالاستفهام عنه حضرة الاب فرنسيس ايوب ، وكيـل مجلتنا في سورية ، وطلبنا اليه نصّ الفقرتين الاولى والاخيرة منه ، فوجدناها مطابقتين حرفياً لنصّ ميمر بكركي. ولمـا كان ميعاد سفرنا الى رومية قريباً ، لا يسمح لنـا بالذهاب بنفسنا الى حلب ،

---

١) صفحة ٥٧ ، طبع بالمطبعة المارونية بحلب سنة ١٩٢٦



الرسم ٢ - حاشية الناسخ في ذيل المخطوطة الحلبية

رجوناه ان يستنسخ لنا الكتاب كله بالتصوير الشمسي. فلبى طلبنا حالًا واتحفنا بمعلوماته عن المخطوطة « انها موضوعة تحت رقم ١٠٤٣ من مكتبة القلاية، مكسوّة بمجلد قديم لحق الهراء ببعضه وذهب باطراف بضع ورقات. قياس صفحاتها ٢٨ × ١٦ سنتمترًا. وعددها ١٦٦. يشغل الميمر المكتوب بالكرشوني الصفحات الاربع والسبعين الاخيرة منها. اما ما سبق فيتضمن فرض عيد الصليب بالسريانية، المؤلف من صلوات المساء، والستار، والليل، والصباح ». وقد لاحظنا ان بين صفحة ٣٦ و٣٧ قد سقطت ورقة حاوية لحكاية ردم اليهود لقبر السيد المسيح، التي وردت في الصفحات ٢٢٢ – ٢٢٤ من مخطوطة بكركي. وسننبه اليها في حينها. وفي ذيل المخطوطة قرأنا الحاشية التالية:[١]

« تم كمل هذا التشمشت على يد احقر الناس واغنمهم وارذلهم بفعاله الوصخة القبيحة الكامل في كل عيب سركيس الشقي من قرية كفرحورا المحروسة[٢]. وكان ذلك في سنة الف وثمانماية تسعة وستين[٣]. وكانوا المعتنيين في هذا الكتاب جماعتنا الموارنة القاطنين في مدينة حلب على يد ابن عمي الشماس جبرايل. الله يجازيهم الخير امين ويخلصهم من اعدايهم امين. الرب يرحم من يترحم على حقارة الناقل والمعتنين امين »

« اجعل يا رب ذكرًا صالحًا لمعلمي[٤] لاخي الحبيس ميخاييل المعتني في تدبير حقارتي في النفس والجسد الله يوفيه في ملكوته السماوية امين ولمعلمي المطران مالك ولابن خالي القس ابراهيم وللاخ الشماس جرجس صاحبين الفضل والاحسان علي. ولاخوتنا الرهبان القسوس والشمامسة القاطنين معنا في الوادي المبارك. الله يخلصنا ولهم من جميع الضربات الشيطانية امين»

وفي اسفل الصفحة حاشية أخرى بالكرشوني كُشط اسم كاتبها وغطيت كلماتها بالحبر، توصلنا الى قراءة هذه الكلمات منها:

« قري في هذا الكتاب المبارك . . . اله . . . ابن الياس ؟ . . . من قرية اهدن . . . في سنة الف . . . وعشر . . . في ايام البطريرك يوحنا مخلوف الحدناني[٥] ܘܡܟܐ ܠܐܚܐܐ ܚܣܚܣܐ »

وقد توصلنا بعد البحث الى معرفة اسم الدير الذي نسخ فيه هذا الميمر وهويّة الاشخاص الثلاثة المذكورين في الحاشية: اي الحبيس ميخائيل، وسركيس الناسخ، والمطران مالك. اهتدينا اليهم من اسم هذا المطران، الذي ذكره الدويهي[٦] بقوله:

---

١) انظر الرسم ٣
٢) من مقاطعة الزاوية في ساحل لبنان الشمالي
٣) يونانية اعني سنة ١٥٥٨ م
٤) شطب الناسخ على كلمة معلمي بعد ان كتبها
٥) ١٦٠٩–١٦٣٣
٦) ص ١٦٨ من تاريخه المطبوع في بيروت

« في سنة ١٥٦٠ انتقل الحبيس ملكا البقوفاوي وكان قد مضى له ستون سنة في النسك والزهد. اعتزل اولاً في دير قزحيا ثم في دير مار دوميط داريا. ثم في كنيسة السيدة المقطوعة بالشقيف مقابل عرجس. ثم في كنيسة مار ميخائيل في دير قزحيا. »

فالمطران مالك قضى اذاً الشطر الاخير من حياته في محبسة قزحيا، وتوفي فيها بعد انجاز نسخ هذا الميمر بسنتين.

واذا عجبتَ من ايراد الناسخ لاسم الحبيس ميخائيل قبل اسم المطران مالك المذكور فاعرف انه البطريرك ميخائيل الرزّي الذي قال عنه الدويهي[1] ما يلي:

« وفي سنة ١٥٦٧ في التاسع من اذار كانت وفاة الاب الصالح البطريرك موسى العكاري وفي اليوم الثاني عشر اتفق رؤساء الكهنة واكابر الطائفة على الحبيس ميخائيل بن الرزي من قرية بقوفا وكان رئيساً سابقاً على دير قزحيا وعلى المحبسة. ولكنه اعتزل رئاسة الدير المذكور وانتقل الى محبسة مار بيشاي راغباً في الوحدة. فلما قضى الله بوفاة البطريرك موسى اجبرته الطائفة رغماً منه بتدبير الكرسي الانطاكي واقاموا مكانه في الحبس اخاه القس سركيس البقوفاوي ».

فناسخ الكتاب « الشقي سركيس من كفرحورا الكامل في كل عيب » هو اذاً البطريرك سركيس الرزّي، اخو الحبيس ميخائيل رئيس الدير حينئذٍ، وتلميذه. وهذا السرّ في انه ذكره قبل المطران مالك ولقبه اولاً « بمعلمي » ثم ضرب على هذا اللقب فكتب « اخي ». ويرجح ان الحبيس ميخائيل أمره بذلك تواضعاً. واغلب الظن انه هو ايضاً الذي ناظر على نسخ الميمر وأملى على اخيه الفقرات الزائدة الدخيلة، كما سنشرحه في ما يلي. اما انتساب الناسخ الى قرية كفرحورا، مع ان الدويهي يجعله مع اخيه من بقوفا، فسببه ان اهل اهدن، الواقعة شمال بقوفا، بعد ان طردوا اليعاقبة من قريتهم[2] هجموا على قرية بقوفا، المواجهة لهم، وخربوها لانحياز سكان الجزء الاسفل منها الى اليعاقبة. فاضطر آل الرزّ الساكنين في المحلة العليا منها، مع انهم صانوا انفسهم من البدعة، ان ينزحوا الى قرية كفرحورا في الزاوية. وما برحوا فيها

---

١) الدويهي: ص ١٧٠

٢) الدويهي: ص ١٤٢

وفي جوارها حتى اليوم[١].

وسركيس ناسخ الميمر قد خلف اخاه على رئاسة المحبسة سنة ١٥٦٧ كما رأيت وعلى الكرسي البطريركي سنة ١٥٨١ ، كما ذكر الدويهي ايضاً في حوادث هذه السنة[٢].

ولاحظ هنا ان الحبساء الثلاثة المذكورين في الحاشية اصلهم من قرية بقوفا. والسبب في اجتماعهم في دير قزحيا ان باني محبسة مار ميخائيل التابعة لهذا الدير ، هو القس بركات البقوفاوي[٣] وقد اشتهر رؤساء هذا الدير ورهبانه بنشاطهم في نسخ الكتب البيعية والروحية. ذكر الدويهي عن رئيس هذا الدير الاسقف يوسف الجاجي (+١٥٤٤) « انه لم ينقطع حياته عن نسخ الكتب البيعية حتى امتلأ جبل لبنان من خطه الجميل كتباً[٤] » وهكذا كان خلفه الاسقف جبرائيل ابن شقيقته[٥] الاهدني (+ ١٥٥٦) الذي تولى الحبيس ميخائيل مكانه[٦].

ومما يهمنا من كل ما تقدم ان سركيس الرزي نسخ الكتاب في دير قزحيا سنة ١٥٥٨ م ، حين كان راهباً بسيطاً ، تحت مناظرة الحبيس ميخائيل اخيه ومعلمه ورئيس الدير في تلك السنة. ولعل المطران مالك شاركه في هذه المهمة وفي التأثير على الناسخ لادخال ما ارتأياه تحسيناً وتكميلاً للموضوع.

اما كيف اتصل هذا الميمر بالموارنة مع بعدهم عن القطر المصري وانقطاع علاقاتهم بأهله فيغلب على الظن انهم اخذوه من رهبان الاقباط في القدس ، الذين كانوا يجاورون دير الموارنة ، واحتلوه بعد ان هرب رهبانه على اثر وقوع شخص في البئر ، كما هو مشهور[٧].

---

١) راجع تاريخ الموارنة للمطران الدبس: ص٣٩١
٢) الدويهي: ص١٧٧
٣) الدويهي: ص ١٤٢
٤) الدويهي: ص١٦٣
٥) الدويهي: ص٢١٦
٦) الدويهي: ص١٦٦
٧) الدويهي : ص ١٦٧

٥ ــ المقابلة بين النصين

لهذه المقابلة اهميتها اولاً لمعرفة المصدر الذي اخذ الناسخان عنه . ثانياً للتثبت من مصدر الزيادات في مخطوطة حلب وهل هي اصيلة ام دخيلة . ثالثاً لمعرفة اي النصين أصح .

يلوح لاول وهلة ان النص الحلبي ، المنسوخ في دير قزحيا سنة ١٥٥٨ ، مأخوذ عن نص بكركي الذي سبقه بقليل ، وصاحبه احد كهنة حصرون القريبة من هذا الدير ، ولعله كان ساكناً دير قنوبين في وادي قديشا ، المجاور لدير قزحيا المذكور . بيد ان من تمعن في النصين وجد ان الواحد لم يأخذ عن الآخر ، بل ان كليهما أخذا عن مصدر واحد . نستدل على ذلك من اتفاق النصين حرفياً ، الّا في الفقرات الزائدة ، التي يتفرد بها النص الحلبي ، والتي نراها كلها غير ضرورية ، بل غير معقولة ومتناقضة ومنافية لغرض صاحب الميمر . فهي اذاً دخيلة ، خارجة من رأس الناسخ ، أو بالاحرى من رأس مناظره او مناظريه . ويسهل على كل من له ادنى معرفة بالنقد ان يفرزها جانباً ويطرحها خارجاً ، فيعود النصان الى الاتفاق التام . فان تثبتنا من ذلك حق لنا البت في ان نص بكركي أصح واقرب الى الاصل ، واليه يجب الاستناد في تعليقنا ودفاعنا ، مع الرجوع الى النص الحلبي لتأييد روايته ، واصلاح بعض الاخطاء النسخية فيه ، وترميم ما ذهبت به العثة والايام من حروفه وكلماته.

واليك الادلة على قولنا :

١ً مطابقة النصين

تجد بين النصين اتفاقاً غريباً حتى في الاخطاء . واليك بعض الامثلة على ذلك ، مع الاشارة الى الصفحات الواردة فيها[1] :

---

١) الارقام الصغيرة من ١–٧٤ تدل على صفحات النسخة الحلبية ، والارقام الكبيرة من ١٨٧ حتى ٢٥١ تشير الى صفحات مخطوطة بكركي.

الاغلاط النحوية

« هي الـذي » بدلًا من « هو الذي » ٩ و١٩٩ ـــ « أزالـة » بدلًا من «أزالت» ١١ و١٩٩ ـــ الذين شربون ١٧ و٢٠٤ ـــ فتعجبون ٢٠ و٢٠٦ ـــ كل شيئاً ٢٨ و٢١٥ ـــ كل لغةً ٢٩ و٢١٥ ـــ ان يقتلون ٣٣ و٢١٦ ـــ لما علم ابيه ٣٥ و٢٢١ ـــ المسيح هو صليباً كلـه ٤١ و٢٢٨ ـــ ذات يوماً ٤٣ و٢٢٩ ـــ فوجدا حجر عظيماً ٥٧ و٢٤١ ـــ يقال لها فهدَ عظيم ٧١ و٢٤٩

اغلاط النقل

« يتلوهم » بدلًا من « يثلبهم » ٣٩ و٢٢٦ ـــ « محل الاعتقـاد » بدلًا من « محل الاعتماد » ٧٣ و٢٥٠

الاصطلاحات

يضع كلاهما علامة التنوين فوق الحرف دون الاستعـانة بالالف : موضعً ١٥ و٢٠١ ـــ مكتوبً ٢٠ و٢٠٦ ـــ بقـلبً ٢١ و٢٠٨ ـــ جمعً كثير ٤٦ و٢٣٢ ـــ وقتً طويل ٦٠ و٢٤٢ ـــ زمانً طويل ٦٧ و٢٤٥ . ويحـذفان غالباً الف جمع الماضي الغائب : جاو اي جاؤوا ١٣ و١٩٧ ـــ رأو ١٧ و٢٠٤ ـــ أتو ١٩ و٢٠٥ ـــ وغير ذلك.

ويكتبان اسم الانبا باخوس مستبدلَين البـاء بالواو وواضعين نقطة فوق الكاف ليمنعا ترخيمها : ܘܟܘܣ ١٠, ١٤, ١٨ و١٩٧ و٢٠٠ و٢٠٤ و٢٠٥

ويكتبان تارة « اورشليم » وطورًا « يورشليم » حسب اللفظ اليوناني بحيث انهما يتفقان حيناً على كتابتها بالشكل الاول وآخر بالشكل الثاني٩, ١٩, ٢٢, ٣٢ كما في ١٩٥ و٢٠٥ و٢٠٦ و٢١٨ ويفضّل ناسخ مخطوطة حلب كتابتهـا على النمط الاول حسب لفظ اللبنانيين.

وكلاهما يلقبان مريم العذراء بمرت مريم ܝܠܕܬ ܐܠܗܐ مع ان الترجمة الاصلية وُضعت في القطر المصري ، كما سنبيّنه.

٢ً اختلافهما

وهذا لا يعني ان ناسخ المخطوطة الحلبية ينقل عن مخطوطـة بكركي ،

لانه يخالفه في بعض الاحيان بطريقة تدلّ على انه لا ينسخ عنه بل عن مصدر آخر ، هو مصدر مخطوطة بكركي نفسه.

فهو يتجنّب احياناً بعض الاغلاط التي يقع فيها ذاك. ففي صفحة ٤٦ كتب عن عسكر قسطنطين انه رجع سالماً من الحرب « ولم يتثلم منه أحد » مع ان ناسخ بكركي كتبها في صفحة ٢٣٢ « لم يعلم » . وكتابتها على هذا الشكل واضحة في نسخة بكركي لا يسع الناسخ ان يخطئ في قراءتها.

وفي صفحة ٩ كتب « اسرعوا بنا » مع ان ذاك كتبها خطأً صفحة ١٩٥ « اسرعوا فينا ».وفي نص بكركي صفحة ١٩٢ « وكانوا يقولون لا بد سوف يفتقدنا بالملك » . اما ناسخ المخطوطة الحلبية فكتبها في صفحة ٦ على صحتها « ابن الملك ».

ومن اظهر الدلائل على ان هذا الاخير لا ينقل عن الاول بل ان كليها نسخا عن مصدر واحد ما جاء في صفحة ٥٤ من النص الحلبي « وطلع بهم الى محل عالٍ » . فدهشنا لاصابته في حذف الياء المتنوين ، ولما راجعنا نص بكركي صفحة ٢٤٨ رأينا ناسخه قد كتبها اولاً عال حال ، ولجهله قواعد العربية ظن نفسه على خطأ ، فعمد الى حرف اللام وكشط السن الثانية منه وابدلها بياء ، فاصبحت حاله

وقد وافق ناسخ قزحيا مخطوطة بكركي في كتابة الاشهر القبطية ووضع ما يقابلها عند اللبنانيين او السريان[1] وخالفه في غير مواضع.

ففي صفحة ٦٩ كتب « شهر توت » مع ان ناسخ بكركي أبدله باسم « أيلول » صفحة ٢٤٦ . وقال في صفحة ٧٠ « شهرتوت على رأي المصريين » واكتفى ناسخ بكركي بقوله « ايلول » . وبالعكس فقد كتب في صفحة ٥٧ « شهرتوت الذي هو ايلول » لانه يشتغل الحلبيين ، مع ان ناسخ بكركي أبقاها صفحة ٢٤١ « توت » بدون تفسير.

كذلك اضاف ناسخ دير قزحيا صفحة ٥٥ على كلمة « آلة الحفر » التي

---

١) لا تنسَ ان المترجم من السريان القاطنين في وادي النيل.

امر قسطنطين اليهود بان يجلبوها معهم ، كلمات «ومعاذير وابياك ومجارف» . وفسّر كلمة «طوريه» المصرية التي وردت في صفحة٢٤١ من نسخة بكركي ، فقال صفحة ٥٧ : «طوريه اي معدور»

كذلك نقل بعض كلمات على حسب اصطلاح كتابتها في العربية مخالفاً في ذلك ناسخ بكركي . فقال «البارقليط» ص ٢٩ بدلًا من «فارقليط» ص ٢١٥

وخالف ايضاً مواطنيه خاصة ، والسريان عامة في كلمة «البطاركة» التي تعني عند اليونان واللاتين جدود العبرانيين . فقال في صفحة ٥ «الآباء البطاركة والانبياء» ولا بد انه وجدها هكذا في النسخة التي نقل عنها . اما ناسخ بكركي فاكتفى في صفحة ١٩١ بكلمتي «الآباء والانبياء» . كذلك لقب ناسخ مخطوطة حلب اسحق والد يعقوب «باسحاق البطريرك» مع ان ناسخ بكركي سمّاه في صفحة ١٩٧ «رييس الآباء» . ولا يخفى ان هذا اللقب (البطريرك) يخصص عند الموارنة والسريان والشرقيين عامة برئيس الطائفة ولا يطلق على احد جدود العبرانيين.

٣ً الفقرات الدخيلة

اذا استثنينا الفقرات الدخيلة في النصّ الحلبي اصبحت الاختلافات التي ذكرناها طفيفة تحدث في كل نقل ، فلا يجوز نسبتها الى اختلاف المصدر لان النصين ، في ما عدا ذلك ، متفقان حرفياً حتى في الاغلاط ، كما بيناه سابقاً . ولا يمكننا ان نفسّر كيف ان النص الحلبي يماشي نصّ بكركي حرفياً ، ثم يشطّ عنه فجأة في الروايات الدخيلة ، الا اذا قدّرنا انه نقل من المصدر نفسه ، وانه لفّق هو أو مناظروه تلك الروايات ، أو انهم اخذوها عن مصادر غير ميمر القديس كيرلس ، كالنشرات السريانية القديمة الحاوية لقصة اكتشاف الصليب ، التي سنقول فيها كلمة خاصة . ونحن نرجح ان معلمي الناسخ أملوها عليه عن حسن نيّة ، وانهم اخذوها عن كتب اليعاقبة مجاوريهم في قريتهم بقوفا ، كما تقدّم القول ، وفي ظنهم انهم يزيدون بها الميمر رونقاً وتأثيراً وحجته قوةً .

ولم يدروا انهم بذلك قد شوّهوه وجعلوا نصّهم غير موثوق به ، الا في ما طابق نصّ بكركي . وان كنا نشكّ في بعض عبارات وروايات وردت في نصّ بكركي نفسه ، ونعزو دخولها الى تداول النساخ الميمر مدة ستة عشر قرناً ، فلا يسعنا ان نقبل تلفيقات زميله دون ان نضطرّ الى طرح الميمر برمته جانباً كسلعة لا قيمة لها . والغريب في النصّ الحلبي انه يسير ونص بكركي جنباً الى جنب في الصفحات الثلاثين الاولى ، ويبدأ بعد ذلك بالابتعاد عنه حيناً ، ثم بالعود الى مصاحبته حيناً آخر ، حتى اذا عنّ له ما خاله حسناً تخلّف عنه الى ان ينتهي من حكايته . وهكذا دواليك . ويظهر ان اليسير الذي اضافه المعلم المرة الاولى صادف عند رفقائه ، او عنده ، استحساناً شجعه على المضيّ الى أبعد منه . لاننا نجد في بدء الامر كلاماً وعبارات مغايرة لنصّ بكركي ، ثم يتعدى ذلك الى فقرات ، ومنها الى روايات برمتها خارجة عن الموضوع . ومع ان عبارة الترجمة ركيكة مشحونة بالاغلاط النحوية والصرفية فعبارة هذه الروايات احطّ منها واكثر خطأً . فضلاً عن ان موضوعها سقيم صبياني عقيم .واليك بعض الامثلة .

في صفحة ٤٤ ، بعد أن سرد النص الحلبي رؤيا قسطنطين الملك ليلة المعركة الفاصلة ادّعى ان الملك أسرّ بها الى والدته القديسة هيلانة ، كأنها صحبته الى معامع الحروب . ولم يعرف أن يضع في فمها ملاحظة او جواباً ما ، كأنها لم تأبه لهذه الرؤيا السموية ، التي جعلت ابنها امبراطور العالم ، وكانت فاتحة انتصار المسيحية على الوثنية .

وفي صفحة ٤٨ ، يضع على لسان هذا الملك مديحاً للصليب قبل اكتشافه ، لا يعقل أن يقوله ،وهو لم يتنصر بعد ، ولم يعرف من الصليب سوى رسمه : « أنا عالم انه يخلص الكنيسة وكل اولادها من الشيطان وجميع حباله وأنا باعلم (اي اعلم) ان في هذا الصليب الذي أنا طالبه فهو يهب لي القوة على كل اعداي » . ويتابع طريقه على هذا النسق السقيم رأياً وتعبيراً .

ويروي ، في صفحة ٤٩ ، أن الملكة هيلانة لما تحققت عزم ابنها على الذهاب الى اورشليم للبحث عن الصليب ، أرسلت منادياً ينادي في اهل رومية

ليصحبوهما في هـذه المهمة . ويردف قائلاً : « فاجتمع خلايق عظيمة في طلب الصليب وساروا الى بيت المقدس » كأن المسافة بين رومية والقدس بضعة اميال على اليابسة .

وفي هذه الصفحة ان قسطنطين طلب الى اليهود ان يدلّوه ، لا على مكان القبر والصليب فحسب ، بل على «الحربة واكليل الشوك والاكفان» .

وفي صفحة ٥٩ بعد ان اثبت الناسخ نصّ وصية يوسف الرامي ونيقوديموس التي تركاها في القبر حيث خبأا الصلبان ، اضاف النص الحلبي على لسانهما فقرة يحضّان فيها من يجد هذه الصلبان ان يضعها على جثة ميت فيعرف صليب المسيح ، مع انهما سبقا فنبها ان صليب المسيح هو حامل الكتابة .

وفي صفحة ٦٠ ان الملكة هيلانـة بعد ان اكتشفت الصليب « صارت تقبله وتضعه على عينيها » ، مع ضخامته .

وما يضحك الثكلى حديث الميت ، الذي قـام من لمس الصليب ، عن الجحيم وعن العـذاب الخاصّ المعدّ لليهود في جهنم تكفيراً عن جناية آبائهم صالبي السيد المسيح . (صفحة ٦٢)

وفي صفحات ٦٤ — ٦٦ مـديح آخر للصليب بفم قسطنطـين ، فيه من الاختلاقات والغرائب ما لا يقبله عقل . وقد نسي الناسخ انـه يتكلم باسم قسطنطين فقال في صفحة ٦٥ : « يا اخوتي . . . »

ونحن نحمد الله لظهور هذه المبالغـات والسخافات والمناقضات في الفقرات الدخيلة ليسهل علينا تمييزها عن الاصل . وامامنا عقبـات كأداء سنضطر الى تمهيدها ترجيحاً لصحة نسبة هذا الميمر الى القديس كيرلّس الاورشليمي ، الواصل الينا بحالة يرثى لها من الغموض والترقيع . فان تيسر لنا التخلص منها ، بحجة اجتياز الميمر ستة عشر قرناً وتقلبه في ثلاث لغات مختلفة النسق والاصطلاح ، لا يسعنا التماس العذر لمعلمي راهب قزحيا ، وان كانوا من مواطنينا وبطاركتنا ، على حشرهم دفعة واحدة في هذا الميمر كلمات وجملاً وفقرات وروايات يعسر علينا ابتلاعها لكبر حجمها ، فكيف نستطيع هضمها .

هذا لا يعني ان نصّ دير قزحيا المحفوظ في قلاية حلب المارونية لا قيمة

له ولا فائدة ترجى منه ؛ بل بالعكس ، اذا طرحنا منه كل هذه الثقالات ، اصبح لنا عوناً كبيرًا في التثبت من نص الترجمة العربية الاصلي وفي تلافي خطاء نص بكركي وسدّ نواقصه.

٦ — القديس كيرلس الاورشليمي

قبل ان نخوض في درس هذا الميمر وردّ هجمات المعترضين عنه ، لا بدّ لنا من كلمة نقولها في واضعه وعصره ، وفي اهميّته من الوجهتين الدينية والتاريخية ، توصلاً الى تعزيز بعض مراكز هذا الدفاع ، وتعيين المكان والزمان والوسط الذي أُلقي فيه.

١ً القديس كيرلّس

وُلد القديس كيرلّس اسقف اورشليم في عصر ولدت فيه البدع وتعددت وتضاربت ، فشوّشت افكار العالم المسيحي واضرت به اكثر من الاضطهادات التي توالت عليه ثلاثة قرون ، منذ نشأته حتى عهد القديس . امات الاضطهاد الاجساد ، اما هي فقد اماتت النفوس . هو شدّد عزائم الكنيسة ، اما هي فقد هدّتها هدًا . ما إن اعلن قسطنطين ايقاف الاضطهاد سنة ٣١٣ وأراح الكنيسة من شبحه حتى جاءت عقارب الاضاليل تدبّ في جسمها دبيبها ، فاقلقت راحتها ولم تستعدها البتة.

واولها واخطرها الاريوسية . انكرت الوهية المسيح ، فجعلته صنماً يُعبد او انساناً يؤلّه ، اي انها حاولت تحويل النصرانية الى الوثنية. لقيت في القديس كيرلّس محارباً جريئاً ، قوي الحجة ، فصيح العبارة ، نيّر العقل ، واسع العلم. حاربها فحاربته. حطته عن كرسيه ونفته ست عشرة سنة ، انما لم تكمّ فمه ولم تطمس تعاليمه ، بل خلدتها. عدّه العلماء باسلوبه وانشائه من لاهوتيي انطاكية ، وقد قضى بها شطرًا من غربته ، وعدّته الكنيسة من اقدم واكبر معلّميها . ولعله اكبرهم لأقدميته عليهم. فالوارث ليس كالفاتح ، واللاحق ليس كالسابق.

لانه اول من بسط عقائد النصرانية وشرح غوامض أسرارهـا باسلوب واضح فلسفي ، اي انه اول من وطدها على دعائم منطقية منظمة.

ولد القديس كيرلس في اورشليم او في ضواحيها[1] حوالي سنة ٣١٣او٣١٥، لان كتاباته تدلّ على معرفته بحالة الاماكن المقدسة قبل ان يرمّها الامبراطور قسطنطين في سنة ٣٢٦ . وأكبر الظن انـه مارس منذ شبابه الطريقـة الرهبانية . وهو ان لم يسكن ديرًا ولا انزوى في البريـة ، فقد عاش عيشة عفاف وزهد وتقشف ، ساعياً في نضارة عنفوانـه الى الكمال المسيحي بتقوية النفس على الجسد . فاستحق ان يتشرف بلقب النساك والرهبان وان لم يكن بحصر المعنى من طغمتهم.

اقتبل الكهنوت من يدي القديس مكسيموس ، اسقف اورشليم ، وعكف على الوعظ والارشاد فنال شهرة سريعة ومكانة عاليـة أهلته الى أن يخلفـه حوالي سنة ٣٤٨ على كرسي المدينة المقدسة ، وان يُحيي ذكرى واعمال قداسته. وفي بدء اسقفيته ، في السابع من ايار سنة ٣٥١ ، ظهر في سماء اورشليم صليب كبير من نور شاهدهُ كل سكانها . فكتب القديس الى الامبراطور قسطنس ابن قسطنطين يبشره بهذه الاعجوبة الباهرة ، التي ظهرت على عهده، كما ظهرت خشبة الصليب المقدس على عهد ابيه . وحالما مسك مقاليد الرعية حوّل همه الى النشأة الحديثة موضوع آمال النصرانية ، فتولى بنفسه ارشادها في التعاليم المسيحية وتسليحها ضد الاضاليـل المتفشية في ذاك العهد . فكان يجمـع في كنيسة القيامة ، ابّان صوم سنة ٣٤٨ ، الاحداث المعدّين لاقتبال سر العماد في فصح تلك السنة ، ويُلقي عليهم العظات التي خلدت اسمه ، شارحاً لهم عقائد الدين الاساسية باسلوب سهل ولهجة تختلج فيها نبرة الحماسة والعطف الوالدي ، فتقرّبها الى اذهان سامعيها وقلوبهم . وبعد ان اقتبل تلاميذه اسرار العماد والتثبيت

---

١) نأخذ معلوماتنا عنه من مقالة للاب لباشله X. Lebachelet اليسوعي ، نشرت في قاموس اللاهوت الكاثوليكي لفاكان ومنجنو تحت اسم هذا القديس *Dictionnaire de Théologie Catholique par* A. Vacant *et* E. Mangenot. Imp. Letouzey. Paris, 1908. T. III, col. 2527-2577

والقربان عاد فجمعهم في معبد القبر المقدس . وعلى ذاك الضريح ، الذي حلّ فيه فادي الانام واظهر فيه مجده ، القى عليهم ثاني عشرة عظـة اخرى شرح لهم فيها غوامض هذه الاسرار ، وهي مع ما سبقها تُعدّ من اثمن المصادر لمعرفة آراء الكنيسة في ذلك العهد في عقائدها،وفيها من المعلومات التاريخية والتقليدية ما لا يقوَّم بثمن.

وقد شاءت اخلاق البشر ان يُختمر الحسد في صدورهم لدى رؤية الفوز ، ادبياً كان ام مادياً . أولدت شهرة القديس حسد المبتدعين ، لانهم رأوا فيه هادماً لاضاليلهم وآمالهم فانقلبوا الى اعداء . وفي مقدمتهم اكاكيوس ، اسقف قيصارية وميتروبوليت فلسطين . هذا كان من اكبر الساعين في ترقية كيرلس الى كرسي اورشليم ، على ان يكون بفصاحته وسعة علومه من اكبر مشايعيه في بدعة الاريوسية . وما عتم ان خبر فيه اكبر مناوئ لآرائه ومزاحم على سلطته ونفوذه . فعمد الى معاكسته ، والتدخـل في شؤون أبرشيته . واذا بالقديس يصمد له ويصارحه بامتيـازات كنيسة اورشليم أمّ جميع الكنائس واستقلالها عن سلطته . ولما بلغ النزاع أشدّه جمـع اكاكيوس عليه مجمعاً من الاساقفة اتهمه فيه بتبديد اوقاف الكنيسة وحطّه عن كرسيه ، واستصدر من الملك قسطنس امرًا بنفيه . وفي الحقيقة كان القديس كيرلس قـد اضطرّ في احدى سني المجاعة الى بيع بعض اوانٍ كنسية لاطعام الجائعين من رعـاياه . فذهب ضحية حنانه واستقامة رأيه.

قضى القديس السنة الاولى من منفاه في انطاكية ، حتى اذا توفي بطريركها لاونطيوس انتقل منهـا الى طرسوس ، حيث لقي في اسقفهـا سلوانس مضيفاً وصديقـاً ومحامياً . فسمح لـه ، بالرغم من احتجاجات اكاكيوس ، باستعمال الحبريات في ابرشيته وبالقاء المواعظ . ثم سعى له ، مع بعض محبيه ، بالعود الى كرسيه اورشليم سنة ٣٥٩ . بيد ان اكاكيوس تغلّب عليه في السنة التاليـة وأعاده الى المنفى ، فلبث في انطاكية حتى وفاة قسطنس سنة ٣٦٢

وكانت تنتظره في اورشليم صعوبات جمة . فقد شاهد رعيته في اضطراب من المراطقة ، ووجل من اليهود الـذين تقوى ساعدهم بالامبراطور يوليـانس

الجاحد ووطدوا النيــة على اعـادة هيكل سليمان . فأعلمهم القديس بالفشل ، وصدقت الايام نبوءته . وقد حصر جهده بعد وفاة يوليانس في اصلاح شؤون رعيته . ولما مات اكاكيوس توصل الى تقليد صديقه فيلومينوس وظيفته .

وفي سنة ٣٦٧ استصدر المبتدعون امراً من الامبراطور والنتيوس (٣٦٤ـ ٣٧٨) بتنزيل كل الاساقفة الذين أبعدهم الملك قسطنس وعادوا بعد وفاته الى ابرشياتهم . فاضطر القديس كيرلس ان يترك للمرة الثالثة رعيته المحبوبة حتى سنة ٣٧٨ التي توفي فيها الامبراطور المذكور . قضى هذه المدة على الارجح في انطاكية . ولما عاد الى ابرشيته وجدها بحالة يرثى لها لتناوب الاساقفة الهراطقة عليها وتفشي المفاسد فيها . لان فساد الاخلاق يتبع دائماً فساد الآراء . ولو اقتصرت البدعة على النظريات لهان امرها ، بيد انها تتخطى دائماً الى الآداب، كأن التبسط بلا ضابط في حرية الفكر يؤول حتماً الى التبسط في حرية السلوك .

وفي سنة ٣٨١ حضر القديس كيرلس مجمع قسطنطينية الاول ، وهو ثاني المجامع المسكونية ، بعد المجمع النيقاوي . وكان له في عقده واعماله اليـد الطولى ، حتى ان الاساقفـة ، الذين اجتمعوا بعد انفضاضه لاذاعـة مراسيمه وتنفيذها ، كتبوا الى البابا الدمشقي Damasus مادحين من القديس وشاهدين بصحة رسامته وآرائه ، ممثلينه كأكبر مناضل عن الرأي القويم ضد الاريوسيين . وقد لقبوا كنيسة اورشليم «بأم كل الكنائس» .

جاور القديس مولاه في سنة ٣٨٧ في السبعين من عمره او الاثنتين والسبعين، بعد اسقفية دامت خمس وثلاثين سنة ، قضى منها ست عشرة سنة في المنفى . انما قضى حياته كلها في الجهاد : الجهاد الداخلي ضد ذاتــه ، والخارجي ضد الخوارج على الكنيسة . وما يُذكر له بالحسنى انــه كان مسالماً ، لم يتعرض قط في حياته للاشخاص ، مهما كانت آراؤهم وسيرتهم على فساد ، امـلاً في استجلابهم يوماً الى الرأي المستقيم واصلاحهم . اما حساده فقـد حاربوا دوماً آراءه في شخصه .

وكأن الاشخاص المضطهدين لنبوغهم وفضلهم لا يُنصَفون الا بعد موتهم ، فيصبح موتهم الطبيعي حياتهم الادبية . فقد رفعت الكنيسة الشرقية القديس

كيرلس الى مصاف اكبر قديسيها ومحاميها ، وعينت لـه الثامن عشر من ايار تذكارًا خالدًا . وشغف لاوون الثالث عشر بسمو تعاليمه وقدّر له جهاده حق قدره فعمّم في سنة ١٨٨٢ عيده على الكنيسة جمعاء ومنحه رسمياً لقب «ملفان الكنيسة».

وسنقول كلمة في طريقته وآرائه لاثبات نسبة هذا الميمر اليه . ونبدأ اولا ببيان اهميته.

٢ اهمية الميمر

لعظات وتآليف القديس كيرلس الاورشليمي أهميـة خاصة . فمنها نعرف الدرجة التي أدركتهـا ، في ذاك العهد ، الحياة المسيحية والعـادات والرتب الكنسية ، والجهود المبذولة لفرز الزؤان من الحنطة في الآراء الحديثة الحائمـة حول كل ناحية من نواحي الديانة . لان كثيرًا من هذه الآراء لم يكن بعـد قد تحدّد بصفة راهنة واضحة ، ولان القديس كيرلس قد سبق طغمة ملافنـة البيعة الكبار ، الذين برّزوا في اواخر القرن الرابع واوائل الخـامس . فكان اول من تصدّى لدحض هذه البدع وبسط وجهة نظر الكنيسة الارثوذكسيـة فيها ، وشرح بقية العقائد والاسرار النصرانيّة بصفة وافية منطقية[1] .

فان صحت نسبة هذا الميمر اليه ، اصبح وثيقة غالية الثمن عاليـة القيمة من الوجهتين الدينية والتاريخية ، وحقّ لـه ان يُضمّ الى مجموعـة تآليف آباء الكنيسة الرسمية ، وان تُدرج معلوماته في تاريخهـا كمرجع اصيل لتقاليدهـا الدينية والتاريخية في القرون الاربعـة الاولى ، وخـاصة للحوادث التي سبقت ولحقت اكتشاف قبر النادي وصليبه.

---

١) راجع معجم اللاهوت لفاكان مج ٣ ، ع ٢٥٢٨ و٢٥٢٩ و٢٥٧٥

كان هذا الميمر حتى الساعة مجهولاً ، ومـا زال اصله اليوناني وترجمتـه السريانيَّة مفقودَين . وصل الينا باللغة العربية المتنصّرة وبعبارة سقيمة مضطربة. بيد ان هذا المظهر الرثّ ، ان افقده كثيرًا من رونقه وقليلاً من معانيه ، لا يفقده قيمته . فالعبارة ثوب شفاف لُفّ به ، لا يُحرم العين النيّرة الحادّة رؤية جماله ، كالوشاح اذا اكفهرت ألوانه واهترت خيطانه ، لا يُخفي رشاقـة الجسم المرتدي به وتناسب اعضائه . ناهيك بما خلص من هذه الاعضـاء من تلابيب الخلقان ، فانها تظهر على اصلها وطبيعتها بضّة مفتولة. فمع مرور القرون الطويلة على الميمر وذهاب طلاوة اللغة الاصلية عنه ودقة تعابيرها ، ما زلنا نسمع منه نبرة الفصاحة والحماسة خافتة ، انما عذبة جذّابة ؛ تلتقطها الآذان المتمرنة بارتياح ، وتستوعبها القلوب بسرور واعجاب ، وتعرف فيهـا صوت ذاك الراعي الصالح والخطيب المفوّه ، صاحب التعاليم السامية والتفاسير الخالدة التي كان يلقيها فوق ضريح الفادي على الجماهير الوافدة من انحاء الامبراطورية الرومـانية لـلاحتفاء بتكريم الصليب المنتصر على الوثنية والرذيلة.

هذه الحفلات العظيمة والذكريات المؤثرة يستعيدها لنا الميمر ، ويطلعنا على التقاليد الشائعة في ذاك العصر حول فوز رسالة الاله المتجسد ، من عهد ارتفاعه على صليب الجلجلة مهاناً معذباً ، الى عهد ارتفاعه سيدًا مطلقاً على ممالك الارض.

يصف لنا الخطيب القديس الآيات الباهرة التي ظهرت على قبر المسيح بعد قيامته ، خاصة شفاء اكلاوبا المقعد واقامة ابنه اهروقوس من الموت . وكيف اخفى نيقوديموس ويوسف الرامي الصلبان في القبر خوفاً من ان يحرقها اليهود ، وكيف اقدم هؤلاء على ردم القبر بزبالاتهم ، فقاصهم الرب بخراب مـدينتهم اورشليم وهيكلها واهلاك قسم كبير من شعبهم وتشتيت البقية واذلالهـا . وانتقم ايضاً من الملوك اعداء صليبه : ديوقلتيانوس ومكسيميانوس وخـاصة يوليانوس الجاحد . بينما قد عزّز اصدقاءه : عطف قسطنطين الملك على المسيحيين فاظهر له صليبه لامعاً في الجوّ وخوّله به النصر والسلطة المطلقة في الامبراطورية الرومانية. فقصد مع والدته الى اورشليم للبحث عن عود هذه العلامة الظافرة ، وحقّق بنفسه عن مكانه مع علماء اليهود السبعة ، الذين يذكر الميمر اسماءهم .

واذ علم من احدهم انه مطمور في الجلجلة ، امرهم برفع الردم عنه ، وعاد الى رومية تاركاً والدته وغلمانه واسقف اورشليم للاشراف على اعمال الحفر. حتى اذا ظهرت الصلبان الثلاثة داخل مغارة القبر ، وعُرف الصليب المقدس من الكتابة الباقية عليه ، هرول الملك الى اورشليم وسجد له وقرر بناء كنيسة لائقة به ، وعيّن لتدشين كنيسته عيداً رسمياً عظيماً في كل الامبراطورية.

وكان المؤمنون يتقاطرون الى اورشليم في هذا العيد لحضور حفلة ارتفاع الصليب والتبرّك من ذخيرته. منهم حجّاج خرجوا من يافا فرافقهم اسحق السامري باسرته وحاشيته وآنيته للتطهر في عين اورشليم. وفي اول مرحلة قطعوها ، وجدوا عند حقل يندوم ماء الجبّ مرًّا. فشمت بهم السامري لتجشمهم عناء السفر وتعرضهم للموت عطشاً في سبيل السجود لخشبة. وكان بين الحجاج قديس يدعى الانبا باخوس ، هذا لما سمع كلام السامري وتجهّمه وافهمه ما يجهله عن الصليب. ثم اخذ عودين وربطهما بشكل صليب ورماه في البئر ، فلمع كالمصباح واصبح الماء حلوًا لذيذًا. وبنى سكان الجوار كنيسةً للصليب على ذلك الجبّ وكرّسها القديس كيرلس بنفسه. اما اسحق فتأثر لرؤية الاعجوبة ولحق المؤمنين حتى كنيسة القيامة حيث سمع عظة القديس كيرلس وآمن واعتمد منه مع جماعته. فكانت هدايته اعجوبة رابعة اجترحها الصليب.

هذه المعلومات وغيرها يرويها القديس كيرلس كشاهد عيان او معاصر. ناهيك عن تقاليد ثمينة قديمة عرفناها من ميمره عن معاصري السيد المسيح كنيقوديموس وابنه القديس اسطفان ، اول شهيد في النصرانيّة ، ويوسف الرامي ، وبرنابا ، وارملة نائين ، وحنه ابنة يائيروس ، واكلاوبا ، واهروقوس ولده ، ومريم المجدلية ، واليعازار ، ووجوه قرابة هؤلاء مع مريم العذراء. هذه الفوائد ان لم تكن كلها حقائق تاريخية ، فهي على الاقل تقاليد جليلة اوصلها الينا احد علماء الكنيسة الاقدمين واساقفتها ، منها ما كنا نجهله تماماً ، ومنها ما كنا نعرفه على غير حقيقته.

ولا ننسَ ان رواية القديس كيرلس عن رؤيا قسطنطين وظهور القبر

وخشبة الصليب بعناية هذا الملك وحضور والدته هيلانة توفق بين روايات المؤرخين المتناقضة الغير المعقولة ، وتتحاشى اغلب ما يقوم في سبيل تصديقها من الصعوبات والمغالاة . ولعلها الرواية الصحيحة التي يجب اعتمادها بعد اليوم في تاريخ الكنيسة ، كما سنبينه في حينه .

وقبل ان ننتقل الى درس الدلائل التي ترجح نسبة هذا الميمر الى القديس كيرلس الاورشليمي ، علينا ان نبسط الاعتراضات التي قد تقف في طريقه ، وان نبين ما في هذه الاعتراضات من وجوه الضعف ، وانها لا تنطبق على ميمرنا .

البحث الثاني

الاعتراضات

نبسط في هذا البحث الاعتراضات التي قد تقوم ضد رواية ميمرنا بخصوص رؤيا قسطنطين وعلاقة والدته هيلانة باكتشاف القبر والصليب . وهي نفس الاعتراضات الموجهة ضد الاساطير السريانية التي نسرد روايتها والصعوبات الواقفة في سبيلها ، لنثبت انها لا تنطبق على ميمرنا ، وان انطبقت لا تنفي نسبته الى القديس كيرلس .

٧ — رؤيا قسطنطين

لم نتقدم بعد بميمرنا الى محك النقدة ، انما نتصورهم ، منذ الآن ، يشزرونه بعين الحذر والريب ، شأنهم في كل اكتشاف جديد لاثر قديم ، لاسيما اذا اتاهم من الشرق . وقد بالغوا في ذلك حتى امسوا يشكون في اوثق الوثائق ، وينقضون دعائم التاريخ الكنسي القديم القائمة على تآليف اوسابيوس وتاودوريطوس وسقراط وسوزومين وغيرهم ، دون ان يكون لهم ما يعوضوننا به منها ، بل نراهم يملأون فراغها بالتخمينات والتأويلات ، كمن يترك ما في يده سعياً وراء الخيال . والغريب انهم عند غرضهم يستخدمون الوثائق التي نبذوها بالامس اداةً لهدم غيرها . ولعلّ ما يحملهم على المغالاة في النقد حُبّ الظهور بمظهر الحكيم الرصين الضليع ، الذي لا يجوز عليه ما جاز على الساذج او المبتدئ . وكأني بهم ذلك الجرّاح ، الذي اذا كُلّف بترَ عضو فاسد ، ارتأى بتر عدة اعضاء ، بحجة انها غير صحيحة ، ولا يزال يعمل مبضعه في المريض حتى يتركه

جثة لا تصلح سوى للتشريح . فلنتدارك مباضعهم في ميمرنا ، عسانا ننقيها او نخضد من حدّتها . ولنحذر حذرهم الا في دائرة التعقل والاعتدال.

اهم ما نخالهم موجهين النقد اليه رواية الميمر في رؤيا قسطنطين الملك وعلاقة والدته باكتشاف القبر المقدس والصليب . وحجتهم ان هذه الرواية مستندة الى الاساطير السريانية القديمة ، التي نشرها المستشرق نستله ، والحاوية للاشاعات الملفقة ، التي راجت في القرن الرابع في عالم النصرانية ، خاصة في الشرق ، حول هذا الاكتشاف.

واليك مختصر رواية ميمرنا في رؤيا قسطنطين وردت في الصفحات ٢٢٩–٢٣٢ من مخطوطة بكركي التي نعتمد عليها :

« كان الملك قسطنطين ابناً لوالدين مسيحيين ، متسلسلاً من الملوك الرومان الاصليين. انما لم يكن في شبوبيته قد تنصر بعد ولا عارفاً بعلامة الصليب . لان الملكين ديوقلسيانس ومكسيميانوس كانا قد بسطا عبادة الاوثان في كل مكان ، ولم يكن بعد من كنائس قائمة ولا صلبان ظاهرة . وحدث انه خرج يوماً لقتال الفرس وعسكر في تل رامح ، فوجدهم قد تحالفوا مع سبع امم وحشدوا عليه جيشاً هائلاً وجاؤوا بآلة يحفرون بها السراديب والمغر، وصمموا على الفتك به واجتياز حدود الكورة الرومانية واحتلال انطاكية . وفي ذات ليلة ، وقد اشتد به القلق ولازمه الارق للتفاوت بين قوات العدو وقواته ، رأى وهو يتفرس في السماء صليباً من نور وحوله كتابة « بهذه العلامة تغلب جميع اعدائك » . وفي الغد نهض باكراً واستفهم من الكهان والعرّاف لمن هذه العلامة ، فاجابه بعضهم انها لداريون اله الحرب وآخرون انها للبطل هرقل . وان غلاماً يسمى اوسيكينوس اقترب منه سراً خوفاً من الطرد ، لان الحادث كان في زمان الطرد ، واكد له ان العلامة للسيد المسيح . فنذر قسطنطين ، ان هو نال الغلبة بها ، آمن باله آبائه . وللوقت علّق صليباً من ذهب في رأس رمحه وامر ان يتقدمه ، فحاز نصراً مبيناً على الاعداء . وفيما هو يقتفي أثرهم شاهد جمعاً كبيراً في السماء يطاردونهم بسيوف مسلولة في ايديهم . »

وهاك الآن ملخص ما قد يُعترض به على هذه الرواية نأخذه عن مقالة للاب لكلير ، نشرها في قاموس الآثار والطقوس المسيحيّة تحت اسم قسطنطين[1]. هذه الرواية مخالفة للتاريخ ، الذي ينبئنا ان قسطنطين ، حين كان ملكاً

1) *Dictionnaire d'Archéologie Chrétienne et de Liturgie, publié par* dom Ferd. Cabrol et dom Henri Leclerq. Paris, 1914. Tome III, 2e partie, col. 2622-2695 – راجع عن الرؤيا وحدها ع ٢٦٦٣–٢٦٦٧ من هذا الجزء.

على غالية وبريطانية[1] ، زحف على مناوئه مكسنس عاهل رومية . ولما صار على جسر ميلفيوس من ضواحي رومية رأى حلماً أوعز اليه فيه ان يرسم علامة الصليب على تروسه . ففعل وانتصر على مكسنس وطرحه في نهر التيبر في ٢٩ تشرين الاول سنة ٣١٢م . وفي اليوم التالي دخل رومية وضم ايطالية الى مملكته . هذا ما كتبه لاكتنس استاذ كريسبوس بكر قسطنطين .

اما اوسابيوس مؤرخه ، فروى انه في اثناء زحفه من غالية الى رومية شاهد ، ساعة الغروب ، هو وجيشه ، صليباً من نور فوق قرص الشمس مع كتابة « بهذه العلامة تنتصر » . وفي الليل ظهر له السيد المسيح في الحلم مع العلامة التي رآها في النهار وامره ان يصنع مثلها ويحملها في حروبه فينال الغلبة . ولما استيقظ امر الصياغ فصنعوا له صليباً من ذهب وحجارة كريمة ، ورسمه ايضاً على تروس جنوده .

فالرؤيا اذاً ظهرت لقسطنطين في اثناء زحفه على مكسنس لا في محاربته الفرس ، وعلى جسر ميلفيوس ، وليس في تل رامح . ولا يُعقل ان يرتكب القديس كيرلس مثل هذا الخطأ وهو معاصر لقسطنطين . فالميمر اذاً ليس له .

زد على ذلك ان والدَي قسطنطين لم يكونا مسيحيَين ، كما يدّعي صاحب الميمر . فوالده قسطنس كلوروس عاش وثنياً ومات وثنياً . ووالدته هيلانة لم تتنصر الا بعد ان تسنّم ابنها عرش رومية سنة ٣١٢ م ، ولا يُعرف تاريخ عمادها . وهل يُعقل ان يكون والداه مسيحيَّين ويظلّ هو جاهلاً علامة الصليب ؟ فضلاً عن انه لم يتنصر الا قبيل وفاته سنة ٣٣٧م من اسقف نيقوميدية الاريوسي .

فنجيب اولاً ان لاكتنس انفرد وحده بذكر جسر ميلفيوس على التبر ، وروايته ، على رأي يوحنا روسي الاثري الشهير وغيره يصعب تصديقها[2] . وهو لم يصرّح لنا من اي مصدر استقاها . امن الملك نفسه ام من حاشيته . وقد راجت في عهده اشاعات شتى عن رؤى عديدة كانت تظهر فيها الالهة لقسطنطين قبل كل معركة يخوض غمارها[3] . وبينما لاكتنس يقتصر على ذكر حلم تراءى

١) فرنسة وانكلترة
٢) كابرول ع ٢٦٦٧ حاشية ٢
٣) كابرول ع ٢٦٦٦

لقسطنطين في المنام نرى اوسابيوس مؤرّخه وامين سره يتكلم عن رؤيا ظهر فيها الصليب قبيل الغروب لقسطنطين ولكل جيشه ، وعن حلم ظهر فيه المسيح له مع علامة الصليب وامره ان يتخذها له شارة . وهو لم يعين مكان الرؤيا بل يُفهم من سياق كلامه انها كانت في بدء زحفه على رومية اي في غالية ، او على حدود ايطالية الشمالية . وهو يخلط ايضاً بين الشارة التي اتخذها قسطنطين من حرفي اسم المسيح ☧ او ☧ ورسمها على رايته *labarum* وعلى تروس جنوده ، وبين علامة الصليب نفسها . ويدّعي ان الملك امرّ له بهذه الرؤيا في آخر حياته . فالرؤيا حدثت في سنة ٣١٢ ، وكتبها اوسابيوس بعد موت قسطنطين سنة ٣٣٧ . فكيف بقيت سرًا طيلة هذه المدة وقد شاهدها الجيش كله[1] ؟

كل هذه المناقضات حملت العلماء على الشكّ في امر هذه الرؤيا والوقوف موقف الحذر في تصديق تفاصيلها ، مع ان راوِيَيها معاصران لقسطنطين واحدهما امين سره والمرجع الاوثق لكل ما يختصّ به وبعصره . فهل يجوز نقض رواية القديس كيرلس استنادًا الى مصدر مشكوك فيه ومتناقض ؟

ثانياً الرؤيا حدثت سنة ٣١٢ اي قبل ولادة القديس كيرلس بسنة ، اذا كانت ولادته سنة ٣١٣ ، وبثلاث اذا كانت سنة ٣١٥ . فهو غير معاصر لها . فضلًا عن ان الميمر يصف مصرع الملك يوليانوس الجاحد سنة ٣٦٣ . فهو لم يُلقَ قبل هذا التاريخ . وسنورد لك ما يرجح القاءه في آخر حياة القديس كيرلس . فان قدّرنا ان القديس اخطأ في تعيين مكان الرؤيا فلا حرج عليه ، فقد رواها بعد حدوثها بخمسين او بخمس وستين سنة ونيف . ولعله استند الى رواية مغلوطة في هذه النقطة او تأثر من ذكر الحرب التي نشبت ما بين النهرين بين الرومان والفرس ودامت سنة كاملة[2] . وقد اعلن هو نفسه في الميمر انه غير شاهد عيان بل انه يرويها « عن الآباء المعلمين الذين كتبوها »[3] . فخطأه

---

١) هذه الملاحظة للاب كلير ذاته . كايرول ع ٢٦٦٦

٢) راجع معجم اللاهوت للاب فاكان مج ٣ ع ٢٥٣٦

٣) صفحة ٢٢٢ من مخطوطة بكركي

هذا ، اذا كان هناك خطأ لا ينفي نسبة الميمر اليه.

ثالثاً اما ادعاء المعترضين ان والدَي قسطنطين كانا وثنيَّين ففيه نظر . لان والده قسطنس ، ان لم يتظاهر بالنصرانيَّة ، فقد تظاهر بالعطف على المسيحيين وبعبادة « الاله الواحد » ، اي اله المسيحيين . وكان يلجأ اليه في كل محنة ومهنة وينسب اليه كل توفيق ونجاح . ويستنكر اضطهاد رئيسيه الامبراطورين ديوقلسيانوس ومكسيميانوس المسيحيّين واتكالهم على كثرة الآلهة[1] . اما هيلانة فلا نعرف تاريخ عمادها فلا يمكننا الجزم بامرها . ولعل نصرانيَّتها ونصرانيَّة زوجها لم تبلغا النضج في عهد حداثة ولدهما . والملوك لا يتعاطون تربية اولادهم رأساً . وقد طلّقها قسطنس سنة ٢٩٣ ، حين لم يكن ابنها قد تجاوز الثالث عشرة ، اذا كان من مواليد سنة ٢٨٠ ؛ لانه رأى ان لقب « قيصر » الذي مُنحه تلك السنة لا يتفق واصلها الوضيع[2] . اما ولدها فقد قضى حداثته وشبابه بعيداً عنها ، في جيشي ديوقلسيانوس وجاليريوس . ولم يعد الى وطنه الا قبيل وفاة والده ، فبايعه الجيش في ٢٥ تموز سنة ٣٠٦ خلفاً له على غالية وبريطانية . والوثنيَّة كانت منتشرة في كل الامبراطورية الرومانية ، والنصرانية ضعيفة مضطهدة.

رابعاً اذا تركنا تعيين المكان جانباً ، وجدنا رواية ميمرنا عن رؤيا قسطنطين اصح من غيرها واقرب الى التصديق . فالميمر يتجنّب الصعوبات التي تعترض تلك الروايات والمناقضات التي تسقط فيها ، بل انه يوفق بينها . فقسطنطين ، حسب ميمرنا ، قد رأى علامة الصليب بينما كان ممتداً على فراشه متفرساً في السماء يتفكّر في المعركة ومصيره . وفي الغد شاهد ، وهو يتعقب العدو ، ملائكة في السماء شاهرين السيوف يطاردونه . والميمر يتفق مع المؤرخين في ان الملك كان عندئذٍ غير متنصر ، لا يعرف علامة الصليب ، وان الرؤيا حدثت في بدء عهده بالملك وفي زمان الطرد ، اي الاضطهادات ، وانه شاهدها

---

١) كابرول مج ٣ ع ٢٦٦٣ ، وهو يستند في ذلك الى قول اوسابيوس نفسه في ترجمته لقسطنطين مج ١ فصل ٢٧ رقم ٣   ٢) كابرول ع ٢٦٢٤ و٢٦٢٥

ليلة المعركة الفاصلة ، وصاغ على اثرها صليباً من ذهب مرصعاً بالحجارة الكريمة جعله قدام الجيش فانتصر ، والغى الاضطهاد الذي كان ديوقلسيانوس قد شهره على المسيحيين ، وبنى للصليب كنيسة القيامة في اورشليم وحضر تكريسها اساقفة كثيرون ، وعيّن له عيداً رسمياً كان يدوم عدة ايام . وغير ذلك مما سوف تطالعه في الميمر ونشير اليه في تعليقنا.

٨ — الاساطير السريانية

وربّ معترض يقول : « لو سلّمنا ان القديس كيرلس لم يكن معاصراً لرؤيا قسطنطين في سنة ٣١٢ ، فقد كان معاصراً لاكتشاف قبر المسيح حوالي سنة ٣٢٦ ، وبالاحرى شاهداً لاكتشاف الصليب المقدس بين سنتي ٣٣٥ و٣٤٧ م. ولما كانت رواية الميمر لا تختلف في اغلاطها التاريخيّة عن رواية الاساطير السريانيّة الملفّقة ، فالميمر ليس له . »

نحن لا ننكر وجاهة هذا الاعتراض ، بل نعدّه اكبر حاجز يقف بين الميمر وصحة نسبته الى القديس كيرلس . وللرد عليه لا بدّ لنا من التمهيد بكلمة نقولها في هذه الاساطير وفي اهم ما يوجّه الى رواياتها من الانتقاد ، ليتسنى لنا مقارنة ميمرنا بها ، ومعرفة درجة نسبته اليها ، فنحكم في درجة نسبته الى القديس كيرلس . ولا ريب عندنا ان القراء يسلّمون بضرورة هذا التمهيد ، فضلاً عن فائدته . لان الاساطير المذكورة من اقدم ما لدينا عن اكتشاف القبر والصليب ، وهي مبنية على الاشاعات التي راجت في القرن الرابع حول هذا الاكتشاف . فنقدها يفرز لنا غثّها من سمينها.

وقد رأينا ان نراجعها بنفسنا لنلخص للقراء رواياتها ، وان نقتطف المعلومات عنها من مقدمة ناشرها ، والاعتراضات عليها من مقالات الاب لكلير المذكور اعلاه ، المنشورة في « معجم الآثار المسيحيّة » الذي يشرف عليه مع الاب كابرول[1]

---

١) كابرول مج ٣ : ع ٣١٣١-٣١٣٩ عند كلمة *Croix* اي الصليب ومج ٦ : ع ٢١٢٢-٢١٣١ عند كلمة *Hélène* اي هيلانة

في سنة ١٨٧٤ عثر السيد روبرت هونتنجتون (Huntington) في مدينة حلب على مخطوط سرياني قديم، كتب بالحرف الاسطرنجلي، يحتوي قصص قديسين، بينها قصتان ترويان حكاية اكتشاف القبر والصليب. فاودعها المتحف البريطاني بلندرة (*British Museum*) وعني المستشرق ابرهارد نستله بنشرهما والتعليق عليها، وبالحاق قصة ثالثة بها، نقلاً عن نسخة قديمة جداً محفوظة في مكتبة باريس الوطنية[1].

ولنبدأ بخلاصة اقدم هذه الاساطير والمخطوطات، اي مخطوطة مكتبة باريس الوطنية الموضوعة تحت رقم ٢٣٤، التي ترتقي نسختها، حسب رأي العلماء، الى اواخر القرن الخامس او اوائل السادس[2]. وهي تروي قصة اكتشاف الصليب لاول مرة بسعي القديسة بطرسية ܦܛܪܘܢܝܩܐ زوجة كلوديوس قيصر. هذه قصدت الى اورشليم في عهد يعقوب الرسول وأمرت اليهود ان يأتوها بصليب السيد المسيح، فجاؤوها بثلاثة صلبان لم تعرف ايها الحقيقي. وفي هذه الاثناء ماتت ابنتها فوضعت عليها الصليبين الاول والثاني بدون جدوى، ولما وضعت الثالث قامت الفتاة من الموت. فعرفت والدتها انه صليب المسيح وبنت له كنيسة فخمة، فضلاً عن كنيسة اخرى شيدتها على الجلجلة.

اما مخطوطة المتحف البريطاني[3] رقم ١٤٦٤٤ من ملحق فهرس مخطوطاته السريانية، فرجعها العارفون الى اوائل القرن السادس. وهي تنسب اكتشاف الصليب الى القديسة هيلانة والدة قسطنطين وتعطيها الدور الذي اعطته الاسطورة السابقة الى القديسة بطرسية. فقد جاءت الى اورشليم في ٢٨ ايار سنة ٣٥١[4] فوجدتها خربة، ينزل في جوارها نحو ثلاثة آلاف يهودي. ولما

---

١) Eberhard Nestle : *De Sancta Cruce*. Berlin. H. Renthers Verlagsbuchandlung. 1880.

٢) راجع في تاريخ هذه النسخ معجم كابرول مج ٣: ع ٣١٣٣ في الحاشية ١٠

٣) راجعها في نستله صفحة ٢٥-٣٦

٤) اذا لم يكن هذا الرقم خطأ من الناسخ فقد خلط واضع الاسطورة بين تاريخ اكتشاف القبر والصليب وتاريخ اعجوبة ظهوره لامعاً في سماء اورشليم بين القبر والجلجلة، التي كتب فيها القديس كيرلس رسالته الى قسطنس سنة ٣٥١

سألتهم عن مكان الصليب قدموا لها الفًا من علمائهم . فوبختهم على قساوة قلوبهم وصمّ آذانهم عن تعاليم المسيح ، ثم امرتهم ان ينتخبوا من يجيبها على بعض اسئلة تطرحها عليهم . فاختاروا منهم خمسمائة ، بينهم يهوذا ، الذي اسرّ الى رفقائه ان والده سمعان حدّثه عن جدّه زكي ان المسيح صُلب على القرقفة ܩܪܩܦܬܐ . ولما ضايقت الملكة اليهود في السؤال وتوعدتهم بالتعذيب، ان تمنعوا عن اجابة مطلوبها ، قدموا لها يهوذا المذكور . هذا انكر في بدء الامر معرفته بمكان الصليب ، انما بعد ان طرحته في بئر لا ماء فيها ومنعت عنه الشرب والطعام وعدها في اليوم السابع ان يبوح بما لديه . فقصد بجمهور من المسيحيّين الى القرقفة ، حيث صلّى قائلاً : اذا كان الرب يرغب في ان يملك ابن مريم على الارض ، واذا كان ابن مريم المسيح المنتظر ، فلتصعد من هذا المكان رائحة بخور . فصعدت . وحفر نحو عشرين ذراعاً ، بمعاونة الحاضرين ، فوجد ثلاثة صلبان حملها الى الملكة ، التي كانت تنتظر في المدينة . وفي الساعة التاسعة مرّت من هناك جنازة شاب فوضع يهوذا عليه الصليبين الاولين بدون فائدة ، ولما وضع الثالث قام حيّاً . وكان الشيطان في احد الحضور فصرخ متهدّدًا « اني غلبتُ العالم بيهوذا الاول ، وغُلبتُ بك الآن يا يهوذا الثاني . فانا ذاهبٌ الى ملك آخر يقتصّ منك »[1] . فانتهرهُ يهوذا واخرجه من الرجل . واخذت الملكة الصليب ، ورصّعته بالجواهر ، وحفظته في ذخيرة ثمينة اودعتها كنيسة عظيمة اقامتها له على القرقفة . اما يهوذا فعمّده اسقف اورشليم . ولما توفي هذا الاسقف اوعزت الملكة الى اوسابيوس اسقف رومية ، الذي كان حاضرًا ، ان يسقّف يهوذا مكانه ، فرسمه واطلقت الملكة عليه اسم قرياقوس . ثم طلبت اليه ان يبحث عن مسامير المسيح . فتوجه يهوذا - قرياقوس الى المكان نفسه ، وشاهد هناك نورًا ساطعاً كالشمس والمسامير تلمع كالذهب . فحملها الى الملكة التي صاغتها لجاماً لفرس ابنها قسطنطين ليحرسه في ذهابه وايابه وينصره في الحروب . ووقفت الملكة اموالًا طائلة على

---

١) اشارة الى استشهاد يهوذا المذكور في عهد ادريانوس قيصر .

المساكين والكنائس وجعلت قرياقوس قيّماً عليهـا ، وعيّنت لاكتشاف الصليب عيداً سنوياً .

ويختم المخطوط القصة بقوله : « هذه قصة ظهور الصليب للمرة الثانية » ، مشيراً بذلك الى ظهوره لاول مرة على يد بطرسية الملكة القديسة التي حلت ، كما ترى ، هيلانة الملكة القديسة محلها في القصة الثانية .

اما الاسطورة الثالثة فواردة في المخطوطة رقم ١٢١٧٤ من ملحق فهرس المخطوطات السريانية في المتحف البريطاني[١] . ترتقي نسختها الى القرن الثاني عشر ، وتجمع بين اسطورتي الملكتين بطرسية وهيلانة وتلحمها ببعضها . فتدعي ان الملكة بطرسية استصدرت ، عند عودتهـا الى روميـة ، امراً من زوجهـا كلوديوس قيصر باخراج اليهود منها . بيد ان الملك طرايانوس الاثيم اضطهـد المسيحيين وعزز اليهود . فسعوا في حبس شمعون بن قيلوفـا ، خليفـة يعقوب الرسول على اسقفية اورشليم ، واستولوا على الصليب وطمروه . فبقي مطموراً مدة ولاية اساقفة اورشليم الاربعة عشر الاولين .

وفي شهر كانون الثاني اجتمع البرابرة على نهر الـدانوب[٢] ليعبروه ويخربوا مملكة الرومانيين . فتوجه قسطنطين لصدّهم . وفي الليلة التي كانوا ينوون في غداتها ان يعبروا النهر رأى في السماء صليباً من نور يحمله ملاك من نور . وعليه كتابة : « بهذه العلامة تنتصر »

وفي الغد امر ان يصنعوا له مثل هذه العلامة وتواقع مع البرابرة فدحرهم . ثم عرف من احبار المسيحيّين ، الذين كانوا يُدعون في ذاك العهد نصارى ، ان

---

١) نشرها نستله في الصفحات ٧–١١ من كتابه ، والاب بدجان الكلـداني في الجزء الاول من مجموعة قصص الشهداء صفحة ٣٢٦–٣٤٢

٢) نهر يصبّ في ممالك اوربة الوسطى . وقد اصلح بدجان اسمه باسم [illegible] اي النير ، مع ان الاسمين لا يتشابهان في الكتابة . وهناك اساطير لاتينية تذكر ايضاً ان رؤيا قسطنطين صارت على نهر الدانوب في السنة السادسة لملكـه . راجع مخطوطـة باريس في مجموعة الوثائق عن اكتشاف الصليب لهولدر A. Holder, *Inventio Sanctæ Crucis*. Paris. 1889. P. 1 Secundum cod. Paris. N° 2761.

هذه العلامة للمسيح ، فاستدعى اوسابيوس اسقف رومية وتلقن منه مبادئ الديانة المسيحيّة واعتمد من يده هو واهل بلاطه . واوفد والدته هيلانة الى اورشليم برفقة الاسقف اوسابيوس المذكور لتبحث عن الصليب ، وتقيم له كنيسة لائقة به . فقصدت اليها في شهر آب واستدعت علماء اليهود . فتقدم الف اختاروا منهم ثلاثين ، بينهم يهوذا الذي اسرّ الى رفقائه بما يعلمه عن مكان الصليب نقلاً عن والده ، الذي عرف من الكاهن زكي ، نيقوديموس الانجيل ، انه مطمور في الجلجلة ، لا في القرقفة . . . الى آخر ما جاء في الاسطورة الثانية عن كيفية اكتشاف القبر والصليب والمسامير وبناء الكنيستين ، وتعميد اوسابيوس ليهوذا وتسقيفه على اورشليم ، مما لا حاجة الى تكراره ، لانه مطابق الاسطورة التي سبقتها.

٩ — تآلفها واسها التاريخية

١ً نشأتها

فانت ترى ان الاسطورة الثالثة تضم الاسطورتين السابقتين وتلحمها بقولها ان عود الصليب الذي استخلصته القديسة بطرسية من ايدي اليهود ، عاد هؤلاء فطمروه لما تقووا في عهد طرايانوس وظل مطموراً حتى جاءت القديسة هيلانة فاخرجته من الردم وبنت له كنيسة عظيمة. وقد تضمنت هذه الاساطير من المبالغات والاختلاقات والاغلاط ما حدا العلماء الى الاعتراض عليها وتفكيكها قطعة قطعة. فتركوها آلة لا نظام لها ولا حراك ولا قيمة ، وعدّوها ملفقة ، مع تسليمهم بانها قديمة في نشأتها ونسخها ، ومستندة الى بعض حقائق تاريخية .

واليك خلاصة آرائهم فيها ، نأخذه عن مقالات الاب لكلير المذكور :

في اواسط القرن الرابع نشأت في كنيسة الرها اسطورة القديسة بطرسية . تجدها في كتاب تعليم أداي الحاوي للاساطير الحائمة حول نشأة هذه الكنيسة . وهي موضوع المخطوطة الباريسية رقم ٢٣٤ ، المنسوخة على الارجح في اواخر

القرن الخامس .

وبعد مضي زهاء ثلاثين سنـة ، اي في العشرين سنـة الاخيرة من القرن الرابع ، حلّت القديسة هيلانة الملكة محل القديسة بطرسيـة الملكة . فجاءت مثلها الى اورشليم ، واستعلمت مثلها من اليهود عن الصليب ، ووجدت مثلهـا ثلاثة صلبان، وعرفت مثلها الصليب الحقيقي من اقامته الميت ، وبنت له مثلهـا كنيسة كبيرة .

اما قصة يهوذا ، الذي دلّها على مكان الصليب وتنصّر ثم سيم اسقفاً على اورشليم باسم قرياقوس ، فقد نشأت في مخيلة مسيحيي فلسطين ، الذين ادعَوا يهوذا المذكور بقرياقوس اسقف اورشليم الخامس عشر المستشهَـد حسب قول اوسابيوس ، في عهد ادريانوس . ولما بلغت هذه القصة الى الرها تألفت منهـا اسطورة هيلانة - قرياقوس موضوع المخطوطة رقم ١٤٦٤٤ من المتحف البريطاني، المنسوخة ، على الارجح ، في اوائل القرن السادس .

ثم ضمت الاسطورتان معاً في الرهـا ايضاً ، للتوفيق بينها ، وتـألفت منها اسطورة بطرسية - هيلانة - يهوذا - قرياقوس ، موضوع المخطوطة الثالثة الاحدث عهداً رقم ١٢١٧٤ من المتحف البريطاني ، التي ترتقي نسختها كما قلنا الى القرن الثاني عشر .

فاصبح اكتشاف الصليب مرتين : الاولى على عهـد يعقوب الرسول بسعي القديسة بطرسية ، والثانية على عهد قسطنطين الملك بسعي والدته هيلانة . وفي اواخر القرن الرابع كانت هذه الاساطير قد شاعت في كل النصرانية فردّدها مؤرخون ولدوا في اوائله ونسبوا الى القديسة هيلانة ، التي زارت اورشليم في الربع الاول منه ، فضل اكتشاف الصليب المقـدس : كالقديسين امبروسيوس ، ويوحنا فم الذهب ، وبولينوس من نولي،والمؤرخين سولبيس ساويرس وروفينوس الاكويلاني . ومن اليونانيين سقراط وسوزومين وثاودوريطوس .

ومما لا شك فيـه ان حكاية اعتماد قسطنطين ويهوذا من يد اوسابيوس اسقف رومية مصدرها رهاوي . لانه لا يعقل ان غريباً يخلط بين هذا الاسقف واوسابيوس اسقف نيقوميدية ثم اسقف القسطنطينية ، الذي عمد قسطنطين في

آخر حياته. ولهذه الاسباب نبذ المؤرخون الغربيون هذه الاسطورة بعد ظهورها بنصف قرن.

٢ً اسسها التاريخية

ولننظر الآن ما لهذه الاساطير من الاسس التاريخية، ملخصين مقالة الاب الكلير في هذا الصدد[1]

في بدء القرن الرابع كان القبر المقدس في حالة يرثى لها. فقد كان مطموراً في تلّ من التراب المكدَّس، يعلوه هيكل الزهرة الهة العشق. ففكر قسطنطين الملك في ان يضع حداً لهذه الاهانة اللاحقة بالصليب المقدس، وامر بهدم هيكل الزهرة ورفع الانقاض والردم. ولما ظهرت مغارة القبر امر بان تقام عليه كنيسة فخيمة، قدمت المقاطعات الشرقية نفقاتها. وكتب الملك الى مكاريوس اسقف اورشليم ان يسهر على فخامة البناء، والى دراسيليانوس، حاكم المقاطعة، ان يشرف على الاعمال ويؤمّن سيرها.

عرفنا هذه التفاصيل من المؤرخ اوسابيوس، الذي اثبتها في ترجمة قسطنطين[2] وزاد عليها قوله: ان كنائس اخرى اقيمت في بيت لحم وعلى جبل الزيتون بعناية هيلانة والدة الملك، حين زارت فلسطين سنة ٣٢٦[3]

وفي سنة ٣٣٥ تمت كنيستا القيامة والجلجلة وحضر تدشينهما الاساقفة العائدون من مجمع صور، حيث حطوا القديس اثناسيوس الاسكندري عن كرسيه، لاسباب سيأتي ذكرها. وقد اسهب اوسابيوس في وصف فخامة الكنيستين وافادنا ان قسطنطين عيّن لتدشينهما عيداً رسمياً في كل الامبراطورية كان المؤمنون يتقاطرون من كل الجهات الى اورشليم لحضوره.

اما ميعاد اكتشاف الصليب فلا علم لنا به.

وقد انبأتنا السائحة أثيريا الفرنسوية، التي زارت فلسطين في اواخر القرن الرابع، ان الصليب ظهر في احد اعياد تدشين الكنيستين. وعرفنا من غير

---

١) راجع كابرول مج ٣: ع ٣١٣٦–٣١٣٧

٢) كتاب ٣: فصل ٢٦ ٣) فصل ٢١

وثائق ان حفلة تكريم الصليب ، التي كانت قسماً من حفلة التدشين ، ما عتمت ان فاقتها اهمية واصبحت اكبر مظاهرها.

بيد اننا لا نرى ذكرًا للصليب قبل سنة ٣٤٧ ، ولا ذكرًا لعلاقة القديسة هيلانة باكتشافه قبل اواخر القرن الرابع.

ففي سنة ٣٤٧ يشير القديس كيرلس الاورشليمي ، في مواعظه ، الى تزاحم المؤمنين للفوز بذخائر عود الصليب[1] . وقد عُثر في جزائر الغرب على كتابتين تشيران الى « خشبة الصليب المقدس » ، ترتقي الاولى منهما الى سنة ٣٥٩

وفي سنة ٣٦٣ نرى يوليانوس الجاحد يتهم المسيحيين بعبادة خشبة الصليب. وكانت القديسة ماكرينا ، شقيقة القديس غريغوريوس النيصي ، تحمل في سنة ٣٧٩ ذخيرة عود الصليب . وقد وصفت السائحة أثيريا ، في سنة ٣٨٥ ، الاسقف حاملاً بين يديه ذخيرة عود الصليب في حفلة الجمعة الحزينة والمؤمنين مزدحمين حوله للتبرك منها[2] . واردفت بقولها : ان الصليب وُجد في احد اعياد تدشين كنيستين ، دون ان تذكر علاقة القديسة هيلانة باكتشافه . انما اخبرتنا ان قسطنطين امر ببناء الكنيستين بحضور والدته . وبعد هذا التاريخ تُعطى القديسة هيلانة الدور الاول في حادثة اكتشاف عود الصليب :

ففي سنة ٣٩٥ نسمع القديس امبروسيوس ، في اثناء رثائه للملك تيودوسيوس[3] ينسب اليها فضل اكتشاف خشبة الصليب . كذلك القديس يوحنا فم الذهب ، في عظته عن مار يوحنا ، التي لفظها بين سنتي ٣٩٠ و٣٩٥ يقول قوله ويضيف اليه ان « الحفريات قد اظهرت ثلاثة صلبان كان اوسطها حاملاً الكتابة المذكورة في الانجيل ، فعُرف منها انه الصليب الحقيقي»[4]. وفي سنة ٤٠٢ يؤكد لنا المؤرخ روفينوس[5] ، وعنه اخذ سقراط[6] ، ان مكان الصليب

---

١) العظة ٤ رقم ١٠ ، والعظة ١٠ رقم ١٩ ، والعظة ١٣ رقم ٤ ، من مجموعة مين للاباء اليونان مج ٣٣ ع ٤٦٩،٦٨٨،٧٧٦

٢) هي تعني القديس كيرلس الاورشليمي لانه توفي في سنة ٣٨٧ كما سبق القول.

٣) مجموعة مين للاباء اللاتين مج ١٦ ع ١٣٩٩

٤) مجموعة مين للاباء اليونان مج ٨٥ رقم ١

٥) روفينوس : تاريخ الكنيسة مج ١ ف ٧و٨

٦) مج ١ ف ١٧

كان مجهولاً قبل مجيء هيلانة الى اورشليم ، انما الرب قد الهمها فأمرت بالحفر ووجدت ثلاثة صلبان حارت في ايها الحقيقي . فاستحضر القديس مكاريوس امرأة مشرفة على الموت ، نالت الشفاء التام بمجرد لمس الصليب الحقيقي ، فشيدت له هيلانة كنيسة عظيمة.

وفي هذه السنة ايضاً ٤٠٢ يخبرنا القديس بولينوس من نولي[١] وسولبيس ساويرس المستقي منه[٢]، ان الملكة استرشدت الى مكان الصليب من اجماع آراء اليهود ، فأجرت الحفر. ولما ظهرت الصلبان ، استحضرت ، هي لا مكاريوس، جثة ميت ، لا مريضة ، وعرفت الصليب المقدس من اعجوبة اقامته.

واقدم الشهادات عن الصليب هي للقديس كيرلس الاورشليمي . ففي الرسالة التي اوفدها سنة ٣٥١ الى الملك قسطنس ابن قسطنطين يعلمه بانتخابه اسقفاً على اورشليم ، ويخبره عن اعجوبة ظهور صليب من نور في الجو بين الجلجلة وجبل الزيتون ، شاهده كل سكان اورشليم . ويبدأ كلامه بقوله «في عهد والدك ، ذي التقى والذكر الصالح ، وُجدت في اورشليم خشبة الصليب المقدس . لان الله انعم على هذا الرجل بان يجد الاماكن المقدسة.»[٣]

وقد انكر بعضهم نسبة هذه الرسالة الى القديس كيرلس للفقرة الاخيرة الواردة فيها عن الاستحالة . انما يعتقد اغلبهم بصحة نسبتها وان الفقرة دخيلة.

١٠ — الاعتراض عليها

يلخص الاب لكلير ، في مقالاته المنشورة في معجم الآثار ، آراء الذين سبقوه في درس هذا المشكل التاريخي وانكروا علاقة القديسة هيلانة باكتشاف القبر والصليب وبناء كنيسة القيامة وحججهم :

١ — سكوت المعاصرين عن ذكر خشبة الصليب قبل سنة ٣٣٧

٢ — لم ينسب احد الى الملكة هيلانة فضل اكتشاف الصليب قبل

---

١) رسالة ٣١ رقم ٢ ٢) التاريخ المقدس مج ٢ ف ٣٣

٣) مجموعة مين للاباء اليونان مج ٣٣ ع ١١٦٨

سنة ٣٩٠

٣ ــ لم تزر هذه الملكة اورشليم قبل سنة ٣٢٦ ، وقد بلغت الثانين ولم يبقَ امامها من الحياة سوى سنتين او ثلاث.

فقسطنطين في رسالته الى مكاريوس ، التي يوصيه فيها بالسهر على فخامة بناء كنيستي القيامة والجلجلة ، لا يذكر اكتشاف الصليب ولا علاقة والدته به.

ناهيك عن ان مؤرخه اوسابيوس ، الذي اسهب في ترجمة حياته وذكر زيارة والدته لبيت لحم وجبل الزيتون سنة ٣٢٦ ، لم يأتِ بذكر حفريات الجلجلة ولم يشر بكلمة الى الدور الذي نُسب الى الملكة في اواخر القرن الرابع بانها شرعت في التحقيق عن مكان الصليب ، وامرت بالحفر للبحث عنه، واقامت له كنيسة بعد ظهوره.

وهكذا قل عن القديس كيرلس الاورشليمي ، الذي اشار في رسالته الى قسطنس الى اكتشاف الصليب في عهد والده ، وذكر في عظاته انتشار عبادة الصليب وذخائره ، قد سكت سكوتاً تاماً عن علاقة والدته به.

والسائحة أثيريا التي زارت اورشليم سنة ٣٨٥ قد اخبرتنا ان الصليب اكتشف في اثناء تدشين كنيستي القيامة والجلجلة سنة ٣٣٥ ، اي ثماني سنين بعد اكتشاف القبر ، دون ان تشير بكلمة الى القديسة هيلانة.

وهَب ان القبر ظهر قبل الصليب ، وان الصليب لم يكن مدفوناً في القبر بل في مكان الصلب نفسه ، وانه لم يكن بعد قد اكتشف حين كتب قسطنطين رسالته الى مكاريوس ، فكيف نفسر سكوت اوسابيوس المؤرخ عن هذا الحادث ، وهو قد كتب حياة قسطنطين بعد وفاته سنة ٣٣٧ ، والاسطورة السريانية تدعي ظهور الصليب سنة ٣٢٦ . هذه العقدة لا تُحلّ . فالعقل لا يتصور ان قسطنطين واوسابيوس ، المتحمسين لظهور القبر ، لا يكترثان البتة لاكتشاف الصليب.

زد على ذلك ان سائح مدينة بوردو ، الذي زار اورشليم سنة ٣٣٣ ووصف عمود الجلد ودار قيافا وايوان بيلاطس وجبل الجلجلة ومغارة القبر وكنيسة القيامة ، كيف امكنه السكوت عن ذكر الصليب المقدس ، لو كان

الصليب موجوداً .

وخلاصة القول : ليس لدينا دليل على ان الصليب قد وُجد في سنة ٣٢٦ ، حين زيارة القديسة هيلانة لاورشليم ، ولا قبل سنة ٣٣٣ التي حجّ فيها سائح بوردو الى المدينة المقدسة ، ولا قبل سنة ٣٣٥ ، التي قصد فيها المؤرخ اوسابيوس الى هذه المدينة لحضور حفلة تدشين الكنيستين .

بيد انه يتحتم علينا ان نحدد ميعاد اكتشافه قبل سنة ٣٤٧ ، التي وصف فيها القديس كيرلس تهافت المؤمنين على اكرام ذخيرته والحصول على جزء منها ، وبعد سنة ٣٣٥ التي حضر فيها اوسابيوس حفلة التدشين . انا نجهل زمان هذا الاكتشاف والظروف التي احاطت به . هل كان في سنة ٣٣٥ ، التي تكرست فيها الكنيستان ، كما يستدل من اقوال السائحة أثيريا ، وما هي الوسائل التي اتخذت لمعرفة مكانه وتمييزه عن الصليبَين الآخرين ؟ هل استرشدت الملكة باقوال اليهود ام خضعت لالهام الهي ؟ هل عرفته من اقامة الميت ام من شفاء المريضة التي استحضرها الاسقف مكاريوس ؟ ... فالاقوال متناقضة بهذا الخصوص . ومهما كان الامر فليس لدينا اشارة الى علاقة هذه الملكة باكتشاف الصليب قبل سنة ٣٩٠ . ففي هذا الحين تظهر الملكة فجأة في هذا الحادث وتمثل فيه دوراً مهماً ، كما ان الآراء فيه تتعدد وتتضارب ، مما يحملنا على الشك في الامر ، ان لم نقل على نبذه كرواية خيالية .

اما الليتورجيّة فلا تطفئ لنا غلة بهذا الصدد . جاء في المونولوج الباسيلي انه بعد تدشين الكنيستين سنة ٣٣٥ : أذن للشعب في مشاهدة عود الصليب للمرة الاولى . وقد جاءت هذه الوثيقة متأخرة فلا يسعنا التعويل عليها .

وقد عرفنا من سوزومين المؤرخ (٤٤٣-٤٤٤) انه تعين لتدشين الكنيستين عيد رسمي كان يدوم ثمانية ايام ويُحتفى به في كل الامبراطورية . انما لا يذكر عيداً خاصاً بارتفاع الصليب . اما اسكندر الراهب الذي عاش في القرن السادس ، فيؤكد لنا ان الآباء القديسين ، بناء على ايعاز الملك قسطنطين ، حددوا يوم ١٤ ايلول عيداً واحداً لتدشين الكنيستين ولظهور الصليب . وقد كانت حفلة ارتفاع الصليب هپسوزيس ὕψωσις أحد اقسام حفلة التدشين ،

وما لبثت ان اصبحت اكبر مظهر فيها ، كان المؤمنون يتوافدون من كل انحاء الامبراطورية لحضورها . وجاء في قصة مريم المصرية انهـا ركبت البحر من الاسكندرية في سنة ٣٨٠ برفقة الحجاج المسيحيين القاصدين الى القدس لمشاهدة حفلة ارتفاع الصليب . ولما شاهدت الخشبة التي عُلق عليها الفادي الالهي تخشعت وآمنت وتابت توبة نصوحة . وجاء في سياحة اثيريا ان عيد التدشين يُحتفى به احتفاء عظيماً ، لان فيه قد وُجدت خشبة الصليب ، وان الآباء قـد وحدوا العيدين زيادةً في حفاوتها وفي سرور المؤمنين ، واردفت بقولها : « ان الجماهير كانت ترد لحضور هذا العيد العظيم من عدة مقاطعات : من بين النهرين وسورية ومصر العليا والسفلى . » وكلاهما يثبت ان عيد ارتفاع الصليب كان منذ ذاك العهد يحتفى به في الرابع عشر من ايلول . وقـد وافقها في ذلـك القديس تيودوسيوس . وذكر المؤرخان ثاودوريطوس وثاوفانوس ان الخشبة المقـدسة قسمت الى قسمين . الاول اودع ذخيرة ثمينة من فضة ابقيت في اورشليم ، والآخر حُمل الى القسطنطينية حيث اجتمعت ، فيما بعد الذخـائر الثلاث ، كما ذكرنا ، وبلغت الحفاوة بها حدًا بعيدًا من الابهـة . ويرجح الاب الكلير ان تعميم هذا العيد على الشرق كله يرجع الفضل فيه الى العاصمة البيزنطية . وقد كان يجري الاستعداد له في الايام الاربعة السابقـة . وتقام حفلـة الارتفاع « هيسوزيس » في الرابع عشر . ويُختم العيد في الاحد التالي .

١١ — نقد النقد

ولننظر الآن اولًا ما قيمة هذه الاعتراضات . ثانياً هل يصح تطبيقها على ميمرنا . ثالثاً اذا صح تطبيقها عليه هل تنفي نسبته الى القديس كيرلس .

١ — قيمة الاعتراضات

قد مر بك ان اهم ما يستند اليه الاب الكلير والقائلون قولـه لانكار علاقة القديسة هيلانة باكتشاف القبر والصليب وبناء كنيسة القيامة ، او بالاحرى لانكار صحة معلومات الاساطير السريانية ، هو ، اولًا سكوت المعاصرين عن

هذا الاكتشاف وهذه العلاقة . خاصة قسطنطين في رسالته الى مكاريوس ، واوسابيوس في ترجمته لقسطنطين . ثانياً لم يذكر احد هذه العلاقة قبل سنة ٣٩٠ . ثالثاً لم تزر هذه الملكة فلسطين قبل سنة ٣٢٦ ، وكانت في سن الثمانين . رابعاً مغالاة الاساطير وتناقضها في تفاصيل الاكتشاف.

فليسمح لنا حضرته بلفت نظره اولاً الى ان السكوت عن امر لا يصح اتخاذه قاعدة لنفيه . فالسكوت عن اكتشاف الصليب لا ينفي ظهوره الا اذا ثبت ان رسالة قسطنطين الى الاسقف مكاريوس ذكرت كل ما له علاقة بالقبر والاماكن المقدسة ، وان تاريخ اوسابيوس ذكر كل ما له علاقة بقسطنطين ومعاصريه وانه وصل الينا كاملاً سالماً . وهذا ما لا يسلّم به احد . نعم ان مثل هذا السكوت يثير الشك انما لا ينقض وثيقة صريحة معاصرة ، الا اذا ظهرت وثيقة احقّ منها بالتصديق. والى ان يبرز لنا حضرته ومظاهروه مثل هذه الوثيقة ، لنا ملْ الحق ان نتمسك بما لدينا . لاسيما ان حضرته لم يتحفنا بسوى التأويلات والاوهام . واذا عثرنا في الاساطير على بعض المغالاة ، وفي روايات القرن الرابع على بعض التناقض ، فهي في التفاصيل الثانوية التي لا تجيز نبذ الاصل برمته . ولو تخلينا عن هاتين القاعدتين لقلبنا التاريخ رأساً على عقب.

فضلاً عن ان الاب لكلير نفسه يقول[1] في ترجمة قسطنطين التي نظمها اوسابيوس انها « عبارة عن تقريظ مقدّم لشخص جعله اليونان بين مصاف القديسين ، وغالوا منذ ذاك الوقت في مديحه ». فلا غروَ من ان يهمل المطرىْ في كتابه ما ليس لمترجمه فيه فضل ، او ان ينسب اليه ما لم يأته من الحسنات.

وقد راجعنا رسالة قسطنطين الى الاسقف مكاريوس فلم نجد فيها اشارة صريحة الى اكتشاف القبر المقدّس ، والارجح انه يشير الى اكتشاف الصليب والمسامير. فهو يتكلم عن ظهور « تمثال الآلام » (*monumentum passionis*)

---

١) كابرول : ع ٢٦٣٤

ولا يصح اطلاق هذا التعبير على القبر المقدس لان المسيح لم يتألم فيه بل على الصليب.

وقد داخلنا الريب في صحة الترجمة وعدنا الى النص الاصلي اليوناني[١]، فتحققنا خطأ المترجم لانه عبّر عن كلمة τὸ γνώρισμα بكلمة monumentum اي تمثال او بناء مع ان معناها الحقيقي « علامة ، شارة » . وهي لا تأتي بالمعنى الذي اختاره المترجم الا نادرًا او بصيغة الجمع لا المفرد ؛ كما نبّه الى ذلك اصحاب القاموس المطوّل المسمى «كنز اللغة اليونانية» المستندين الى الكتبة اليونان القدماء[٢] . اما بايلي الذي يستند في قاموسه الى القدماء والمتأخرين معًا[٣] ، كالآباء القديسين ، فلا يذكر مطلقًا هذه الكلمة بمعنى تمثال بل يكتفي بقوله: *Signe. Marque. Ce qui fait reconnaitre* اي علامة ، اي ما يستدلّ منه على الشيء..

وقد اصاب مترجم المؤرخ تاودوريطوس الذي اثبت نصّ هذه الرسالة[٤] فنقل الجملة المذكورة بقوله *passionis illius sanctissimæ signum* اي علامة آلامه المقدسة . ونجد ايضًا كلمة τὸ γνώρισμα بصيغة المفرد في سقراط المؤرخ[٥] الذي اورد نص هذه الرسالة.

فان صحّ القول بان قسطنطين يقصد بهذه الرسالة ظهور « اداة الآلام » اي الصليب والمسامير ، لا القبر وحده ، تسنى لنا للمرة الاولى ترتيب الحوادث التي سبقت ولحقت هذا الاكتشاف وتعيين سنة ٣٢٦ تاريخًا له ، وهدم رأي الاب لكلير والقائلين قوله بان الصليب ظهر بين سنتي ٣٣٥ و٣٤٧ ، وتعيين تاريخ الرسالة المذكورة.

---

١) Eusebius, *De Vita Constantini* 1. III. XXX P. G. 1090

٢) *Thesaurus Græcæ linguæ ab* Henrico Stephano. Carolus Bened. Hase, Gulielmus et Ludovicus Dindorfus... Parisiis. Firmin Didot, 1833, p. 688.

٣) A. Bailly. *Dict. Grec-Français.* Hachette. Paris, 1894 p. 411

٤) P. G. 82 col. 955

٥) Socr 1. IX P. G, 67, col. 95

وما يخوّلنا الحق في ذلك قول قسطنطين في هـذه الرسالـة «جاء هذا الاكتشاف العجيب على اثر تخلص المسيحيين من عدوّهم الاكبر» . وقد ادلى مترجم تاريخ اوسابيوس[1] ببراهين تدلّ على ان قسطنطين يقصـد «بالعدو» صهره ليشينيوس (Licinius) الذي كان يشاطره الملـك . فقد جدّد هـذا الاضطهاد على المسيحيين فحاربه قسطنطين ودحره في ١٨ ايلول سنـة ٣٢٩ ، واضطرّه الى التنزّل لـه عن حصته في المملكة الرومانيـة . ونحن نعلم ان ليشينيوس توفي سنة ٣٢٥[2] ، التي التأم فيها المجمع النيقوي ، في شهر آب . وان مكاريوس اسقف اورشليم عاد من هذا المجمع متسلحاً باذن من قسطنطين بان يهدم هيكل الزهرة الـذي كان يعلو قبر المسيح . وان الملكة هيـلانة وصلت الى اورشليم بعيد ذلك اي في سنة ٣٢٦ ، كما اخبرنا اوسابيوس نفسه. فهي اذًا قد اشرفت على اعمال رفع الانقاض عن القبر المقـدس فظهرت مغارة القبر وداخلها الصلبان والمسامير كما روى ميمرنا . وحضرت ايضاً مباشرة بناء كنيسة القيامة فوق الجلجلة التي ضمت ضمن جدرانها مكان الصلب والقبر. ولما علم قسطنطين بهذا الاكتشاف كتب الرسالة التي نحن بصددها الى مكاريوس اسقف اورشليم يكلفه السهر على زخرفة الكنيسة. ولعل قسطنطين يعني «باداة الآلام» القبر والصليب والمسامير معاً وقد ظهرت كلها في آن واحد كما يروي القديس كيرلس في الميمر.

كل هذه المعلومات الثمينة تصبح حقائق تاريخية يصحّ تدوينها على هـذا الترتيب في تاريخ الكنيسة . فيرتفع الغموض الذي حام حتى الآن حول ظهور هذه الآثار المقدسة وتتبدد الشكوك التي رافقت حتى اليوم علاقـة القـديسة هيلانة باكتشاف القبر والصليب وبناء كنيسة القيامة.

اما تعيين الاب لكلير[3] تاريخ اكتشاف الصليب بين سنـة ٣٣٥ ، التي حضر فيها المؤرّخ اوسابيوس تدشين كنيستي اورشليم ، وسنة ٣٤٧ التي وصف

---

١) P. G. XX. 1090, nota 94.

٢) راجع ، في تاريخ انكسار ليشينيوس ووفاته ، معجم كابرول ٣ : ٢٦٣١ و٢٦٣٢

٣) كابرول : ع ٣١٣٧

فيها القديس كيرلس الاورشليمي المؤمنين متهافتين على الفوز بذخيرة عود الصليب ، فلنا عليه ثلاث ملاحظات :

الاولى نرى ان نحجّ حضرته بحجته ونقول : اذا كان سكوت اوسابيوس كافياً لنفي علاقة الملكة هيلانة باكتشاف الصليب ولانكار ظهوره قبل سنة ٣٣٥ ، تحتم على الاب الكلير ان يؤجل ميعاد هذا الاكتشاف الى بعد وفاة قسطنطين سنة ٣٣٧ . لان اوسابيوس لم يكتب ترجمته الا بعد هذه الوفاة فادخاله سني ٣٣٥-٣٣٧ في ميعاد هذا الاكتشاف يخرج به عن القاعدة التي وضعها لنفسه ولغيره ويناقض به ذاته بذاته.

الثانية : وتراه قد ناقض نفسه ايضاً في جعله سنة ٣٤٧ حدّاً اقصى لظهور الصليب ، مستنداً الى اقوال القديس كيرلس الاورشليمي في مواعظه عن ذخيرة الصليب[1] ، وهو يأتي بعد ذلك بشهادة اخرى للقديس كيرلس نفسه وردت في رسالته الى قسطنس الثاني ابن قسطنطين[2] حيث يقول: «في عهد والدك التقي وصاحب الذكر الصالح وُجدت في اورشليم خشبة الصليب المقدس» . ولما كان قسطنطين قد توفي في ١٢ ايار سنة ٣٣٧ ، فتحتم على الاب الكلير ان يُقدّم ميعاد اكتشاف الصليب الى ما قبل هذه السنة ، لا ان يؤخره الى سنة ٣٤٧ .

الثالثة: يقول حضرته[3] نقلاً عن اوسابيوس ان مكاريوس اسقف اورشليم، بعد عودته من مجمع نيقية ، الذي انتهى في ٢٥ آب سنة ٣٢٥ ، باشر باذن قسطنطين هدم هيكل الزهرة ، الذي كان يعلو القبر المقدس ، وتنظيف المكان وحفر أساسات كنيسة القيامة . ولما ظهرت مغارة القبر كتب اليه قسطنطين يهنئه ويخبره عن الاوامر التي اصدرها الى الحكام في شأن بناء الكنيسة ويوجه

---

١) كابرول مج ٣ : ع ٣١٢٥

٢) ع ٣١٢٦ ، راجع ايضا معجم فاكان مج ٣ : ع ٢٥٢٦ ، عن صحة نسبة هذه الرسالة الى القديس كيرلس

٣) ٣١٢٤ راجع ايضاً مقالة الاب آبل في معجم كابرول مج ٧ : ع ٢٣١٣

الاشراف على زخرفتها . وجاء في مقالة الاب آبيــل في المعجم نفسه[١] « ان القديسة هيلانة لما زارت اورشليم كان حفر اساسات كنيسة القيامة قــد بلغ الى آخر عمقه ، لان الاسطورة تنسب اليها اكتشاف الصليب .» والاب آبيل يمثل آراء كثيرين غيره من العلماء الذين يعتقدون ان الصليب اكتشف في اثناء حفر اساسات كنيسة القيامة . ونحن نعلم ايضاً من اوسابيوس ان كنيستي بيت لحم وجبل الزيتون بنيتا بسعي الملكة هيلانة حينما كانت في فلسطين[٢] . ونعلم من اثيريا[٣] ان كنيسة القيامة بنيت ايضاً بحضورها . فاذا كانت القديسة هيلانة في اورشليم سنة ٣٢٦ فقد حضرت عملية ازالة الردم ، التي اظهرت مغارة القبر ، وحضرت ايضاً حفر اساسات كنيسة القيامة ، حيث يُرجح العثور على الصليب ، فضلاً عن انها بقيت في اورشليم الى قبيل وفاتها سنة ٣٢٩[٤] ، فكيف ينكر الاب لكلير علاقتها باكتشاف القبر والصليب وبناء كنيسة القيامة ؟ لاسيا ان اثيريا التي زارت اورشليم سنة ٣٨٥ اي في عهد القديس كيرلس تفيدنا انهــا بنيت بحضورها[٥] . وكيف نتصوّر ان تكون شاهدت هذه الحوادث الخطيرة في تاريخ النصرانية ولا تعيرها الاهمية والمساعدة ؟ وهي التي تجشمت عنــاء سفر طويل في سن الثانين لزيارة الاماكن المقدسة ، وكان ابنهــا قــد وضع تحت تصرّفها خزنة المملكة[٦] . ولا بأس ان تتم كنيسة القيامة وتُدشن بعد موتها اي في سنة ٣٣٥ ، بل يكفي ان تشرف على بدء الاعمال ليجوز لنــا القول انها سعت وساعدت فيها . وهي التي اقامت وحدها كنيستي بيت لحم وجبل الزيتون . والغريب ان الاب لكلير يقول عنها في المحل ذاته : « حالما اعتنقت النصرانية اظهرت عبادة حارة نشيطة ، حتى ان اسمها اصبح مقروناً بتــاريخ الاماكن المقدسة واكتشاف الصليب » . فنحن لا نرى بعد ذلك في علاقتهــا

---

١) مج ٧ : ٢٣١٢ ، راجعه ايضاً في كتابه عن اورشليم ج ٢ صفحة ٢٠٩ H. Vincent et F. M. Abel. *Jérusalem*. Paris, Lecoffre, 1914.

٢) كابرول مج ٣ : ع ٢١٢٤   ٣) كابرول مج ٣ : ٢١٢٥

٤) كابرول مج ٣ : ع ٢٦٢٢ ومج ٦ : ع ٢١٢٩

٥) مج ٣ : ع ٢١٢٥   ٦) مج ٦ : ع ٢١٢٨

بهذا الاكتشاف « امرًا غريباً وعقدة لا تُحل » كما يدعي حضرته[1] ، بل نرى غريباً ومعقدًا ان لا يجري الامر بخلاف رأيه .

ولنختم ردنا بملاحظة اخيرة على تناقض الاب المذكور . يقول في مقالته المذكورة[2] : يُستدل من كلام القديس كيرلس الاورشليمي في عظته ٤ : رقم ١٠ و١٠ : رقم ٩ ان عبادة تكريم الصليب قديمة . واليك عبارته بالفرنسوية « *Cyrille de Jérusalem (catech. IV, 10, X, 9) parle déjà du culte de la croix comme ancien.* » ولما كان حضرته يصرح[3] ان هاتين العظتين أُلقيتا في صوم سنة ٣٤٧ فكيف جاز له بعد ذلك ان يعين اكتشاف الصليب بين سنتي ٣٣٥ و٣٤٧ ؟ هل هذه المدة كافية لتلقيب عبادة تكريم الصليب « بالقديمة » ؟

٢ً تطبيق الاساطير على الميمر

ولنفرض تلفيق الاساطير السريانية وخطأها في معلوماتها الرئيسية . فهل يجوز ان تطبق على ميمرنا الاعتراضات الموجهة اليها ؟ او بالاحرى هل يجوز القول بان معلومات ميمرنا مستقاة منها ، وانه لذلك احدث عهدًا واقل ثقة وقيمة ؟ للاجابة على هذه الاسئلة لا بدَّ لنا من تلخيص رواية ميمرنا عن اكتشاف القبر والصليب ومقابلتها على رواية الاساطير لنثبت اولًا انه لا يتناقض مع مؤرخي ذاك العهد . ثانياً انه لا يتناقض مع نفسه . ثالثاً ان روايته مستقلة عن رواية الاساطير . واليك خلاصة روايته :

اولًا : لما استتب الامر لقسطنطين واصبح امبراطور رومية ، رغب في زيارة الاماكن المقدسة والبحث عن عود الصليب ، الذي خوَّله النصر وصار شارة مملكته ومجده . فقصد الى اورشليم برفقة والدته هيلانة وزوجته وشقيقته العذرا . (صفحة ٢٣٩) .

كل هذا معقول ومختلف عن الاساطير ، التي تدعي ان الملكة هيلانة

---

١) مج ٣ : ع ٢١٢٧

٢) ع ٢١٢١ حاشية ١٠ ٣) ع ٢١٢٥

سافرت برفقة اوسابيوس اسقف رومية لا برفقة ابنها قسطنطين.

ثانياً : سأل الملك اليهود عن مكان القبر فأحضروا له سبعة من علمائهم ادّعوا الجهل. وقد ذكر الميمر اسماءهم واحداً واحداً. فطرحهم الملك في جبّ لا ماء فيه ومنع عنهم الاكل والشرب الى ان يُدلوا اليه بمعلوماتهم. فأسرّ اليهم احدُهم يهوذا « انه يعلم من والده سمعان، نقلاً عن جدّه يهوذا (وفي الاساطير « زكي »)، بان اجدادهم اساؤوا الى المسيح في حياته وطمروا قبره بالزبالات بعد مماته ليخفوا العجائب التي كانت تظهر عليه ». ولما اشتدّ بهم الجوع والعطش تقدّم يهوذا ودلّ الملك على محل الجلجلة ، مستنداً الى قول الانجيل ان المسيح دُفن فيها . ولما رأى الملك الردم العظيم حزن ، فاشار عليه يهوذا بان يجبر اليهود انفسهم على رفعه. فاصدر اوامره بذلك وعاد الى رومية حيث كانت تستدعيه مهام المملكة ، تاركاً كثيراً من غلمانه لحثّ اليهود على الاسراع في العمل ، ووالدته للاشراف عليه بمساعدة اسقف اورشليم (صفحة ٢٣٥ — ٢٤٠).

فانت ترى ان الملكة هيلانة لم تخوّل في رواية الميمر الا دوراً ثانوياً لان الملك هو الذي افتتح التحقيق وامر بالحفر. والميمر يتحاشى المغالاة في عدد العلماء فهم سبعة لا الف. ويتحاشى ايضاً التصنع الظاهر في الاساطير ان اليهود انتخبوا من الالف خمسمائة ومن الخمسمائة ثلاثين ومن الثلاثين واحداً. وهو يختلف عنها في تسمية جد يهوذا فيسميه يهوذا لا زكي.

ثالثاً : استغرقت عملية ازالة الردم ستة اشهر من ١٢ اذار حتى ١٣ ايلول. وفي هذا اليوم ظهرت مغارة المقبرة وداخلها ثلاثة صلبان وكتابة تركها نيقوديموس ويوسف الرامي مفادها انهما خبأا الصلبان خوفاً من ان يحرقها اليهود ، وان الصليب الحامل اللوح والكتابة هو صليب المسيح (صفحة ٢٤٠ — ٢٤٢).

فالصليب عُرف حسب رواية الميمر من اللوح المعلق عليه ، وليس من العجائب المتناقضة التي اتحفتنا بها الاساطير واشاعات اوائل القرن الخامس ، والتي تبذها العلماء. ولا ذكر هنا لاوسابيوس اسقف رومية ، الذي خلطته الاساطير باسقف نيقوميدية. والميمر يتفق مع اقوال القديسَين امبروسيوس ويوحنا فم الذهب ان الصليب عُرف من الكتابة المعلقة عليه. وهكذا قل عن

العجائب الحائمة حول زمن اكتشاف الصليب ومكانه . لانه وُجد ، حسب ميمرنا ، داخل القبر . وهب انه وُجد بجانبه ، في اثناء حفر اساسات الكنيسة ، كما يرجح الاب آبيل ، فذلك لا يخالف رواية ميمرنا في جوهرها . ولعل وجود الصليب في القبر او بجانبه يفسّر سكوت قسطنطين واوسابيوس عنه . لان اكتشاف القبر كان يعني اكتشاف الصليب ، من قبيل ذكر الجزء في الكل ، كما ان زيارة القدس تعني زيارة القبر والجلجلة وبقية الاماكن المقدسة . واغلب الظن ان الاهمية الاولى كانت في ذاك العهد للقبر لا للصليب . وفي يومنا عبادات كثيرة كعبادة قلب يسوع ، واعياد كثيرة كعيد القربان والحبل بلا دنس لم يكن لها ذكر ولا وجود واصبحت الان من اشهر العبادات واعظم الاعياد . والتاريخ ينبئنا ان اكبر عيد في عهد قسطنطين كان لتدشين الكنائس ، ولم يكن اكرام الصليب ، في بادئ الامر ، سوى احد مظاهره . وما عتم ان فاقه اهمية وتركه نسياً منسياً . ولا ننسَ ان اوسابيوس كان يميل الى الاريوسية التي لم تكن تعبأ بامر القبر والصليب ، وانه لم يذكر القبر الا عرضاً ليحكي عن اهتمام الملك ببناء كنيسة القيامة الفخيمة ولا ننسَ ايضاً ان معلوماتنا عن القبر والصليب ، في ما سوى الميمر والاساطير ، نادرة مقتضبة ، ربما امكننا اتخاذ قلتها دليلاً على اكتشاف كليهما في بدء العهد الذي خرجت فيه النصرانية من الاضطهادات ، ولم يتسع لها الوقت لتنظيم شؤونها الثانوية والاهتمام بتسجيل حوادث تاريخها .

رابعاً : حُمل الصليب بعد ظهوره الى القديسة هيلانة فقبّلته والبسته حلة ثمينة وكتبت الى ابنها قسطنطين تبشّره وتدعوه للحضور : « طوباك يا بني الحبيب والخير يكون لك لانك طلبتَ فوجدتَ . . . تعالَ لتعاين ما هو افضل من الجواهر الكريمة . . . فاذا رأيتـه في حسنه يتجدّد شبابك مثل النسر » . فجاء قسطنطين وسجد للصليب وامر ببناء كنيسة لائقة به وبالقبر ، وترك لوالدته اموالاً طائلة تُنفقها على تشييد الكنائس ، وخاصةً كنيسة المقبرة . وقد شيّدت كنيسة اخرى على الجلجلة باسم الصليب ، ورجع الملك الى مدينتـه بالسلام (صفحة ٣٤٢ - ٣٤٦) .

هـذا يوافق ما نعرفه عن سعي قسطنطين ووالدته في اقامة الكنائس ،

ومن جهة اخرى عن ان كنيسة القيامة أُقيمت بحضور والدته التي بنت ايضاً كنيستي جبل الزيتون وبيت لحم .

ولاحظ هنا ان قول الملكة هيلانـة لابنها بتجديد شبابه ، اذا شاهد الصليب ، يوافق ما نعرفه عن سنه في ذاك الحين . فقد وُلد في سنة ٢٧٤، او على الاكثر سنة ٢٨٠ ، فيكون في سنة ٣٢٧ شيخاً في الثالثة والخمسين او كهلاً في السابعة والاربعين .

خامساً : لما تمت الكنائس وتزيّنت باجمل مظهر احتفل اسقف المدينة بتكريسها بحضور اساقفة كثيرين جاؤوا « لتمجيد الصليب » . وكانت الحفلة في ١٤ ايلول ، يوم ظهور الصليب المقدس والقبر (صفحة ٢٤٦) .

هذا يدلّ على ان تدشين الكنائس صار في يوم تذكار ظهور الصليب ، وان ظهور الصليب سبق حفلة التدشين سنة ٣٣٥ . ولعله السبب الحقيقي لتعيين حفلة اكرام الصليب في عيد التدشين ، وان التقليد الذي اوردته السائحة اتيريا سنة ٣٨٥ كان قد عكس الحقيقة فجعل ظهور الصليب في تذكار التدشين ، او ان اتيريا فهمت عكس الحقيقة . على كل حال فالميمر يوافق قول اوسابيوس في حضور اساقفة مجمع صور حفلة التدشين سنة ٣٣٥ . ونلفت النظر هنـا الى اهمال الميمر ذكر حضور القديسة هيلانة هذه الحفلة . فهي قد تركت اورشليم قبيل وفاتها بقليل سنة ٣٢٩ .

سادساً : اما يهوذا ، دليل القبر ، فقد آمن لدى مشاهدة الآيات التي رافقت ظهوره واقتبل العماد هو وجماعتـه من يد الانبا يوسف اسقف اورشليم واصبح « مكرّماً من اجـل امانته الارثوذكسية » ومن اكبر الساعين في هداية بني أمته ، فاستحقّ ان يخلف الانبا يوسف على كرسي اورشليم (صفحة ٢٤٧) .

فلا ذكر هنـا لقرياقوس ، الذي يعترض العلماء على إدماجه بيهوذا ، ولا لحكاية وجود المسامير المقدسة وصوغها لجاماً لفرس قسطنطين ، مما يدعم قولنا باستقلال ميمرنا عن الاساطير السريانيـة ، التي ترتقي نسخها الى اواخر القرن الخامس او اوائل السادس ، وباقدميته عليها وتنزهه عن اغلب غلطاتها . امـا اتفاق الميمر مع اقوال القديسَين امبروسيوس وفم الذهب (٣٩٠ — ٣٩٥) فدليل

على انه معاصر لها او سابقها بقليل.

٣ً الاساطير ونسبة الميمر

هب ان الاعتراضات على الاساطير وجيهة ، وانها تصيب الميمر كما اصابتها، لوقوعه في نفس اغلاطها ، فهل يتحتَّم بعد هذا ان ننكر نسبته الى القديس كيرلس ؟

قلنا اذا ثبت اكتشاف القبر سنة ٣٢٦ او قبيلها كان سنّ القديس كيرلس حينئذٍ احدى عشرة او ثلاث عشرة سنة ، ولعله كان في ضواحي اورشليم ، فخطأه في رواية هذا الحادث ، اذا كان هناك خطأ ، يُعزى الى صغر سنه او الى غيابه عن اورشليم ، او الى الاثنين معاً.

وان سلّمنا ان الصليب لم يظهر مخبوءًا في القبر ، كما يُستنتج من اقوال الميمر ، بل ظهر بين سنتي ٣٣٥ و٣٣٧ ، فيكون القديس قد بلغ العشرين او الثالثة والعشرين ، فلا يُعذر كثيرًا على الخطأ ، اذا ثبت حضورُه الاكتشاف. ولكن من يُثبت لنا ذلك ؟ ومن يثبت خطأه ؟

وذكر مصرع يوليانوس في سنة ٣٦٣ الوارد في الميمر يجبرنا على تأجيل القائه بعد هذه السنة. وسنورد ما يرجح القاءه في آخر حياة القديس بين سنتي ٣٧٨ و٣٨٧. فتكون المسافة بين القائه وظهور الصليب زهاء اربعين او خمس وخمسين سنة. وقد شاعت في ذاك الحين ، كما سبق القول ، روايات نسبت الى الملكة هيلانة فضل اكتشاف الصليب ، فان اتبعها القديس كيرلس ، كما اتبعها القديسان امبروسيوس وفم الذهب ، يكون قد بنى معلوماته مثلها على رواية مغلوطـة ، اذا كانت كذلك . بيدَ ان مطابقة اقواله لاقوال هذين القديسين المعاصرين ، دليل على صحة نسبة الميمر اليه لا على نفيها.

ومهما كان من الامر فالخطأ في رواية حادث كما قلنا لا ينفي حتماً نسبتها الى معاصر. ونحن نرى الجرائد في عصرنا تروي حادثاً وقع بالامس في المدينـة او القرية التي تصدر فيها ، وامـام اعين مخبريها ، وهي تختلف في روايته وتعليله مع سهولة المواصلات والمخابرات. ولا يخطر على بال احد ان ينفي نسبة

الرواية الى الجريدة التي نشرتها. وقد خطأ الاب لكلير واتباعه رواية اوسابيوس عن رؤيا قسطنطين ، مع انه مترجمه ومعاصره وامين سره ، ولم ينكروا نسبة تاريخه اليه. وهكذا فعلوا في تخطئة روايتي القديسين امبروسيوس وفم الذهب عن اكتشاف الصليب على يـد الملكة هيلانة ، ولم ينكروا عليها الخطابين اللذين وردت فيها تلك الرواية.

اساقفة اورشليم

بقيت امامنا صعوبة لا تقل عما سبقها خطورة ، وهي خطأ الميمر في اسماء اساقفة اورشليم سلفاء القديس كيرلس. فان لم يكن هذا القديس معاصراً لرؤيا قسطنطين واكتشاف القبر والصليب ، فكيف يجهل اسماء الاساقفة الذين سبقوه بقليل. فالميمر ليس له. وفي الواقع ، اذا راجعنا سلسلة هؤلاء الاساقفة المؤرخين المعاصرين ، رأيناها مختلفة عن سلسلة الميمر اختلافاً كلياً. وهاك ما وجدناه في كتاب الاب لكويان[1] نقلاً عن اوسابيوس وغيره :

حرمون	انتخب	سنة ٣٠٢	وهو	الثامن والثلاثون
مكاريوس قرياقوس	«	« ٣١٣	«	التاسع والثلاثون
مكسيموس الثاني	«	« ٣٣٥	«	الاربعون
كيرلس	«	« ٣٤٨	«	الواحد والاربعون

وقد ذكرت الاسطورة السريانية[2] اسماء العشرة الاولين واردفت بقولها « وغيرهم » من غير ان تذكر اسماءهم. ثم تكلمت عن يهوذا مكتشف القبر والصليب وجعلته الخامس عشر كما فعل ميمرنا. فتكون قد اهملت اسماء الاربعة الذين تولوا كرسي اورشليم قبل يهوذا.

اما ميمرنا فيذكر الانبا يوسف بدلاً من مكاريوس ، وينسب اليه ما نُسب الى المذكور من الاشراف مع الملكة هيلانة على رفع الردم وظهور القبر والصليب وتدشين الكنائس ، ويجعل يهوذا خليفة له ، وبعده مرقوس. واليك

---

١) Lequien, *Oriens Christianus*. t. III, p. 152

٢) نستله : صفحة ١١

النصين الواردة فيها اسماء هؤلاء الاساقفة صفحة ٢٤٠ : « وعاد قسطنطين الى رومية . . .وترك والدته وخلف عندها اساقفة قديسين وهم اثناسيوس ريس اساقفة انطاكيـة ، وانبا يوسف ريس اساقفة اورشليم الذي هو الرابع عشر الذي جلس في اورشليم بعد التلاميذ في الختان . وانا ايضاً كيريللوس واحـد منهم ».

وفي صفحة ٢٤٦ يقول: « كملوا الكنائس المقدسة . . . وكرزوهم انبا يوسف اسقف المدينة المقدسة ومعه اساقفة كثير ارثوذكسين . . . »

وفي صفحة ٢٤٧ : « وعمدوا يهوذا والذين معه على يدي الاب انبا يوسف . . ومن بعد هـذا تنيح الاب انبا يوسف واقاموا عوضه يهوذا وهو الخامس عشر من بعد الآبا الرسل في الختان . . . ولما تنيح اخذ اسقفيته واحد يقال له [٢٤٨] مرقوس وهو اول من صار اسقف لاورشليم بغير ختان ».

فالميمر يخطئ اولاً في اسم بطريرك انطاكيـة اذ يسميه اثناسيوس وهو اسطاتيوس

ثانياً في اسم مكاريوس الذي يبدله بيوسف

ثالثاً في رتبة يهوذا الذي يجعله الخامس عشر مثل الاساطير

رابعاً في اسم مكسيموس، سلف القديس كيرلس، اذ يجعله مرقوس ويقول انه اول من رقي كرسي اورشليم من غير اليهود.

فنجيب على الخطأ الاول ان اسم اسطاتيوس مأخوذ عن تاريخ ابن العبري (القرن ١٣) حيث ورد بدلاً من اثناسيوس ولا نعرف في اي جانب وقفت الحقيقة ، ولا نعرف لبطاركة انطاكية سلسلة ثابتة. ولعل تلقيبه برئيس اساقفة يعني به نائب البطريرك لا البطريرك نفسه. ولا حرج على القديس كيرلس اذا غلط في اسم بطريرك جلس على الكرسي الانطاكي في اوائل القرن الرابع ، اذا لم يكن هناك سهو ناسخ.

ثانياً : اما جعله يوسف بدلاً من مكاريوس فلا نرى له فيه عذراً مقبولاً ، الا اذا كان هـذا الاسقف يحمل اسمين. ولعله كان مشهوراً عند اليونان باسم مكاريوس وعنـد ابناء وطنه باسم يوسف. وقد ورد في ميمر المتحف القبطي

باسم « يوساب » وهو قريب من يوسف او تحريفه بابدال الفاء السريانية ڤ باء ب. هذا اذا لم نفترض هنا خطأ الناسخ او الناقل. لان القديس كيرلس ، كما جاء في ترجمته ، لم يكتب ميامره بل اكتفى بالقائها. وجاء من التقطها عنه ودوّنها بالكتابة حسب معرفته وفهمه. فاذا كان القديس كيرلس معاصراً لخليفتيه فلا يتحتم ذلك على كاتب عظاته. على كل حال فالقبر قد اكتُشف ، حسب ترجيح اغلب العلماء ، حوالي سنة ٣٢٥ حين كان القديس كيرلس لم يتجاوز العاشرة من سنه.

ثالثاً : وخطأه في ترتيب عهد اسقفية يهوذا قد يعني به انه الخامس عشر من اليهود . نعم ان الميمر يجعل خلفه مرقوس اول اسقف من غير اليهود ، فان لم نفرض هنا خطأ نساخ ، تحتم علينا تخطئة القديس كيرلس في ترتيب هذه السلسلة ، وان نلقي هذا الخطأ على عاتق التقليد الذي نقل عنه القديس كيرلس، كما صرح هو نفسه . ولعل هذا التقليد اصح من السلسلة المعروفة التي تقيم اربعين اسقفاً على اورشليم في مدة تقل عن قرنين . ولا يخفى ان القديس كيرلس لم يكن لديه تواريخ مطبوعة منسّقة كما في عهدنا . والسلسلة التي رتبها لكويان ليست بثابتة نهائية . ومهما كان الامر فميمرنا لا ينقل عن الاساطير السريانية التي اهملت ، كما قلنا ، اسماء الاساقفة الاربعة الذين سبقوا يهوذا ولم تذكر بعد هذا الاخير احداً غيره.

رابعاً : اما خطأه في اسم سلفه ، اذ جعله مرقوس بدلاً من مكسيموس، الذي ارتقى الاسقفية سنة ٣٣٥ ، ورسم القديس كيرلس بيديه ، فليس في الواقع خطأ . فان تمعنا في العبارة تحققنا انه لا يعني سلفه الاخير بل احد سلفائه . لانه يقول عن الانبا يوسف « الذي هو الرابع عشر الذي جلس في اورشليم بعد الختان وانا ايضاً كيرلوس واحداً منهم » اي واحداً من اساقفة اورشليم .

نقول هذا ونحن عالمون بان روايات اوسابيوس قد لا تتفق مع هذه الافتراضات . ولعل الايام تظهر ما يعزّز هذه الافتراضات . ونقر ايضاً ان اغلب ما اجبنا به على الاعتراضات القائمة ضد الاساطير ، والتي قد يمكن تطبيق

بعضها على ميمرنا ، لا يخرج عن حيّز التخمين والتأويل . بيد ان الاعتراضات نفسها لا تخرج ايضاً عن حكم الرجم في الغيب . ولعلّ قدمها اقل ثباتاً من دفاعنا .

ولو لم يكن لدينا في نصوص الميمر دلائل ترجّح كفتنا عليها اضربنا به وباجوبتنا عرض الحائط . اما ان درسنا هذه النصوص عثرنا فيها على ما يرجح نسبته الى القديس كيرلس ترجيحاً يقرب كثيرًا من اليقين ، ويبرر تمسكنا بصحة نسبته وموقفنا في ردّ الهجمات عنه . فلننتقل اذاً من البراهين السلبية التي قدمناها حتى الآن ، الى البراهين الوضعية ، التي يمكننا استخراجها من هذه النصوص ، ومن المقابلة بينها وبين ما نعرفه لهذا القديس من الآراء والاساليب والنزعات .

البحث الثالث

دلائل نسبته

للوصول الى ترجيح نسبة الميمر الى القديس كيرلس الاورشليمي رأينا ان نلتقط من نصوصه ما يدلنا على لغته الاصلية ، والجمهور الذي ألقي عليه ، والمكان الذي ألقي فيه ، وعلى جنسية المؤلف ومذهبه وأسلوبه . وان نمرّ بنظرة سريعة على نظام الميمر لنثبت ان ليس فيه علائم التلفيق . فنتفرغ بعد ذلك الى سماع تصريحات الميمر نفسه عن صاحبه وعصره .

١٢ — لغة الميمر

مرّ بك ان ناسخي مخطوطتي بكركي وحلب قد نقلا عن مصدر واحد، هو مجموعة لاحد السريان اليعاقبة القاطنين في القطر المصري . بقي ان نعرف اللغة التي عُرّب عنها . فان لم تكن الاصلية ، فبأي لغة كُتب اولاً ، وما هي جنسية المترجم والمعرّب ؟ كل هذه اسئلة يمكننا الاجابة عليها بعد التبحر في نصّ الميمر نفسه .

فقد وصل الينا بلغة عربية سقيمة مضطربة مشحونة اغلاطاً نحوية ولغوية ، مما يحملنا على الظن ان معربه عاش في القرون الوسطى، لانحطاط اللغة فيها ، ولم

يتعدّ القرن الثالث عشر. ونستدلّ من بعض تعابيره ان المعرب هو احد السريان النازلين في القطر المصري ، نقلـه عن نصّ سرياني منقول بـدوره عن النص اليوناني الاصلي ، وهي اللغة التي وصلت الينا بها كل تآليف القديس كيرلس.

١ً ترجمته في القطر المصري

من ادلّة ترجمته في القطر المصري ما ذكرناه سابقاً عن ورود اسماء الاشهر فيه حسب الاصطلاح القبطي :

فقد جاء في صفحـة ٢١٣ و٢٦[1] : « قال الربّ لموسى ان يعيّدوا ثلاث دفعات في السنة في الرابع عشر من الشهر الجديد الذي هو برموده »

وفي صفحة ٢٤١ و ٥٧ : « كان اول يوم بدأ اليهود العمل (في رفع الردم عن القبر) الثاني عشر من شهر ماردبوس الذي هو برمهات . ولم يزالوا يعملوا فيه الى يوم الثالث عشر من شهر توت »

وفي صفحة ٦٩ من نسخة حلب : « كرّزوا كنيسة القيامـة في الرابع عشر من شهر توت الذي هو ايلول »

وفي صفحة ٧٠ منها نبّه الناسخ قرّاءه الى هذا الاصطلاح بقوله : « كان تكريس كنيسة القيامة في الرابعة من شهر توت الذي هو ايلول على رأي المصريين »

ومن هذه الدلائل قوله في صفحة ٢٣٨ و٥٤ عن مساحة الارض المردومة فوق القبر انها « تل عالي على كل المدينة قدرماية ذراع يجي قـدره عشرين فدان » ، والفدّان قياس مستعمل في وادي النيل خاصة ، كما لا يخفى.

وفي صفحة ٢٢٤ و٣٦ : « كتب اسبيانوس الى بطلماوس ريس القبط » مع ان المذكور كان ملكاً على كل سكان القطر المصري ، وبينهم عدد يذكر من اليونانيين واليهود.

ويقول في صفحة ٢١٥ و٢٨ : « ان الانسان الحكيم يمضي الى حقله وينقي منه السنط والشوك » . ومعلوم ان السنط غير معروف في سوى وادي النيل

---

١) لا تنسَ ان الرقم الكبير يدل على مخطوطة بكركي والصغير على مخطوطة حلب .

ولا ينبت الا فيه .

فضلًا عن لقب انبا الخاص بالاقباط الذي يرد غالباً مرافقاً لكلمة اب : الانبا واكس صفحة ١٩٧ و٢٠٠ و٢٠٦ ، والاب الانبا يوسف ٢٤٦ و٢٤٧[١]

وفي صفحة ١٩٣ : «يجروا خلفهم» ، وفي صفحة ٢٢١ : «فصار يمشي ويجري» ، مستعملًا جرى بمعنى ركض واسرع . وهو تعبير خاص باللهجة المصرية . وغير ذلك لا حاجة الى الاطالة فيه . ويغلب على الظن ان ميمر القديس كيرلس المحفوظ في المتحف القبطي مأخوذ اكثره عن نصّ ميمرنا . البسه منقحه ثوباً عربياً مسجعاً ليتلى في الكنيسة .

٢ً تعريبه عن السريانية

وهذا لا يعني انه معرّب عن القبطية او ان المعرب قبطي . فالاقباط لم يتعلموا قط السريانية . وآثار السريانية بادية في التعريب ، مما يحملنا على القول ان التعريب منقول عن السريانية ، ولو كان المعرب قبطياً . نقول هذا نفياً للشك الذي قد يطرأ على ذهن القارئ بان واضع الميمر قبطي كواضع بقية الميامر المنسوبة زوراً الى القديس كيرلس ، والتي سبق الكلام عنها . وسنسرد في ما يلي امثلة من التعابير التي ليست بعربية بل سريانية او بالاحرى يونانية . ونكتفي الآن بالاشارة الى بعض الآثار السريانية الباقية في نصّنا العربي :

ففي صفحة ٢٠٣ يلقب السيدة العذراء « مرت مريم » اي السيدة مريم . وهو تعبير سرياني محض .

ولا يخفى ان السريان يعبرون عن الپا الغربية الغليظة بحرف الفاء والعرب بالباء . بيد انك تجد في الميمر صفحة ٢١٥ الفارقليط بدلًا من البارقليط . وفي صفحة ٢٢٣ اسفسيانوس . وفي صفحة ٢١٥ البنديقوسطي بالقاف ، بدلًا من البنديكوستي .

والاظهر من ذلك ايراده في صفحة ٢٢٤ ܟܐܦܐ حسب كتابتها بالسريانية بدلًا من كيفانا ܟܐܦܢܐ حسب لفظها العربي .

---

(١) نكتفي بذكر صفحات مخطوطة بكركي حيث توافقها مخطوطة حلب .

والاكثر دلالة على قولنا سير المعرب على القاعدة السريانيــة في التذكير والتأنيث . فيذكّر ما هو موئث في العربية لانه مذكر في السريانية وبالعكس، تأثرًا بالاصل الذي يعرب عنه . فيقول في صفحة ٢١٢ : « ليس تحـل عليه روح القدس » مع ان الروح مذكر في العربية اذا عني بـه الاقنوم الثالث ، لكنه موئث في السريانية . والاغرب من ذلك تذكيره لخشبة الصليب بقوله في صفحة ١٩٩ : « خشبة الصليب يكون والذي » لانه يترجم كلمة ܩܝܣܐ المذكرة في السريانية.

٣ً اصله اليوناني

ان عدم تضلّع المعرب من السريانية والعربية ، وضعف المترجم في اللغتين السريانية واليونانية وتوخيهما الترجمة الحرفية جعل العبارة في الترجمتين غريبــة غامضة ، واحياناً غير مفهومة . انما جاء هذا العيب دليـلًا كبيرًا على النص الاصلي وحافظاً بقدر الامكان للتعابير الخاصة به وبلغته ؛ كالصفحة الحسّاسة من الآلة المصوّرة ، التي تطبع الصورة الاصلية بزاياها وعيوبها وخطوطهـا ، فتأتي صورة طبق الاصل مهما تعدّدت عيوبه . فحقٌّ لنا ان نغتبط بهذا الجهل لان الغموض في نصنا العربي يرجع اغلبه الى الغموض الذي عثر به المعرب في الترجمة السريانية . والغموض في النص السرياني يغلب على الظن انه عائد الى ضعف المترجم في السريانية واليونانية . ولعل بعضه متـأتٍ من تشويه النساخ للاصل اليوناني . نعم ان السريانية قد تأثرت من اللغة اليونانية في معجمهـا واصطلاحاتها وانشائها ، انما احتفظت بوضوحها وبكثير من سلاستهـا . ونحن نرمي من وراء ما ندلي به هنا الى ازالة احدى الصعوبات التي قد تعترض نسبة ميمرنا الى القديس كيرلس ، لان تآليفه وصلتنا كلها باليونانية ، والى تبديد الشبهة التي قد تحوم في ذهن العلماء حول واضع ميمرنا ، او بالاحرى ملفقة ، انه احد الاقباط ، ام ان الميمر مأخوذ عن الاساطير السريانيــة الملفقة او عن الاشاعات التي تضمنتها.

واليك نماذج من تراكيب غريبة ، بعيدة عن العربية بعد هــذه اللغة عن

اليونانية ، نلتقطها من نصنا العربي بين مئات من امثالها :

ففي صفحة ١٨٧ يقول « الذي له نعبد » ، وفي صفحة ١٨٨ « لكي أن نفتش في نواميسه » ، وفي صفحة ١٩٣ « فعندما هم حاملوه ، مدّ يده الاله المتجسد ولمس النعش . فعند ذلك وقف الذين حاملوه » ، وفي الصفحة نفسها «معطيهم الحياة يريدوا قتله» . وكثيراً ما يقول «الذين يرتلون» بدلاً من المرتلين .

ومن التعابير الخاصة باليونانيين اطلاق كلمة « بطريرك وبطاركة » على جدود العبرانيين ، على كون هذا اللقب مخصصاً عند السريان والعرب برئيس الطائفة المسيحية . ففي صفحة ٥ من مخطوطة حلب نقرأ :« ورؤساء الآباء البطاركة والانبياء » ، وفي صفحة ١١ منها يقول عن والد يعقوب « لانه اسم اسحاق البطريرك رأس الآباء »

ومن اغرب الدلائل على الاصل اليوناني كلمة « الاقرانيون » الواردة في النصّ العربي بدلاً من الجلجلة والقرقفة . وهي مركبة من ال التعريف ὁ وكلمة κρώνιον اي الجمجمة . وقد تركها المترجم السرياني على صيغة المفعول به كما وجدها في الاصل اليوناني ، عوضاً عن ان يوردها بصيغة الفاعل ὁ κρώνιος . اما المعرّب فلجهله انها تحمل اداة التعريف اليونانية اضاف اليها ال التعريف العربية . فاصبحت الاقرانيون ܐܠܐܩܪܢܝܘܢ ، كما وردت في صفحة ٢٣٨ : « ان ربا سيدي يتعنا ويجي معي . فانا اوريه الجلجلة الذي هو موضع الاقرانيون » . وفي اسفل الصفحة يشير يهوذا الى التل المردوم موجهاً كلامه الى قسطنطين :« هذه هي الجلجلة على قدر لغتك . وعلى قدر لساننا نحن العبرانيين كيفانا ܟܐܦܢܐ » . وجاء في صفحة ٢٢٤ : « واما اليهود الذين بقوا في اورشليم (بعد خرابها) نسوا عادة ابايهم ولم عادو يرموا تراب على قبر يسوع ولانه قد صار تل عظيم على مقبرة يسوع وموضع الجلجلة حتى ان لا بقا احدهم يذكرهم البتة . وكانوا يسموا ذلك التل اقرانيون اي يسوع ويسموها الجلجلة . »

ومن دلائل الاصل اليوناني كتابته اسم الانبا باخوس مبدلاً الباء بالواو واضعاً نقطة فوق الكاف ليمنع ترخيمها ويجبر القارئ على لفظها كافاً : واكس ، ܘܐܟܘܣ ، وفي اليونانية ὁ Βάκχος . وهو اسم لاتيني الاصل كان الرومان

يطلقونه على اله الخمر ويكتبونه بالباء والكاف *Baccus* . بيد ان اليونان يرخمون حرف الباء ويلفظونه كحرف *v* اللاتيني . فاستعاض عنه مترجمنا بحرف الواو تبعاً للفظه اليوناني ، بدلاً من الباء . ووضع النقطة على الكاف السريانية خوفاً من ترخيمها مع ان الاسم يلفظ عادة بالباء والخاء في السريانية والعربية باخوس ܒܐܟܘܣ . تجدهما على هذه الصورة في صفحات ١٩٧ و٢٠٠ و٢٠١ و٢٠٦ . ولحقه في ذلك ناسخ المخطوطة الحلبية .

كذلك كتب في صفحة ١٩٥ : يورشليم ܝܘܪܫܠܡ بدلاً من اورشليم ܐܘܪܫܠܡ ، حسب لفظها العربي والسرياني . وهي مركبة من ܐܘܪ و ܫܠܡ انما المترجم السرياني قد تأثر من لفظها اليوناني فكتبها على هذا الشكل ثلاث مرات في الصفحة المذكورة . وعاد فاوردها هكذا في صفحة ٢٤٦ . وتبعه في ذلك ناسخ مخطوط حلب . اما في بقية الميمر فقد عاد كلاهما الى نقلها : اورشليم ، كما اعتادا لفظها في العربية والسريانية .

ومن هذا القبيل ايضاً كتابته في صفحتي ١٩٩ و٢٥٠ لاسم يسوع بالالف إسوع ܐܝܫܘܥ حسب لفظه اليوناني Ἰησοῦς بالرغم من كثرة ترداده على شفاه المسيحيين الشرقيين بدون الف وبفتح الياء في العربية يَسوع ، وخفضها في السريانية ܝܶܫܘܥ

وقد حذف العين من اسم احد العلماء العبرانيين السبعة لانها لا توجد في اليونانية فكتب « يشُوا » ܝܫܘܐ

وكتب ايضاً في صفحة ٢٢٣ : برنياس ܒܪܢܝܐܣ ، وفي صفحة ٢٢٧ : برناوس ܒܪܢܐܘܣ بدلاً من برنابا حسب الاصطلاح السرياني والعربي .

وفي صفحة ٢٣١ كتب هرقليس ܗܪܩܠܝܣ بالياء والسين بدلاً من هرقل بالعربية ، او هركولوس *Herculus* باللاتينية .

وفي الصفحة ذاتها ورد اسم « عنقلاداريون » اله الحرب ܥܢܩܠܐܕܐܪܝܘܢ» وهو اسم مركب من كلمتي ܥܢ ܩܠܐ اللتين لم ندرك اصلهما ومن دال الاضافة ܕ ومن اسم « اريون » اله الحرب عند اليونانيين . انما جاء به بصيغة المفعول به كما وجده في الاصل اليوناني .

ونختم بياننا باسم شهر اذار الذي يورده ماردیوس ܡܪܛܝܘܣ نقلا عن اليونانيـة μαρτιος . فـانك تقرأ في صفحة ٢٤١ : « وكان اول يوم بدو بالعمل الثاني عشر من شهر مارديوس الـذي هو برمهات » . وهو من الغرابة بمكان ويدل على جهل مطبق ، مع ان لهذا الشهر في السريانية والعربية اسماً شهيراً خفيف اللفظ ܐܕܪ ادار .

ونأمل ان نكون قد وفينا هذا الموضوع ادلةً وشواهد . وحق لنـا ان ننتقل الى ما هو اهم منه ، وهو الاستدلال من نصّ الميمر على جمهور السامعين وعلى المكان الذي القي فيه هذا الميمر فنعرف منه ايضاً الواعظ ، ونستدرج من ذلك الى معرفة اسم المؤلف .

١٣ — الجمهور والمكان

تدلُّنا نصوص الميمر اولًا على انه قد أُلقي على جمهور مسيحي فلسطيني عائش بين ثلاثة عناصر يهودية واريوسية ووثنية ، وان العنصرين الاول والثاني قويان .

وتصرّح لنا ثانياً انه قد أُلقي في كنيسة القيامة ، يوم الاحتفـال بارتفاع الصليب ، قبل البدء بهذه الحفلة .

١ً — العنصر اليهودي

جاء في مستهلّ عظات القديس كيرلس ما حرفيته[1] : « ان قصـدي هو تسليحكم ضد العدو اي الهراطقة واليهود والسامريين والخوارج (اي الوثنيين) » . الى هذا الغرض يرمي ايضاً صاحب الميمر . فحملاته الشديدة على اليهود ، وكثرة كلامه عنهم والاستشهاد ضدهم باقوال انبيائهم ونصوص كتابهم ، وتفسيرهـا لمصلحة النصرانية ، اي لاثبات الوهية المسيح وصحة رسالته ، واشاراته العديدة الى عاداتهم واخلاقهم وخيانتهم ، لدليل لا يسع المنصف اهماله ، على وجود عنصرهم بين ابناء مذهبه بكثرة يخاف من تأثيرها عليهم ، والوقوف في سبيل جهوده لهداية هذا العنصر .

---

١) راجع معجم فاكان مج ٣ : ع ٢٥٢٨

فقصة اسحق السامري ، المتشبّث بعادات اليهود من تطهير الانية والاستحمام في عين اورشليم والختان وزيارة الاماكن المكرمة عندهم ، واهتدائه اخيراً مع ذويه تستغرق قسماً مهماً من العظة وتشغل الصفحات ١٩٥ - ٢١٠ و٢٥٠ و٢٥١ من الميمر . ثم ان محاولة الواعظ اقناع اليهود والسامريين ، على لسان الانبا باخوس ، ببطلان تقاليدهم وان ما خلقه الله طاهر غير نجس ، دليل على انه وسامعيه عارفون بهذه التقاليد.

وحكاية اقامة ابن ارملة نائين وابن اكلاوبا ، وشفاء اكلاوبا ذاته ، وشهادته للمسيح وادانته لبني جنسه بأنهم ظلموا المسيح ، تشغل الصفحات ١٩٣ و١٩٤ و٢١٨ - ٢٢٢ ، وتدلّ على اهتمام الواعظ بارشاد اليهود الذين لم يؤمنوا بعد ، والمحافظة على الفئة التي اعتنقت منهم النصرانية.

كذلك قل عن اسهابه في الكلام على اضطهاد اليهود للمسيح ، وقساوة قلوبهم في معاملته ، وصمّ آذانهم عن نصائحه ، وعماهم عن الخوارق التي اجترحها في حياته وبعد موته ، ومحاولتهم حرق صليبه وطمس العجائب التي ظهرت على قبره ، وتهافتهم على ردم قبره بزبالاتهم . وكيف ان الرب عاقبهم بصرامة على ذلك بخراب اورشليم وهيكلها ، وذبح قسم كبير من شعبهم ، وتشتيت البقية واذلالها اينما حلت . الى ان جاء قسطنطين واجبرهم على رفع الردم عن القبر تكفيراً عن ذنب آبائهم . فاشتغلوا به هم ونساؤهم ستة اشهر طويلة . هذه القصة ملأت الصفحات ٢٢٤ - ٢٤٢ من الميمر.

فان جمعنا ما يختص منها باليهود اصبحت اثنتين واربعين من الثلاث والستين التي يتألف منها الميمر . ويمكننا القول ان كلام الواعظ عن اليهود يستغرق تقريباً الميمر كله ، فهو لا يفتر عن ذكرهم او تقريعهم.

زد على ذلك استشهاده بالنصوص الواردة في التوراة عن ألوهية المسيح ورسالته . فهو ابن داود بالجسد (صفحة ١٨٧) وملك اليهود (ص ١٨٩) . والاله عمنوئيل (ص ٢٤٨) وكبش اسحق الذي هو اله بالحقيقة (ص ٢٤٩) والكاهن والقربان (ص ٢٥٠) والخروف بلا عيب الذي امر الرب موسى بان يذبحه (ص ٢١٣) . اما صليبه فهو الحية النحاسية (ص ١٩٨) وسفينة نوح

(ص ١٩٩) . وعيد ارتفاع الصليب يدوم عـدة ايام كالعنصرة عند اليهود (٢١٥ و٢١٧) . وقد ذُبح المسيح في الرابع عشر من الهلال ودمه ملطّخ على حجر الجلجلة معيرة وتوبيخاً لليهود والنير المؤمنين بالله. اما نحن معشر النصارى فقد اخذناه ولطخنا به عتبات بيوتنا اي افواهنا وشفاهنا(كما فعل بنو اسرائيل ليلة خروجهم من مصر فقد لطخوا به عتبات بيوتهم لينجوا من الملاك المفسد) (ص ٢١٣ و٢١٤)

ناهيك عن تقريعه لليهود : فهم آلة الشيطان ينطق بها (ص ٢٢٥). وهو يعني بهم الامم التي غضبت لما ملك الرب (ص ١٨٧) الذي هو المسيح المنتظر جاء ليخلص سبينا (١٩١). وغير ذلك مما ستقرأه في الميمر مفصّلاً.

٢ — العنصر الاريوسي

قبل ان يختم القديس كيرلس ميمره نراه يحذّر المؤمنين من اتباع اريوس كعنصر كثير الخطر على صحة العقيدة . فيحمل عليهم حملة شعواء ، ويـدلّ عليهم ، دون ان يسميهم ، دلالة صريحة بقوله « الهراطقة الـذين ينكرون الوهية المسيح » . وكلمة « هراطقة » مرادفة لديه لكلمة «اريوسيين» مما يدلّ على ان بدعتي النسطورية واليعقوبية لم تظهرا بعد. ولا يخفى ان الاريوسية كان لها الشأن الاكبر طيلة القرن الرابع ،وفي اوائل الخامس قام ضدها النـاطرة فضلاً عن الكاثوليك ، فما عتمت ان فقدت اهميتها ، ان لم نقـل انطفأت ، في اواسط القرن الخامس المذكور. مما نستدل به على صحة نسبة الميمر الى القديس كيرلس ، الذي نفي مرتين من ابرشيته بسعي الاريوسيين ، وكان اكبر مناضل ضدهم ، كما شهد آباء المجمع القسطنطيني الاول سنة ٣٨٢

ففي صفحة ٢٤٩ يحذر القديس ابناء رعيته من مظاهر الاريوسيين الخادعة ، ويشبههم بذلك الوحش الميتولوجي ، الذي يظهر حملاً بمقدمه وثوراً بمؤخره ، مع انه في الحقيقة فهد هائل يأكل لب الاشجـار العوالي ، انما نجس في قلبـه وجسده » . وهم متقلبون لا يثبتون على فكرة ومتنـاقضون في خطتهم . ينكرون من جهة الوهية المسيح « ويجعلونـه انساناً لا غير » وهم مع ذلـك

يعبدونه . فعبادتهم له تثبت انه اله او انهم وثنيون . اما آراؤهم فضعيفة « كقش الشيخ الذي ينكسر تحت يد من يرتكز عليه » ويستدرج من ذلك الى تحذير سامعيه منهم بقوله : « لا تذكروا يا احباني كلام الهراطقة ولا تدخلوا كنائسهم وتصلوا فيها ، لان ليس لهم كنائس . ولنعترف بلساننا وقلبنا ان عمنوئيل اله حقيقي . »

كل هذا ينطبق على الاريوسيين ، الذين استجلبوا قسطنطين الى رأيهم فاعتمد منهم في آخر حياته[1] ، وتسيطروا على ابنه قسطنس ، فنفى القديس كيرلس مع لفيف كبير من الاساقفة المضادين لبدعتهم ، وعادوا فاستصدروا من والنتيوس امرًا باعادته واعادتهم الى المنفى . وقوله « ليس لهم كنائس » يوافق ايضاً ما نعرفه عنهم . فقد كانت خطتهم ان لا يتميزوا بطقوسهم وعاداتهم ومعابدهم عن بقية المؤمنين ليسهل عليهم الانسلال بينهم . وكانوا ، اذا تغلبوا في مدينة ، او استولوا على ابرشية ، مارسوا في الكنائس التي وقعت بين ايديهم الطقوس الدارجة فيها ، واكتفوا ببث بدعتهم في العظات والميامر التي يلقونها على الشعب المجتمع[2] .

وما تقدم يخوّلنا الحق بان نرجح ان القديس كيرلس يقصد افحام الاريوسيين بقوله في صفحة ١٩٢ عن المسيح : « انه لبس السلاح الذي حارب به ذلك الخارجي اعني هذا الجسد الذي اتحد به مع اللاهوت » ، وتلقيبه السيد له المجد في صفحة ١٩٣ « بالاله المتجسد » . ولعله يقصدهم ايضاً بقوله في صفحة ٢٢٣ : « ان الدم الملطخ على حجر الجلجلة معيرة وتوبيخ لليهود « وللغير المؤمنين بالله » ، اي الذين لا يؤمنون بالوهية المسيح .

٣ — العنصر الوثني

نجد في الميمر نصوصاً تشير الى عنصر وثني لم ينقرض بعد ، يحذر الواعظ سامعيه من الاقتداء باتباعه .

ففي صفحة ٢٤٨ ، قبل ان يحمل على الاريوسيين حملته المذكورة آنفاً ، يناشد

---

١) كابرول مج ٣ : ع ٢٦٢٢ ٢) كابرول مج ١ : ع ٤ ٢٨

سامعيه بان لا يفتكروا بالهة الوثنيين قائلاً : « لا نعبد الصليب المقدس بتوانٍ ولا نعبد المسيح بلساننا لا غير ونباركه بافواهنــا ونفكر في قلوبنـا بكثرة الالهة التي للوثنيين » وهنا يضرب لهم مثل الوحش الميثولوجي ، وهو كما لا يخفى من خرافات الوثنيين.

وحملته الشديدة في صفحتي ٢٢٦ و٢٢٧ على يوليانس الجاحد ، الذي جاهد باعادة الوثنية الى عزّها الاول على حساب النصرانية ، وتنسيقها على نظامها ، لا تخلو من دلالة على خوف الاسقف من سيطرتها على رعـاياه ، ولو بطريق الاغراء واطلاق الحرية للشهوات الجسدية.

كذلك قل في برهانه عن ألوهية المسيح : انه انزل العقاب في اعـدائه الامبراطرة ديوقلسيانس ومكسيميانس ويوليانس ، ومنح النصر والعز لقسطنطين محبه ورافع لواء صليبه .

ومن دلائل خوف الواعظ من الوثنية تحذير سامعيه من الاقتداء باعيادها وحفلاتها ، التي كانت تحمل الشعب على الاسترسال في ملاذّ الشره والدعارة ، بقوله في صفحة ٢١٦ عن عيد ارتفاع الصليب الذي اصبح ، في القرون الرابع والخامس والسادس ، من ابهج الاعياد المسيحية[1] « هذا الزمان الذي نفرح فيه يا احباني كما امر الرب . وليس ذلك بكثرة مأكول ولا بكثرة مشروب ولا بكثرة غناء بل بكثرة تسابيح ومزامير نرتل له ونشكره لانه الاهنا ونحن شعبه وغنم رعيته . »

٤ً ــ فلسطيني

كل هذا يوصلنا الى معرفة جنسية الجمهور الذي خطب فيه صاحب الميمر انه ، كما قلنا ، مسيحي فلسطيني محاط بعناصر يهودية واريوسية ووثنيــة . وهو يوافق ما نعرفه عن مسيحيي فلسطين في اواسط واواخر القرن الرابع.

تنبئنـا نصوص الميمر ان الواعظ فلسطيني وان سامعيــه من مسيحيي اورشليم ، بينهم عدد كبير من الحجاج الآتين من المقاطعات المجاورة ، وبعض

١) راجع فنسان وآبل : اورشليم ٢ : ٢٠٤ ؛ ورحلة اثيريا ٨ : ١ و٢

الاجانب الذين جاؤوا من الاقطار القريبة ، لحضور حفلات ارتفاع الصليب « الهپسوزيس » الباهرة . والواعظ متشبّع من التقاليد المحلية عن معاصري السيد المسيح ووجوه قرابتهم منه ، ويعرف الاماكن المقدسة معرفة تامة ، ليس في اورشليم فحسب ، بل في كل فلسطين ، ويلمّ هو وسامعوه الماماً دقيقاً بعادات اليهود والسامريين ومعتقداتهم التلمودية من تطهير الآنية والاثمار والاستحمام ، وغير ذلك مما المعنا اليه اعلاه .

وتكفي حكاية اسحق السامري للتثبت من تضلّعه من جغرافية فلسطين . فهو يتتبع رحلة حجاج يافا القاصدين الى اورشليم ، وتزولهم في مساء اول يوم على « جبرٍ في حقل يندوم على حدود مدينة فلسطين » (صفحة ٢٠٧) . حيث حوّل الانبا واكس الماء المر حلواً بقوة صليب من عود رماه في قعره فلمع كالمصباح . فبنى المجاورون كنيسة للصليب كرسها الانبا كيرلس بنفسه (صفحة ٢٠٨) . وقد لحق اسحاق السامري بالحجاج ليأمن بصحبتهم على آنيته الكثيرة الثمينة ، لئلا يخطفها اللصوص اذا خرج بها وحده مع جماعته . فانتهز الفرصة وحملها بكاملها ليطهّرها في العين التي بنى عليها يشوع بن نون مذبحاً لما قسم الارض على بني اسرائيل ، لان من غسل آنيته بهذه العين لا يعود بحاجة الى تطهيرها مرة اخرى (صفحة ١٩٥)

والواعظ يعرف جيداً الاماكن المقدسة : القبر والجلجلة واسماءها القديمة في العبرية واليونانية ، وحالتها قبل العثور عليها وبناء الكنائس عليها[١] ، وهيئة القبور القديمة ، ومغارة القبر ، والعجائب التي ظهرت عليه والتي حملت اليهود على ردمه . وما كانت عليه اورشليم بعد خرابها ، وقبل اكتشاف القبر ، وعدد اليهود في جوارها واسماء علمائهم السبعة ، وسلسلة اساقفة اورشليم قبل القديس كيرلس ، ومن كان منهم من غير اليهود . وقد صرّح ان هذه التقاليد ينقلها عن الآباء الذين سلفوه وان جزءاً منها حدّث بـه نيقوديموس ويوسف الرامي وبرنابا العبرانيين . ناهيك عن اشارته الى حفلات ارتفاع الصليب الفخيمة ،

---

١) معجم اللاهوت لنجان في ترجمة القديس كيرلس ٣ : ع ٢٥٢٧

التي كانت تجري سنوياً في اورشليم ، والى تقاطر المؤمنين اليها من كل صوب، وهي قد فاقت حفلات تدشين الكنيسة اهمية ، انما لم تمحها بعد . كل ذلك يطابق عصر القديس كيرلس ، خاصة الحقبة الاخيرة منه ، التي ألقي فيها الميمر ، كما سنبينه .

٥ — المكان

ونصوص الميمر وعنوانه تصرح انه ألقي في عيد ارتفاع الصليب ، قبل الحفلة ، في كنيسة القيامة بجانب القبر المقدس .

ففي عنوان النسخة الحلبية ما حرفيته :

« نقرأ ميمر القديس كيريللوس رئيس اساقفة اورشليم قاله لعيد الصليب النير المقدس ... في كنيسة القيامة في ١٧ من شهر ايلول . وكان شعب الارثوذكسيين مجتمعين ليمجدوا الصليب المقدس »

وفي صفحة ١٨٧ من مخطوطة بكركي يشير الخطيب في مستهلّ عظته الى الجموع المزدحمة في كنيسة القيامة : « هوذا نرى الآن علوم كثيرة تتفاضل عن بعضها في هذا المكان الطوباني » . وفي صفحة ١٨٨ يقول « وهذا المجمع الذي اجتمع في هذا الموضع من كل كورة لكي يعاينوا مجده ويقبّلوه اعني الصليب المخلص يسوع المسيح »

وفي صفحة ٢٠٥ يقول الواعظ ان الانبا واكس اشار على اسحق السامري بالذهاب الى كنيسة القيامة في اورشليم ، حيث يجد الجموع محتشدة والاب كيرلس : « لكن اذا اردت ان تكون كامل قوم وامضي الى اورشليم واسأل عن كنيسة القيامة . فادخل اليها فانك تجد الاب كيرللوس هو هناك وجموع كثير من المؤمنين الذين اتو من كل كورة ليعبدوا الصليب المقدس لانه يوم ظهوره . وانت اذا مضيت اليه هو يعرّفك طريق الخلاص وتعاين قوة المسيح وصليبه » .

وفي صفحة ٢٠٨ يتابع القديس قصة السامري ويشير الى ازدحام الحاضرين وظهورهم بثياب العيد بقوله : « لما دخل اسحاق الى يورشليم سأل عن مسكنتي

انا كيرللوس فعرّفه شماس انيّ في كنيسة الصليب اصنع العيد ... فجاء فرأى مجدًا عظيماً وجميع الناس حاضرين بلباس حسن.»

وفي صفحة ٢١٤ يشير الواعظ الى قبر المسيح في كنيسة القيامة سائلاً: «اين وضعوا جسد المسيح . هوذا هو [كان] موضوع في قبره في هذه الكنيسة التي نحن نعيد فيها اليوم.»

وفي صفحة ٢٤٨ يشير ايضاً الى الكنيسة نفسها وحفلة ارتفاع الصليب التي تقام فيها ، واحتشاد الجموع لحضورها وحضور حفلتي العماد والمناولة اللتين كانتا تسبقان حفلة ارتفاع الصليب قائلاً: «والآن فلنكفّ ها هنا من القول ولنقرب الى الاهتمام بالمعمودية المقدسة والقربان في دفعة واحدة . لان الوقت (المعين لحفلة ارتفاع الصليب) قد اقترب . وايضاً من اجل تعب الذين اتوا الينا اليوم الى هذا الموضع المقدس ليمجدوا الاله عمنوايل يسوع المسيح وصليبه المقدس المخلص للذين يؤمنون به.»

كل هذه الشواهد تنطق صريحاً بان الميمر قد أُلقي في كنيسة القيامة باورشليم قبيل حفلة ارتفاع الصليب . فهل يعقل ان يُلفق ويُنسب زورًا الى القديس كيرلس الاورشليمي ؟ وما هي غاية المزوّر والملفق ؟ . لننظر في ذلك بعين الانصاف والنقد المجردة عن الهوى والكبرياء الفارغة.

١٤ — المؤلف

اذا رمنا الوصول الى معرفة مؤلف هذا الميمر علينا ان نسأل نصوصه عن جنسيّة صاحبه ومذهبه وأساليبه وافكاره ، فنتدرّج من ذلك الى فحص نظام الميمر والعصر الذي وُضع فيه وتصريحاته بشأن صاحبه.

١ً — جنسيته

اولًا : هل هو قبطي ؟

ان ترجمة هذا الميمر في القطر المصري والعثور عليه ضمن مجموعة وُضعت في هذا القطر واتصلت من رهبان الاقباط الى موارنة لبنان ، واحتفاظ الاقباط بميامر أُخر موضوعة على ظهور الصليب ومنسوبة ايضاً الى القديس كيرلس

الاورشليمي ، تؤيد الشك في ميمرنا انه مُلفَّق مثلها من احـد اقباط العصور الوسطى ، ومنسوب زورًا مثلها الى هذا القديس .

وكنا قد استشرنا في الامر حضرة المستشرق الاب القـانوني جورج گراف الالماني ، من اكبر الواقفين على تآليف الكنيسة القبطية ، فدلنا على ثلاثة ميامر بهذا الموضوع ، احدها محفوظ في مكتبة البطركخانة القبطيَّة بالقاهرة تحت رقم ٧٠ صفحة ١ — ٢٤ . وهو مخروم ومنسوخ سنة ١٥٨١ م اي ان نسخته احدث عهدًا من نسختي ميمرنا المرتقيتين كـما مر بك ، الى سنـة ١٥٥٧ و١٥٥٨ . والآخران مصونان في المتحف القبطي بهذه العاصمة تحت رقم ٣٠ من مجموعة الكتب الطقسيَّة ، فكلفنا حضرة صديقنا الاب العالم بولس سباط استنساخهما فلبَّانا . انما لم يفلح في الحصول على نسخة من الميمر الاول . وسألنا ايضاً بهذا الخصوص الاب بيترس البلجكي اليسوعي ، احد مشاهير المشتغلين بتآليف الآباء القديسين وتراجمهم ، فدلنا على ميمر في خزانة مدينـة ليبسيك الخطية بالمانية محفوظ تحت رقم ٢٤٢ وتكرم الاب گراف بنسخ الفقرة الاولى منه . فاذا هي :

« ميمر قاله القديس كيرلس . . . يشرح فيه كرامة عود الصليب المقدس ووجوده . في اليوم العاشر من برمهات . قال المجد لله الواحد ذي الحكمة والصنع العجيب . الجايـد علينا بتجسد الابن الحبيب »

ونبهنا حضرته الى ان هذا الميمر ملفق ومنسوب زورًا الى القديس كيرلس الاورشليمي . وقد وجدناه مطـابقاً للميمر الثاني من المتحف القبطي ، ويدور مثله على ظهور الصليب على يد هرقل الملك سنة ٦٢٩ ، اي ثلاثة قرون بعـد القديس كيرلس . وهو اقرب الى الرواية منه الى العظة ، اذ ان بطلته فتـاة قبطية حسناء سباها الفرس ، فدلت الملك هرقل بعد انتصاره عليهم ، على المكان الذي خبأوا فيه الصليب . وهو غير موضوع ميمرنا فلا حاجة للاسهاب فيه .

اما الميمر الاول من خزانة المتحف القبطي فموضوعه ، مثل ميمرنا « ظهور الصليب على يد البار قسطنطين وامه هيلانة » . بيد انه حديث العهـد مسجع العبارة وُضع ليقرأ في السابع عشر من شهر توت . واليك اوله :

« المجد لله الذي خلقنا نحن المؤمنين باشرف المواهب السنية وانعم علينا بجوده وكرمه بأعظم العطايا الالهية . وجعل لنا موضعاً على الارض شبيهاً بالاماكن السمائية . . . »

تكفي هذه الديباجة للتثبت من حداثته . وهو في مقدمته ، التي تشغل الصفحات التسع الاولى منه ، مختلف عن ميمرنا اختلافاً كبيراً . وقد سقطت منه قصص اسحق السامري واكلاوبا وبنت يائيروس وغيرها . بيد انه ، في الصفحات العشرين الباقية يتفق مع الاساطير السريانيَّة ، واحياناً مع ميمرنا ، مما يبعث على الظن انه منقول عنها وان واضعه انتقى بعض التفاصيل من ميمرنا . فهو يروي حكاية ردم اليهود للقبر بزبالاتهم مدة مئتين وثلاثين سنة ، كانهم تابعوا الردم بعد خرابها سنة ٧٠ م . وهذا يخالف ميمرنا كما رأيت . انما يوافقه في ما رواه عن رؤيا قسطنطين لعلامة الصليب بهيئة نجوم زاهرة ، وانه عرف من يوسيفوس الجندي الشيخ الموقر (وهو في ميمرنا شاب يُدعى يوسيكينوس) انها للمسيح ، فصاغ صليباً من ذهب رفعه على علم ونقش مثله على تاجه وعلى آلة الحرب فظفر باعدائه ، الذين لا يسميهم قال :« وأشرقت بشعاعه الدولة اليونانيَّة »، واعتمد في السنة السابعة من ملكه من يد سيبطرس بابا رومية[1] . وقصد الى القدس مع والدته هيلانة وسأل اليهود عن مكان الصليب ، فانكروا في بدء الامر ثم حولوه على يهوذا الذي دله على تل الجلجلة . فامر اليهود بتنظيفه (هنا ورقة مخرومة كما في نسخة حلب) فكشفوا عنه في السادس عشر من توت . وعُرفت حقيقته من وضعه على الميت ، مما يخالف ميمرنا . ثم تنيح الانبا يوساب اسقف اورشليم (لعله «يوسف» ميمرنا) وكرّز بعده يهوذا ودعي كيرياكوس (وهذا يخالف ايضاً ميمرنا ويوافق الاساطير السريانيَّة) . وبعد ذلك اجتهدت الملكة في طلب المسامير فاكتشفها الانبا كيرياكوس وصاغتها لجاماً لركوب ابنها ، كما في الاساطير السريانيَّة . فانت ترى ان واضع الميمر القبطي قد اخذ كثيراً عن هذه الاساطير وبعض الشيء عن ميمرنا ، وانفرد ببعض المعلومات ، مما يدل على انه استقى من هذا وتلك ومن غيرها.

ولا بد انك قد استغربت قوله عن « اشراق الدولة اليونانيَّة بشعاع

---

١) لعله يريد القديس سيلفستروس الاول الذي جلس على كرسي رومية في عهد قسطنطين اي من سنة ٣١٤ حتى ٣٣٥ ، مخالفاً بذلك الاساطير السريانية التي تدعي ان البابا اوسابيوس اسقف رومية (٣١٠-٣١٤) هو الذي عمّده.

قسطنطين » ، والاقباط كانوا يكرهون اليونان كرهاً عظيماً . وقد استسلموا لليعاقبة ديناً ، وللعرب دنيا ، ليتخلصوا من استبداد رؤسائهم وامبراطرتهم .

وفي هذا الميمر يرد اسم اورشليم بصيغته اليونانيّة « يورشليم » فهل هذه دلائل نقل اصله عن اليونانيّة ، ونقله رأساً بعض التفاصيل عن ميمرنا ، والبقية عن الاساطير السريانية ، فيكون احدث عهدًا من ترجمة ميمرنا عن السريانية ! نحن نرجح ذلك ، انما لا نعني به ان مؤلف ميمرنا قبطي الاصل .

اولًا : لانه مترجم كما قلنا عن السريانية ، ولا معرفة للاقباط بهذه اللغة .

ثانياً : اذا كان مترجمه سريانياً فمؤلفه غير يعقوبي اي غير سرياني وغير قبطي . لان ليس فيه ما يشتم منه رائحة البدعة اليعقوبية ، كما سنبيّنه في ما يلي .

ثالثًا : يشير الميمر في صفحة ٢١٥ الى نمو الزرع بواسطة مطر السماء . مما يدل على انه وُضع في بلد تعتمد على مطر السماء . وهو غير الحال في وادي النيل حيث يروى الزرع بماء النيل ، ولا مطر يهطل الا نادرًا . واليك العبارة : « كمثل انسان حكيم يمضي الى حقله وينقي منه السنط[1] والشوك الذي يطلع فيه ، وبعد ذلك يزرع فيه الزرع بيد سمحة ويحرثه بالمحراث وينظر الى زمان الشتاء ليأتي المطر عليهم ويطلعوا وينموا ويعودوا زرعاً صالحاً من اجل الريح الندى الذي نزل من السماء من عند الله » .

ثانياً : هل يوناني ؟

سنبين في ما يلي ان الميمر قد وُضع في بلاد مسيحيّة يحكمها ملوك مسيحيون . فيجب ان نؤخر وضعه الى ما قبل الفتح الاسلامي للبلدان الشرقيّة ، وهذا يفتح باباً للسؤال هل مؤلفه احد يوناني العصور الوسطى . لاسيما ان الدلائل عديدة كما قلنا على اصله اليوناني . فنجيب ان ذلك لا ينطبق على يوناني القطر المصري لان حكمهم حكم الاقباط في خضوعهم للاسلام بعد الفتح . بقي علينا ان نعرف هل هو تأليف احد يوناني الدولة البيزنطية التي لم تسقط في ايدي الاتراك الا اواسط القرن الخامس عشر .

---

١) قلنا سابقاً ان استعمال المترجم لهذه الكلمة يدل على ترجمة الميمر في القطر المصري ، لا على تأليفه في هذا القطر .

لهذا الاعتراض بعض الوجاهة ، انما ليس لمقدّميه برهان عليـه . ولا ينطبق على الجمهور الذي كان حاضراً سماع الميمر ، وهو ، كما بيّنا ، مسيحي فلسطيني محاط بعناصر أريوسية ويهودية ووثنيّة . فالاريوسيـة انطفأت في اواسط القرن الخامس ، وكانت الوثنية قد اندثرت قبلهـا في البلدان المسيحية ، خاصة القسطنطينية . ولم يكن لليهود في هـذه العاصمة ، في العصور الوسطى ، الشأن الذي يشير اليه صاحب الميمر ولا الخطر الذي يخافه من تعاليمهم وتقاليدهم .

فضلاً عن ان الميمر يصرّح ، كما رأيت ، انه تُلي على جمهور مجتمع حول القبر المقدس في كنيسة القيامة باورشليم . وليس فيه ما يؤيد آراء المنشقين من اليونان ، الذين انفصلوا اولاً عن كنيسة رومية بعد القرن التاسع ونهائياً بعد اواسط الحادي عشر . ولو كان لاحدهم لقـاوم صراحـةً بدعتي النسطورية واليعقوبية . نعم ان صاحب الميمر غير يعقوبي وغير نسطوري ، كما سنبيّنه من اقواله ، انما جاءت تصريحاته في ناسوت المسيح ولاهوتـه مضادة عرضاً لهؤلاء المبتدعين . فهو لا يقصدهم ولا يشير اليهم البتة ، بخلاف الاريوسيّين . وانك تجد في عظات القديس كيرلس تصريحات واضحة في شأن الطبيعتين والمشيئتين[1] ، مع انها قيلت في سنة ٣٤٨ قبل ظهور اليعاقبـة والنساطرة بقرنٍ ونيّف . نلفت النظر الى ذلك لئلا يخيّل الى احد ان الميمر وُضع بعد القرن الخامس .

٢ً — مذهبه

ان واضع الميمر كاثوليكي اي انه غير تابع لاحدى البدع التي نشبت في الكنيسة الشرقية وفصلتها عن الكنيسة العامة : اي الاريوسية ، والنسطورية ، واليعقوبية ، او اليونانية . وقد مرّ بك انه ليس باريوسي ولا يوناني فلعله نسطوري او يعقوبي .

اولاً : ليس بنسطوري . ان حملته على الاريوسيّين قـد تحمل البعض على نسبة الميمر الى احد النساطرة اعدائهم . على ان تصريحه باتّحاد لاهوت المسيح مع ناسوته يبدّد هذا الظن . فقد جاء في صفحة ١٩٢—١٩٣ : « هذا الجسد اتحد

١) راجع معجم اللاهوت لفاكان مج ٣ : ع ٢٥٢٦

به مع اللاهوت ... والاله متحد به داخله وخارجه » وفي صفحة ٢١١ « هذا الجسد الذي اخذه من مريم العذرى ولبسه وجعله واحد مع لاهوته » . فضلاً عن انه ذمّ في صفحة ١٩٧ السامريين لادعائهم بان المسيح لم يصلب بل ابدل بني آخر وهو ما اخذه النساطرة عن باسيليوس المبتدع[1] ولقنوه نبي الاسلام .

ثانياً : وهو ليس بيعقوبي لانه يسلم ضمناً بطبيعتي المسيح الالهية والانسانية بقوله في صفحة ١٩٢ « ان الملك (اي المسيح) جاء الى عبيده بهوى قلبه ... ولبس السلاح الذي حارب به ذلك الخارجي اعني هذا الجسد الذي اتحد به مع اللاهوت . وذلك الجسد من غير زرعة بشر وعمل الاشياء كلها مثلنا ما خلا الخطيئة ، وهو لم يخطئ قط ولم يوجد فيه دغل فسد والاله متحد داخله وخارجه » .

هذه التعاليم جاءت في هذا الميمر عفواً . فصاحبه ليس بنسطوري ولا يعقوبي . انما لا يحارب هؤلاء علناً . ولا يعقل كما قلنا ان يكون واضعه عاش بعد ظهور هاتين البدعتين ويكتفي بمحاربة الاريوسيين فقط ويعنيهم وحدهم بالمراطقة دون ان يتعرّض للبدعتين اللتين نشأتا لمقاومة ضلال نسطور ، او يدافع عن احداهما ، فنعرف انه من اتباعها .

ثالثاً : مركلوس الانقيري . في الحقبة الاولى من القرن الرابع ظهرت ضلالة مركلوس الانقيري الذي انكر ازلية ملكوت المسيح ، بدعوى ان ملكه ابتدأ فقط حين تجسده . وقد ذهب تلاميذه ، اخصهم فوتينوس ، الى ابعد من هذا ، فانكروا ازلية المسيح في جوهره والوهيته وملكوته . تخبطت النصرانية ردحاً من الزمن في شراك هذه البدعة ، وكاد القديس اثناسيوس الاسكندري يعلق بها لصداقته مع مركلوس المذكور ، فحطه مجمع الاساقفة في صور سنة ٣٣٥ عن كرسيه وحرم صديقه مركلوس . وقد جاهد عبثاً امبراطورا الشرق والغرب في سنتي ٣٤٢ و٣٤٣ للتوفيق بين المبتدع المذكور والرأي الكاثوليكي . ومات مركلوس سنة ٣٧٤ وآل تطرف تلاميذه الى اضعاف شأنهم وزوال خطر بدعتهم في اواخر القرن الرابع[2] ، وهي الحقبة التي

١) راجع مجموعة مين في تعليقه على عظة القديس كيرلس الرابعة رقم ٣٠ ع ٤٦٧

٢) راجع في هذه البدعة معجم ڤاكان ومنجنو : مج ٩ قسم ٣ ع ١٩٩٥

ترجح القاء الميمر فيها.

اوردنا ذلك اولاً لتبيان غرض صاحب الميمر من استهلاله بآية المزامير « ملك الرب » وايراده غيرها من الآيات المثبتة ملكوت المسيح ، ثانياً لنلقي في كفة نسبة الميمر الى القديس كيرلس برهاناً يزيد في ترجيحها. واليك بعضها:

« ملك الرب فلتتهلل جميع الامم » (صفحة ١٨٧) . « أترى هو منتظر الى زمان ليملك . اليس الملك كله له والربوبية من الابتداء. كما قال دانيال النبي ان مملكته دائمة الى الابد وربوبيته من البحر الى البحر ومن النهر الى اقصى المسكونة . فان كنت تريد ان تعلم ايها المناصب ان المسيح ملك الملوك فاسمع . . . الخ » (صفحة ١٨٨)

الا تراه يعني مركلوس بلقب « مناصب » وانه يرمي الى الردّ عليه بالآيات المذكورة ؟ ونحن نعلم ان هذه البدعة كادت تنطفئ في اواخر القرن الرابع فلم يعرها صاحب الميمر الا قليلاً من الاهمية . وهذا دليل على ان الميمر ألقي في هذه الحقبة ، اذ لا داعي لتفنيد ما لا يقول به احد.

ولما كان هذا الميمر خالياً من رائحة كل البدع الشرقية ، حقّ لنا ان نسأل الذين يعارضون في نسبته الى القديس كيرلس: ما هي غاية واضعه من هذا التزوير ؟ لو انه دسّ فيه ادنى سم هرطقة ام رأي شاذ ، لادركنا انه اقدم على هذا التزوير ليتسنى له تسميم عقيدة المسيحيين بسهولة دون ان يتخذوا حيطتهم ؛ اذ انه ينسب آراءه الفاسدة الى قديس قديم من اشهر علماء الكنيسة واوسعهم حجة. اما والواقع غير ذلك فما هو غرضه من اخفاء اسمه ؟ لو جرّدنا هذا الميمر من ثوبه المستعار وعبارته الركيكة الغريبة ، لالفيناه من أجمل المواعظ التي ورثناها عن الآباء الاولين معنى ومبنى ، وأغزرها فوائد تاريخية وتقاليد ثمينة . فهل حمل فرط التواضع صاحبه على التستر وراء هذا القديس ؟ ولكن ما قول اصحاب هذا الرأي في رجل صالح ساعٍ في طريق الكمال المسيحي يرتكب الكذب والتلفيق والتزوير ، فيسند اقواله الى احد اعاظم معلمي الكنيسة ويصفها على لسانه بصورة المتكلم « انا كيرلس . مسكنتي انا الحقير كيرلس » ، وما شاكل ذلك !

٣ – أسلوبه

وان قارنا بين أسلوب صاحب هذا الميمر وآرائه ومعلوماته عن الصليب المقدس واسلوب القديس كيرلس الاورشليمي وافكاره ومعلوماته، وجدناها مطابقة متوافقة.

لهذا القديس اربع وعشرون عظة مشهورة باسمه لا ينكرها عليه أحد[١]، القاها في بدء اسقفيته في سنة ٣٤٨. منها ثماني عشرة عُرفت باسم كتكيزيس *Catecheses* ، Κατηχήσεις اي عظات الموعوظين، استهلها بمقدمة *Procatechesis* القاها في كنيسة القيامة، في صوم سنة ٣٤٨، على الاحداث المقدَّمين لاقتبال اسرار العماد والتثبيت والمناولة في فصح تلك السنة. وفي الاسبوع الذي جاء بعد هذا العيد، شرح لهم الاسرار في خمس عظات أخرى دُعيت مستاجوجيكا *mystagogica* اي شرح الاسرار القاها في معبد القبر المقدس. فلننظر اولاً في اسلوبه.

في المثل الفرنسوي: « الانشاء هو الانسان »، اعني ان الانشاء ينبئك عن صاحبه ممثلاً لك طريقته وعقليته ومزاجه. فمن راجع هذه العظات وطالع الميمر عرف فيه القديس كيرلس بطريقته ومزاته وعيوبه.

في المقالة التي نشرها الاب باشله اليسوعي في معجم اللاهوت الكاثوليكي[٢] في ترجمة القديس كيرلس الاورشليمي لخص فيها تعاليم هذا القديس في عظاته، وقال في صدرها[٣]، ان انشاءه ملائم لسامعيه الاحداث، بسيط واضح، مهما سمت افكاره، خالٍ من الاصطلاحات اللاهوتية، ذو لهجة وديّة ابوية ممتزجة بنبرة حماسية تساعد على الاقتناع. وفي جانب هذه المزايا بعض العيوب. فانك تعثر بعبارات غير كاملة المعنى، وبفقرات طويلة خارجة عن الموضوع الاصلي.

---

١) راجع معجم اللاهوت لفاكان مج ٣، ع ٢٥٢٣ و ٢٥٢٤

٢) فاكان مج ٣، ع ٢٥٢٣-٢٥٧٧

٣) ع ٢٥٢٤

ناهيك عن مراجعات مملّة ونصوص من الكتاب المقدس مشوّهة أو مختلفة عن الاصل . والسبب في ذلك ان القديس لم يكتب عظاته بنفسه بل كان يلقيها بداهةً كيفما اتفق له . وجاء بعده من التقطها واختصرها وكتبها لنا كما علقت بذهنه وعلى قدر معرفته وقوّة ادراكه .

هذا الوصف يطابق تماماً انشاء الميمر واسلوبه . وان فات بعض تعابيره الوضوح ، الذي يشير اليه صاحب المقالة ، فالذنب على المترجم الغشيم او على النصّ الذي وقع في يده . وقد اشرنا سابقاً الى الحكايات الطويلة التي تتخلل الميمر وتشغل القسم الاكبر منه . وسنعود اليها في كلامنا عن نظامه .

ومن خصائص القديس كيرلس انه يشيّد عظاته وبراهينه على نصوص الكتاب المقدس . ولعله اول من ابتدع استهلال الخطاب بآية كتابية وتعليقه برمته بها ، وتقسيمه على حسب معانيها . لانه « كان يعتبر الكتاب المقدس اساس كل التعليم الكنسي »[1] وكان يفنّد به اقوال الهراطقة واليهود والسامريين[2] .

وسترى ان الميمر كله قائم على آيتي المزامير « ملك الرب فلتتهلّل الامم . ملك الرب فلتغضب الامم . »[3] وهما تمثلان قسمي العظة يشرحهما ويدعم كل اقواله بآيات ونصوص الكتاب المقدس وبعض البراهين العقلية والتقليدية .

٤ً — افكاره

ان اخبار عجائب الصليب واخفائه واكتشافه تستغرق تقريباً الميمر كله ، ولا تترك فيه مجالاً للارشاد ، اي الوعظ بحصر المعنى ، سوى القليل ، مما لا يتجاوز خمس صفحات . فالآراء اللاهوتية فيه نادرة . ومن جهة اخرى لم يتسنَّ لنا مقابلتها مع عظات القديس كيرلس المذكورة ، تاركين لغيرنا هذه المهمة ، التي

---

١) ع ٣٥٤٣
٢) ع ٣٥٣٨
٣) ص ١٨٧ ,١٨٨ ,١٩٤

تجرنا الى ابعد مما نقصد من هذه التوطئـة . فاكتفينا بمقابلتها مع الخلاصة التي نشرها الاب لباشله المذكور آنفاً . فوجدنا بين المصدرين شبهاً كبيراً ، وعثرنا في بعضهما على الفكر نفسه مكرراً حرفياً . واليك بعض ما لاحظناه من هذا التوارد :

الروح القدس — استهلّ صاحب الميمر كلامه بقوله ، في صفحة ١٨٨ : « نحن نسأل الفارقليط روح الحق الواحد مع الاب والابن. والاب والابن واحد معه. الثالوث المقدس . وثالوثاً من اجل ان فيـه ثلاثة اسماء الاب والابن والروح القدس . »

وجاء في عظة القـديس كيرلس السادسة عشرة رقم ٤ ، ع ٩٢١ ضد المرقيانيين[1] : « نعلق رجاءنا على الاب والابن والروح القدس . نحن لا نقول ثلاثة الهة بل الهاً واحداً مع الابن والروح القـدس » . وفي العظة ١٧ رقم ٥ ع ٩٧٣ يقول[2] : « ان الروح القدس واحد مع الاب والابن في كل شيء. ، في الاعمال الخارجية وفي الحياة الداخلية . » ويلاحظ الاب لباشله ان القديس قال هذا القول قبل ظهور بدعة المكدونيين وقبل ان يكتب القـديس اثناسيوس الاسكندري رسالته الشهيرة الى سرابيون.

الكاهن والقربان — تتردد في الميمر مراراً فكرة « المسيح الكاهن والقربان . وكبش اسحاق الذي هو اله بالحقيقة . والخروف الـذي بلا عيب المذبوح على صليب الجلجلة ، ودمه ملطخ على ابواب قلوبنا وشفاهنا » الصفحات ٢١٣ و ٢١٤ و٢٤٨ و٢٤٩ و٢٥٠

وهي نفس فكرة القديس كيرلس يوردها في العظات العاشرة رقم ٤ و ١٤ والحادية عشرة رقم ١ و ٤ ع ٦٦٤ و٦٨٠ و٦٩٢ .وخاصة في الرابعة والعشرين رقم ٩ ، التي يشرح فيها نظام القـداس ومعانيه ، فيسمي المسيح « الضحيـة المذبوحة على الجلجلة » و« الكاهن والذبيحة » وما الى ذلك من التعابير الخاتمة

---

١) معجم فاكان مج٣، ع ٢٥٤٦
٢) فاكان ع ٢٥٤٧

حول المعنى ذاته[1].

في ولادتي المسيح — في صفحة ٢١٩ من الميمر يقول عن السيد المسيح : « ولدته مريم العذراء من الروح القدس ». وفي صفحة ١٩٢ : « ولدته من غير زرعة بشر » وفي صفحة ١٨٧ : « هو ابن داود بالجسد » وفي صفحة ٢٥٠ يورد هكذا فقرة قانون الايمان الخاصة بالتجسد : « تجسد من مريم العذراء وولد في العالم » ليميز هذا التجسد عن ولادته الاولى الازلية من الاب.

وفي العظتين الحادية عشرة رقم ٥ والثانية عشرة رقم ٤ ع ٦٦٦ و٧٢٩ نقرأ « هو ابن الله وابن داوود. وُلد المرة الاولى من الاب والثانية من العذراء » وخلاف ذلك مما يقرب من هذا التعبير ويرجع الى المعنى نفسه[2].

الاله المنظور — في صفحة ١٩٣ من الميمر يقول عن السيّد المخاص : « انه لبس الجسد واتحد به لاهوته ليخلص عبيده . وعمل الاشياء كلها مثلنا ما عدا الخطيئة . . . والاله متحد به داخله وخارجه اما القول داخل الجسد من اجل انه ليس يعاين احدٌ مجده وهو لابس اللاهوت فيحيا . واما القول خارج الجسد فمن اجل انهم كانوا ينظرونه يصنع الشفاء. »

هذا القول وارد بمعناه في عدة فقرات من عظات القديس كيرلس ، لاسيما في عظته عن المخلع رقم ٦ حيث يقول : « الكلمة اتخذ جسماً معرضاً مثلنا للانفعالات . ولكن ليس هنا مسيحان بل مسيح واحد بطبيعتين. » وفي العظة ٤ رقم ٩ ع ٤٦٦ يقول : « هو انسان من الجهة المنظورة واله من الجهة الغير المنظورة . انسان يأكل مثلنا وينام . واله يسير على المياه ويشبع خمسة آلاف رجل بخمس خبزات »[3]. ولاحظ ان القديس كيرلس لفظ هذه العظات في اواسط القرن الرابع، قبل ظهور بدعة اليعاقبة في القرن السادس.

عبودية الخطية وأسر الجحيم — يقول القديس كيرلس في عظته الثالثة رقم ١

---

١) فاكان ع ٢٥٢٩، ٢٥٤٨، ٢٥٧٥

٢) ع فاكان ٢٥٥٠

٣) فاكان ع ٢٥٥٠

ع ٧٧٢ : « ان يسوع المسيح قد اعتق كل الـذين كانوا مأسورين تحت نير الخطية[١] » . وفي العظة الرابعـة رقم ١١ و١٤ والرابع عشرة رقم ١٩ و٢٤ ع ٤٦٩ و٨٤٩ و٨٥٧ يتكلم عن نزوله الى الجحيم وعتقه الابرار الذين كانوا مسجونين فيه واصطحابهم معه في صعوده منتصراً الى السما.[٢]

هذه الفكرة قد توسع فيها صاحب الميمر في الصفحات ١٨٩—١٩٢ ، حيث مثل الشيطان بالخارجي الـذي سطا على كورة الملك واسر غلمانه وحاشيتـه . فخرج اليه الملك وغلبه ونزل الى الجحيم واسترد خواصه المأسورين فيه وأتى بهم الى محل ملكه . . . هذا كان في الزمان الذي تملكت فيه الخطيئة في العالم . . . وكان الناس تحت رق عبوديتها »

سلاح الجسد — واظهر من ذلك ما قاله القديس كيرلس في عظته الثانية عشرة رقم ١٣- ١٥ ع ٧٤٠ « ان المسيح قد استعمل لخلاصنا نفس الاسلحة التي استخدمها الشيطان ليغلبنا. »[٣]

هذه الفكرة واردة تقريباً حرفياً في الميمر في صفحة ١٩٢ منه حيث يقول عن السيد المسيح: « انه لبس السلاح الذي حارب به ذلـك الخارجي ، اعني به هذا الجسد الذي اتحد به مع اللاهوت . »

٥ — معلوماته عن الصليب

ان تخصيص القديس كيرلس ميمراً بكامله لاكتشاف القبر والصليب ليس بالامر المستغرب ، بل المستغرَب ان لا يكون له في هـذا الموضوع اكثر من هذا الميمر . فهو اسقف اورشليم المدينة التي قدسهـا الفادي الالهي بموته على الصليب فيها ودفنه وقيامته وعجائبه .

---

١) فاكان ع ٢٥٥٤
٢) فاكان ع ٢٥٥٦
٣) فاكان ع ٢٥٥٠

وقد كانت حفلة ارتفاع الصليب بلغت في عهد القديس أوج عزها واصبحت مظهراً لاكبر عيد في النصرانية ، تتقاطر الجماهير الغفيرة لحضورهـا في كرسي هذا الاسقف وتنحني عشرات الالوف من الرؤوس تحت يديه الرافعتين الذخيرة الثمينة ، هاتفين لدى رؤيته بكل حماستهم : كيرياليسون ! فكيف لا يتحمس القديس لهذا المظهر الكبير من مظاهر النصرانية في مدينته وامام عينيه وتحت رئاسته ! وهل يصح في ذلك اليوم العظيم ان لا يكلم الجموع عن الصليب الذي جمعهم من اقطار المسكونة لتكريمه فيخبرهم عن امجاده وآياته وظهوره وبناء كنيسته !

فلا غرو اذا قدّم لنا هذا القديس اقدم شهـادة عن وجود الصليب وهي الواردة في رسالته الى قسطنس الملك حيث يصرّح ان الصليب وُجد في عهـد والدة قسطنطين ، اي قبل وفاته سنة ٣٣٧.

وفي عظاته الملقاة على الموعوظين في صوم سنة ٣٤٧ معلومـات اخرى عن الصليب وعبادته استنتج منها الاب لكلير وغيره ان هذه العبادة قديمة [1] . ففي العظة الرابعة يقول عن المسيح « انه صُلب حقيقة لاجل خطايانا . وان عنّ لك ان تنكر ذلك فهذا المكان الشهير يكذّبك . » [2] وفي العظة عينهـا يقول [3] « ان ذخائر الصليب قـد توزعت الآن في كل اقطـار العالم » . وفي العاشرة يصرح [4] : « للمسيح شهادات كثيرة . . . منها هذا الصليب المقدس الـذي نراه بيننا حتى اليوم ، والذي يتهافت المؤمنون على اقتسام ذخائره وقد ملأوا منهـا الارض كلها . »

---

١) كابرول مج ٣ ع ٣١٢٢ حاشية ١٠

٢) كابرول مج ٣ ع ٣١٢٥ . راجع النص في مجموعة مين للآباء اليونان مج ٣٣ عظة ٤ رقم ٩ و١٠ ع ٤٦٧ حيث ينبهنا ان القديس يقصد المانويين القـائلين بان القيرواني صلب بدلاً من المسيح .

٣) مين ع ٤٧٠

٤) رقم ١٩

١٥ — نظام الميمر ونصر بحاز وعصره

١ً — النظام

ان نظام الميمر ، او بالاحرى عدم نظامه ، دليـل على انه غير مصطنع . هب ان الملفق شطّ عن البرنامج الذي اختطه نفسه ، فما الداعي لاعتذاره وابقاء العيب الذي اعتذر عنه في الميمر . فقد كان احرى به ان يحذفه او يصلحـه ، قبل ان ينشر ميمره .

وقد سبق لنا القول ان القديس كيرلس كثيرًا ما ينسى نفسه وموضوعه ، فيتوغل في حكايات جاء بها عرضاً على سبيل المثل فتصبح اصلاً . واليك برنامج الميمر واستدراكاته .

اولاً : البرنامج — قلنـا ان الميمر معلق حكمه على آيتي المزامير « ملـك الرب فلتتهلل الامم . وملك الرب فلتغضب الامم . » غضب اليهود من حسنات المسيح : في سيرته الصالحة وعجائبه مدة حياته وبعد موته ، فاضطهدوه وقتلوه وردموا قبره . وغضبت الوثنية من حسنات النصرانية ونجاحها فاعلن الامبراطرة عليها الاضطهاد من اول نشأتها حتى قسطنطين . وعاد يوليانوس فجدده .

ومن جهة اخرى ملك المسيح وانتصر على الشيطان وخلص اتباعه من اسر الخطية وعاقب اليهود بخراب اورشليم وهيكلهم وتشتيت شملهم واذلالهم . واهلك ايضاً اعداءه الملوك : كديوقلسيانوس معلن الاضطهاد العام على المسيحية، ومكسيميانوس دازا ، ذابح الفرقة المسيحية من الجيش ومواصل الاضطهاد ، ويوليانوس ، الذي جحـد المسيح وحاول قتل ديانته ، فاماته شرّ ميتـة . بيـد انه نصر قسطنطين محبه بعلامة صليبه ، فبحث عن خشبته ، واجبر اليهود على رفع الردم عنها وبنى لها كنيسة القيامة الفخيمة واغلق هياكل الاصنام وحوّل بعضها الى كنائس أغدق عليها الاموال .

ثانياً : الاستدراكات — هذا برنامج الميمر العام ، يظهر لنا منظماً بخطوطه العامة متماسكاً باجزائه ، لولا الفقرات والحكايات الطويلة التي تصبح جوهرًا في

الميمر مع انها عرض . وترى الواعظ ينتبه كل مرة لشططه فيعتذر للسامعين ويعود الى الموضوع ليخرج منه في اول فرصة منقادًا لمخيلته القوية . ثم لا يلبث ان يفطن لخطإه فيصلحه برجوعه الى البرنامج الاصلي .

ففي صفحة ٢٠٨ بعد ان أسهب في قصة اسحق السامري وعادات تطهير اليهود ، وهو يقصد في الحقيقة سرد اعجوبة تحلية ماء البئر في حقل يندوم بصليب رماه فيه الانبا واكس ، نسمعه يقول للحاضرين : « هوذا قد صرنا كن ذي القول . » ثم يعود ليخبر عن اعتماد اسحق السامري فيحكي كيف انه دخل كنيسة القيامة وطلب مقابلته ويشغل بقصته الصفحتين ٢٠٩ و ٢١٠ ثم يستدرك بقوله : « والآن نكمل تأويل الكلام من اجل المكتوب في المزامير . » ويخوض في الشرح عن تجسد المسيح وفوائد صلبه وصليبه الروحية . وفيما هو في ذلك يلاحظ تكاثر الجموع في الكنيسة وذهاب الوقت فيستدرك قائلًا صفحة ٢١٢ : « ولكن ، يا احبائي ، انا ارى الوقت قد اقترب والجمع الذي اتوا الى العيد يريدوا يسمعوا تمام القول الذي قاله الرب لموسى ان يعيدوا ثلاث دفعات في السنة . » فيشبه حينئذ عيد ارتفاع الصليب بعيد اليهود ويفسّر لسامعيه ان الدم الملطخ على اعتاب منازل اليهود هو رمز لدم المسيح الذبيحة والكاهن (صفحة ٢١٢ — ٢١٦) الذي قام من الموت « ولما صعد الى ابيه صرخوا الملائكة قايلين : ملك الرب على جميع الامم . الله القدوس جلس على كرسيه » .

وهكذا يرجع الى الآية ويشرح كيفية انتصار المسيح بظهوره لقسطنطين ، الذي الغى الاضطهاد وبحث عن الصليب فوجده وبنى له كنيسة عظيمة . حتى اذا جاء على آخر القصة وجد ان الميمر قد استغرق الوقت المعدّ لحفلتي العماد والمناولة ، اللتين كانتا تسبقان حفلة ارتفاع الصليب ، فلا يرى بدًّا من اختصارهما وادماجهما الواحدة بالاخرى . فيختم عظته قائلًا في صفحة ٢٤٨ : « والآن فلنكفّ ها هنا عن القول ولنقرب الى الاهتمام بالمعمودية المقدسة والقربان دفعة واحدة لان الوقت اقترب . وايضاً من اجل تعب الذين اتوا الينا اليوم الى هذا الموضع المقدس . »

فهل يعقل ان تكون مصطنعة ملفقة كل هذه الاستدراكات البديهية

والمواقف الطبيعية والمخاطبات الموجهة الى السامعين والملاحظات على تكاثر الجمع رويداً رويداً وازدحامه فضلاً عن الاشارات المتكررة الى حفلة الهيوزيس وكنيسة القيامة والقبر المقدس ؟ هـذا غير معقول وغير مقبول . لان التصنع يوجب التفكر والتروّي ويؤذن لصاحبه في تنظيم ما يلفقه كما يشاء ، لاتساع الوقت معه ، وليس ما يحوجه الى ابقاء شطحاته على عيبها والاعتذار عنها ، بدلاً من اصلاحها قبل تقديم خطابه الى الجمهور.

٢ً — عصره

حان لنا ان نتساءل في اي عصر وُضع هذا الميمر ، او بعبارة اخرى هل عصر القديس كيرلس ملائم له ؟

لقد اجبنا على نصف هذا السؤال حين سردنا النصوص الدالة على انه أُلقي في كنيسة القيامة باورشليم بجانب القبر المقدس على جمهور مسيحي فلسطيني مجتمع للاحتفال بعيد ارتفاع الصليب وتدشين الكنائس . واذا التقطنا بقية نصوص الميمر المشيرة الى العصر والحقبة واليوم الذي أُلقي فيه ، عرفنا انه قد أُلقي قبل الفتح الاسلامي ، في عهد اشتداد بدعة آريوس وانخفاض شأن بدعة مركلوس الانقيري ، قبل ظهور بدعتي النساطرة واليعاقبة ، بعد مصرع يوليانوس الجاحد ، في الحقبة التي اخذت فيها حفلات الصليب التقدم على عيد التدشين ، والتي شاعت فيها رواية علاقة القديسة هيلانة باكتشاف القبر والصليب ، في عيد ارتفاع الصليب ، قبيل حفلة تكريمه.

اولاً : قبل الفتح الاسلامي تدل نصوص الميمر على انه أُلقي في اورشليم قبل وقوعها في ايدي الاسلام : فقد ورد في صفحة ٢٢٥ ما نصه: «الصليب مقوي الملوك محبي الله ويجعلوه لهم تاج . وهو على القضيب الذي في ايديهم . والصليب مصورٌ في بيوت الملوك ويجعلوه في الطريق على العُمد وزوايا البيوت ليكون لهم قوة ولجميع العابرين . والصليب مكتوب على السفن ينجيهم من الرياح والعواصف الردية [٢٢٦] وهو مكتوب على تاجات الملوك ليعطيهم النعمة.

الصليب المقدس هو قدام كل كتابة تكتب[1] . يا لهذه القوة والفخر الذي للنصارى . لانهم ليس يصنعون شي من امور العالم الا بالصليب ... الصليب هو على موايد المومنين ويبارك طعامهم هو في ولائمهم .» كل هذا الكلام لا ينطبق على بلد يحكمه الاسلام .

ثانياً : البدع — رأيت الحملة التي حملها صاحب الميمر على الاريوسيين الدالة على استفحال امرهم ولا يخفى ان قسطنطين مال اليها وتنصر في آخر حياته من اوسابيوس اسقف نيقوميدية الاريوسي . واخذ ابنه قسطنس يناصرها[2] ونفى القديس كيرلس واساقفة كثيرين غيره لمقاومتهم لها . ولما عاد القديس بعد وفاة قسطنس سنة ٣٦٢ استصدر الاريوسيون سنة ٣٦٧ امراً من والنتنيانوس باعادته الى المنفى ، كما سبق القول . ولا يخفى ان هذه البدعة قد تلاشى شأنها او ضعف كثيراً في اواسط القرن الخامس . ولم يعد محل لخوف الواعظ منها ولا داعٍ لحملته الشعواء المذكورة .

ومعلوم ان بدعة نسطور قامت ضدها في اوائل القرن الخامس واشتد ساعدها طول هذا القرن فقاومتها بدعة ديوسقوروس ، التي انتشرت بين السريان في القرن السادس وحاربها تلاميذ مار مارون واتباعه الموارنة . فان تمعنا في كلام صاحب الميمر نراه يعني بالهراطقة الاريوسيين فقط . ففي صفحة ٢٤٩ بعد ان تكلم عن الوحش الذي ظاهره كالحمل وهو بالحقيقة فهد هائل قال : « هكذا الهراطقة الغير المؤمنين ... ان كان المسيح انسان وليس هو اله يا ايها الهرطيقي ... فلا تذكروا يا احباي كلام الهراطقة ولا تدخلوا كنايسهم لان ليس لهم كنايس . » وقد اثبتنا في ما سبق انه يقصد بالهراطقة هؤلاء الاريوسيين . فالميمر قد القي قبل اواسط القرن الخامس .

ومما يزيد رأينا رجوحاً اهمال صاحب الميمر ذكر بدعتي نسطور وديوسقوروس

---

١) لا بد انه يعني الكتابات الرسمية لان العصر لم يكن فيه تقريباً سوى هذه الكتابات او الرسائل ذات الاهمية الاولى .

٢) فاكان مج ٣ ع ٢٥٢٦

مع ان كلامه يثبت انه ليس من القائلين بهما ، كما بينا سابقاً ، وهذا ايضاً من دلائل القاء الميمر قبل اوائل القرن الخامس.

وفي الميمر ، خاصة في صدره ، نصوص تتكرر تكرراً مدهشاً لاثبات ملكوت المسيح سردناها اعلاه واستنتجنا منها ان الواعظ يقصد بدعة مركلوس الانقيري وتلاميذه . انما ليس هناك تحمس ضدهم ولا تحذير المؤمنين منهم ، كما كان شأنه ضد الاريوسيين ، مما يدل على ان البدعة قاربت التلاشي او تلاشت من عهد قريب ، انما بقي ذكرها في ذهنه وذهن السامعين.

وقد سبق القول ان مركلوس حُرم في مجمع صور سنة ٣٣٥ وتوفي في سنة ٣٧٤ . ولم تعش بدعته بعده كثيراً ، مما يوصلنا الى الربع الاخير من القرن الرابع.

ثالثاً : بعد مصرع يوليانس سنة ٣٦٣ — من البراهين التي يقدمها صاحب الميمر على عظمة الصليب وألوهية المصلوب قوله في صفحة ٢٢٦ انه أهلك الملوك اعداءه ونصر محبيه . وهو يقتصر في ذلك على ذكر الامبراطرة الاربعة الاخيرين : ديوقلسيانس (٢٨٤-٣٠٥) ومكسيميانوس دازا (٣٠٧-٣١٤) وقسطنطين الملك (٣٠٦-٣٣٧) وابن اخته يوليانوس الجاحد. (٣٦١-٣٦٣)

والواعظ يصف مصرع هذا الاخير وصفاً رائعاً مقروناً بتفاصيل ونعوت تدلّ على تأثير هذا المصرع في مخيلته وعلى رغبته في التأثير على سامعيه بقوله في صفحتي ٢٢٦ و٢٢٧: «واهلك يوليانس الكافر لانه لم يتبعه وخلّاه خلفه . وذلك المنافق الكافر صار قرن الهلاك امام الرجال ورذل الانبياء الاطهار . وكان يثلبهم دفوع كثيرة . ويعترف فيهم الذي لا يجب فتحه فيه[1] ولسانه المقطوع ويقول اني قرأتهم وفهمتهم . بالحقيقة يا احباي انه لم يقرأهم ولم يفهمهم . ولو انه عرف معناهم ومجد فخر النصارى فلم يكن يموت موت شرير . لانه صار عدو الصليب في حياته فلاجل هذا الماء الذي كانت الخنازير تشبع منه مات ذلك المنافق وهو عطشان منه[2] . وشرب من بول الخيل ومن بوله هو

---

١) العبارة مضطربة ، كما ترى ، وغامضة.

٢) لاحظ ان الانشاء بعيد جداً عن العربية وقريب جداً من اسلوب اللغة اليونانية .

ايضاً . ولم يكن جسده يستحق ان يجعل في قبر ولا كفن لجسده من اجل انه صار عدوًا للصليب » فالميمر اذًا القي بعد سنة ٣٦٣ وبمدة لا تزيد عن ٢٥ سنة من هذا التاريخ.

اما اهماله ذكر قسطنس خالفه المتوفى سنة ٣٦٢ ، واهمال الثناء عليه فيسهل تفسيره بان المذكور نفى القديس كيرلس مرتين من اورشليم.

وانك لا تجد في الميمر كله اشارة الى اسم او حادثة وقعت بعد هذا التاريخ بكثير.

رابعاً : حفلات الصليب — اذا جمعنا اقوال الخطيب في العيد الذي يلقي فيه ميمره رأيناه يسميه عيد الصليب ويفضله على كل الاعياد ، حتى عيد الفصح ، مع اشارته الى عيد تدشين الكنيسة الذي حلّ محله وما زال له بعض الاهمية انما ثانوية بالنسبة اليه . ولا يخفى ان قسطنطين جعل لعيد تدشين الكنائس سنة ٣٣٥ المقام الاول بين الاعياد ، وعيّن له ثمانية ايام وعممه بصفة رسمية على كل الامبراطورية . ولم تكن حفلة اعطاء البركة بالصليب سوى مظهر من مظاهر عيد التدشين فأصبحت في الربع الاخير من القرن الرابع في المقام الاول حتى اضطر الآباء ، كما تشهد اثيريا ، ان يضموا العيدين معاً « ليزيدوا في بهجة العيد » وفي الحقيقة انهم خافوا من ذهاب شأن العيد الاصلي . وسنورد عناوين الميمر الدالة على ان القديس كيرلس « قاله لعيد الصليب » ، فضلاً عما جاء في صدره صفحة ١٨٧ « وهذا المجمع الذي اجتمع اليوم في هذا الموضع من كل كورة لكي يعاينوا مجده ويقبلوه اعني الصليب المخلص » . وغير ذلك من النصوص التي سنلتقي بها عند مطالعة هذا الميمر ، والتي تؤيد قولنا.

أضف الى ذلك ان العصر الذي وُضع فيه الميمر كان لا يزال عصر التقاليد، سابقاً لعصر المؤلفات التاريخية المنتشرة . فصاحب الميمر لا يستند الى مؤرخي اوائل القرن الخامس ، وهم كثر ، بل الى التقاليد في ما يرجع الى القرون الثلاثة الاولى ، والى معلوماته الشخصية في حوادث القرن الرابع . وهذا يدل على ان الميمر وضع قبل اوائل القرن الخامس ، وان صاحبه شهد عياناً كثيراً من الحوادث التاريخية التي يوردها.

ففي صفحة ٢١٨ ، في صدد اعجوبة شفاء اكلاوبا واقامة ابنه ، التي جرت في اواسط او اواخر القرن الاول ، يقول : « حدثنا بها ساداتنا الاولين » . وفي صفحة ٢١٧ لما روى حكاية اخفاء الصلبان الثلاثة في مغارة القبر ، قال : « هوذا أبيّن لكم القول كما عرّفنا نيقوديموس ويوسف الرامي » . وفي صفحة ٢٢٧ يستند ايضاً الى يوسف الرامي وبرنباس في حكاية ردم اليهود لقبر المسيح بزبالاتهم . وفي صفحة ٢٢٧ يعود الى القول : « ان اليهود ارادوا ان يحرقوا[1] خشبة الصليب ، كما عرّفنا يوسف وبرنباوس العبرانيين . »

نعم ان هذه التقاليد قديمة من القرن الاول ، انما يدلّ الكلام عنها على ان راويها من العصور القريبة منها . بينما نراه لا يستند مطلقاً الى تاريخ مكتوب ، كتاريخ اوسابيوس ، في رواية حوادث القرن الرابع : كرؤيا قسطنطين واكتشاف القبر والصليب وبناء الكنائس والملكة هيلانة ويهوذا واساقفة اورشليم واسماء علماء اليهود ، والملوك ديوقلسيانس ومكسيميانوس وقسطنطين ويوليانوس . وحفلات ارتفاع الصليب وتدشين الكنائس وهرطقتي الاريوسيين ومركلوس الانقيري ، وبقية الحوادث التي جرت في هذا القرن ووصفها او ذكرها او اشار اليها عرضاً او ضمناً . الا ترى في كل ذلك دليلًا على انه كان معاصرًا لها او قريباً جدًا من عهدها ؟

خامساً — لقد مرّ بك ان رواية علاقة القديسة هيلانة والاسقف يهوذا باكتشاف القبر والصليب قد نشأت في اواسط القرن الرابع وشاعت في اواخره في العالم المسيحي شرقاً وغرباً . فرددها القديسان امبروسيوس في رثائه لتودوسيوس الملك سنة ٣٩٥ ، والقديس يوحنا فم الذهب في عظته الخامسة والثمانين ، التي القاها بين سنتي ٣٩٠ و٣٩٥ . وقد صرّح هاذان القديسان ان الملكة هيلانة عرفت الصليب الحقيقي بين الصلبان الثلاثة من الكتابة الباقية عليه[2] . خلافاً للاساطير السريانية والمؤرخين الذين جازوا بعدهما في اوائل القرن الخامس .

---

١) في الاصل : يخفوا

٢) كابرول مج ٣ ق ٢ ع ٣١٢٥

فروفينوس المؤرخ (سنة ٤٠٢)، وعنه اخذ المؤرخ سقراط، يصرح ان الصليب الحقيقي عُرف من وضعه على امرأة مشرفة على الموت استجلبها القديس مكاريوس اسقف اورشليم، فبنت له الملكة كنيسة. وعلى قول القديس بولينوس من نولي (سنة ٤٠٢) وعنه اخذ سولبيس ساويرس، ان الملكة هي التي عرفت مكان الصليب من اجوبة اليهود والمسيحيين فامرت بالحفر في الجلجلة. ولما ظهرت الصلبان الثلاثة استجابت، هي لا مكاريوس، جثة مائت ووضعت عليها الصلبان الثلاثة فقام من لمس الصليب الحقيقي.[1]

ولما كانت رواية الميمر، المنسوب الى القديس كيرلس، توافق من جهة رأي القديسين امبروسيوس ويوحنا فم الذهب (٣٩٠-٣٩٥)، ومؤداه ان الصليب عرف من الكتابة الباقية عليه؛ وتخالف من جهة اخرى آراء مؤرخي اوائل القرن الخامس المذكورين اعلاه، فتنسب التحري عن مكان الصليب الى الملك قسطنطين لا الى والدته، وتصرح انه عُرف من الكتابة الباقية عليه لا من اعجوبة شفاء مُدنفة او اقامة ميت، فالميمر اذاً أُلقي قبل اوائل القرن الخامس. ولعله سبق بقليل السنين العشر الاخيرة من القرن الرابع.

ولما كان الميمر قد ذكر مصرع يوليانس سنة ٣٦٣، والقديس كيرلس قد عاد من النفي الى كرسيه اورشليم سنة ٣٦٢ ومكث فيها حتى سنة ٣٦٧، التي نفي فيها للمرة الثانية، فقد لفظ هذا الميمر بين سنتي ٣٦٣ و٣٦٧؛ او بين سنة ٣٧٨، التي رجع فيها من منفاه للمرة الاخيرة، وسنة ٣٨٧ التي توفي فيها.

اما اليوم الذي القاه فيه فمعروف من العبارات التي اثبتناها آنفاً، والتي تصرح انه لفظه في عيد ارتفاع الصليب الواقع في الرابع عشر من شهر ايلول، قبيل حفلتي العماد والمناولة السابقتين لحفلة تكريم الصليب، اي الهيسوزيس، كما شرحنا سابقاً.

٣ً – تصريحاته

كل ما سبق يحملنا على تصديق ما صرّح به الميمر، تصريحاً لا يدع

---

١) كابرول ع ٢١٢٥ و٢١٢٦

مجالًا للشك ، بان قائله هو القديس كيرلس الاورشليمي.

واليك اولًا عناوين المخطوطات الثلاث.

جاء في مخطوطة بكركي في صفحة ١٨٧ :

« نبتدى نكتب ميمر من قول القديس كيريللوس ريس اساقفة اورشليم قاله لعيد الصليب الكريم بركة صلاته تحفظنا امين »

وهاك نص عنوان مخطوطة حلب :

« نبتدى بعون الله وحسن توفيقه نقرأ ميمر للقديس كيرللوس ريس اساقفة اورشليم قاله ايضاً لعيد الصليب النير المقدس . ايضاً من اجل الكلام الذي قاله الله لموسى اصنع لي العيد ثلث دفعات في السنة . وايضاً منجل (من اجل) الصليب النور الذي ظهر في مقبرة سيدنا يسوع المسيح . وايضاً من اجل اسحاق الساري الذي عمده . قال هذا الميمر في كنيسة القيامة في سبع عشر من شهر ايلول (١ المبارك وكان شعب الارثذوكسين مجتمعين ليسجدوا الصليب المقدس بسلام الرب امين »

واليك ايضاً عنوان ميمر المتحف القبطي :

« ظهور الصليب »

« ميمر قاله الاب القديس كيرلص اسقف مدينة اورشليم من اجل كرامة الصليب المجيد وظهوره على يد الملك البار قسطنطين وامه هيلانه : – يقرى ذلك في اليوم السابع عشر من شهر توت المبارك بسلامة من الرب آمين »

ثانياً ان القديس كيرلس يخطب في الميمر بصيغة المتكلم ويشير الى نفسه مرارًا : ففي صفحة ٢٠٨ يخبرنا ان المؤمنين بنوا كنيسة على جب حقل يندوم ويردف قائلًا : « ودعوا اسمها كنيسة الصليب وعرفوا مسكنتي انا الحقير كيرللوس فكرّزتها ونظرتُ انا ايضاً بعيني تلك الآية التي ظهرت اسفل الجب»

وفي صفحة ٢٠٥ عندما يخبر عن الانبا واكس صانع اعجوبة تحلية الماء ، لا يُلقب نفسه بانبا ولا بقديس ولا باسقف ، بل يكتفي بلقب « الاب كيرلس » ، بينما نراه ينفح الاب واكس بهذه الالقاب الثلاثة . واليك النص : « وقال الانبا واكس الى اسحاق: « قوم وامضي الى اورشليم واسأل عن كنيسة

(١ نظن ان الاصل ١٧ توت الموافق للرابع عشر من ايلول . راجع فنسان وابيل : مج ٢ صفحة ٢٠٤ . ويظهر ان الناسخ ترجم شهر توت بايلول تاركًا تاريخ اليوم على ما كان .

القيامة فادخل اليها فانك تجد الاب كيرللس هو هنـاك . وهو يعرّفك عن طريق الخلاص.» ويتابع القديس كيرلس حكايته قائلاً: «ا دخـل (اسحاق السامري) اورشليم سأل عن مسكنتي انا كيرللوس . فعرّفه رجل شماس اني في كنيسة الصليب اصنع العيـد ... وللوقت جاء ذلـك الشماس وعرّفني وامرته ان يأتي به اليّ ، ثم قلت له : امضي وأتِ بهـذا الخروف الضـال الذي وجدته ليسمع كلام الله . واذا ما ظهرتْ توبته لكل احد نحن نعمده. والآن نكمل تأويل الكلام ...»

وفي صفحة ٢٤٠ يذكر ايضاً نفسه بتواضع بين اساقفة اورشليم فيقول : «الانبا يوسف رئيس اساقفة اورشليم الذي هو الرابع عشر الذي جلس بعد التلاميذ في الختان. وانا ايضاً كيرللس انا واحد منهم لان المسيح رحمني ودخل بي الى البيعة وبشرت باسمه القدوس.»

١٦ — خلاصة الردود والبراهين

ان الاعتراضات التي قد تقوم ضد صحة نسبة الميمر الى القديس كيرلس ، اسقف اورشليم ، لمخالفته مؤرخي عصره في رواية رؤيا قسطنطين وعلاقة والدته هيلانة باكتشاف القبر والصليب ، لا تنفي حتماً هذه النسبة . اولاً لان هذه الاعتراضات غير قائمة على أساس راهن . ثانياً لان القديس كيرلس لم يكن معاصراً لهذه الحوادث. ثالثاً لاننا نجد في الميمر دلائل ترجح نسبته اليه رجوحاً يقرب من اليقين.

١ً رؤيا قسطنطين

يستند المعارضون الى روايتي لاكتنس واوسابيوس اللـذين يتفقان على ان الرؤيا حصلت في اثناء زحف قسطنطين على مكسنس ، عاهل رومية ، لا على الفرس ، كما جاء في الميمر. انما لاكتنس ينفرد بتعيين جسر ميلفيوس بضواحي رومية ، مكاناً للرؤيا ، والميمر يعينه في تل رامح شمال سورية . بيـد ان لاكتنس لا يذكر مستنـدَه ، فيحملنا على الشك في روايته ؛ لان الاشاعات

عن ظهور آلهة لقسطنطين قبيل كل معركة كانت في عصره كثيرة متناقضة.

اما اوسابيوس فلم يعيّن للرؤيا مكاناً وناقض نفسه اولاً بزعمه ان الرؤيا ظهرت للملك وللجيش كله ، وانها بقيت سرًّا افضى به اليه قسطنطين في آخر حياته . ثانياً يخلط بين هذه الرؤيا وبين حلم ظهر فيه السيد المسيح ليلاً للملك مع علامة الصليب . ثالثاً يخلط ايضاً بين هذه العلامة والشارة التي اتخذها قسطنطين من حرفي اسم يسوع المسيح الاولين.

فهل يجوز نقض وثيقتنا برواية مضطربة متناقضة ؟

فضلاً عن ان رواية ميمرنا غير متناقضة ، لا بل هي موفقة بين تناقض المؤرخين . لانها تذكر ان قسطنطين ليلة المعركة رأى ، وهو يتفرس مفكرًا في السماء ، صليباً لامعاً مع كتابة «بهذه العلامة تنتصر» . وفي الغد شاهد ، وهو يطارد الاعداء ، ملائكة يلاحقونهم بسيوف مسلولة.

واذا استثنينا تعيين المكان فالميمر يتفق وروايات المؤرخين في ان الرؤيا ظهرت لقسطنطين في اول عهده بالملك قبل ان يتنصر . ويوافقهم ايضاً في كلامه عن اصل هذا الملك واولاده وسلفائه وخلفائه وبقية حوادث عصره . وهو لا يذكر حادثة جرت بعد عهد القديس كيرلس الاورشليمي.

وهب ان الميمر اخطأ في هذه الرواية ، فخطأه لا ينفي نسبته الى هذا القديس ، لانه لم يكن معاصرًا للرؤيا. فقد ولد في سنة ٣١٣ ، وعلى الارجح في سنة ٣١٥ ، والرؤيا ظهرت في سنة ٣١٢ .

٢ً الملكة هيلانة

كذلك الاعتراضات القائمة حول علاقة الملكة هيلانة باكتشاف القبر والصليب وبناء كنيسة القيامة ، والموجهة ضد الاساطير السريانية ، لا تنفي نسبة الميمر الى القديس كيرلس الاورشليمي. اولاً لان هذه الاعتراضات تستند فقط الى سكوت أوسابيوس وقسطنطين الملك . ثانياً لانها متناقضة . ثالثاً لان رواية الميمر تختلف عن رواية الاساطير المذكورة . رابعاً لان ظهور القبر والصليب كان في عهد حداثة هذا القديس او في غيابه عن اورشليم . خامساً

لان هذه الرواية تتفق مع اشاعات عصره.

١ً – السكوت

لا يصح اتخاذ السكوت عن امر قاعدة لنفيه . فسكوت قسطنطين الملك في رسالته الى مكاريوس اسقف اورشليم ، وسكوت اوسابيوس في ترجمته لقسطنطين عن علاقة والدته بهذا الاكتشاف لا ينفيها ، الا اذا أثبت الاب لكلير ، لسان حال المعارضين ، ان الرسالة ذكرت كل ما له علاقة بالقبر والصليب والآثار المقدسة ؛ وان تاريخ اوسابيوس ذكر كل ما له علاقة بالملك ووالدته ومعاصريه ، وانه وصل الينا صحيحاً كاملاً . والاب لكلير واغلب جهابذة النقد يعترفون بان ترجمة اوسابيوس عبارة عن قصيدة نظمها في مديحه فاغرق في الاطراء كمعاصريه . فلا غروَ اذا اهمل ما ليس للملك فضل فيه ، او نسبه اليه بغير حق.

فضلاً عن ان قسطنطين يتكلم في رسالته عن اكتشاف « علامة الآلام » وهذا التعبير لا يصح اطلاقه على قبر المسيح بل على « اداة الآلام » ، اي على صليبه والمسامير . لان السيد المسيح لم يتألم في القبر . ثم زد على ذلك ان قسطنطين يقول ان هذا الاكتشاف العجيب حدث على اثر انتصاره على ليشينيوس عدوّ المسيحيين اي بعد سنة ٣٢٤ . ولما كان اوسابيوس يذكر مجيْ القديسة هيلانة الى اورشليم سنة٣٢٦ فما المانع من ان تكون حضرت اكتشاف مغارة القبر ، حيث خُبئت الصلبان والمسامير ، واشرفت ايضاً على بناء كنيسة القيامة ، كما روى الميمر ؟

٢ً – التناقض

يحدد الاب لكلير اكتشاف الصليب بين السنة ٣٣٥ ، التي جاء فيها اوسابيوس الى اورشليم ، والسنة ٣٤٧ ، التي وصف فيها القديس كيرلس الاورشليمي تهافت المؤمنين على ذخائر عود الصليب ، ويقول ان ذلك دليل على ان عبادة الصليب قديمة . ويعود فيورد ما يقوله القديس نفسه ، في رسالته الى الملك قسطنس ، عن الصليب انه وُجد في عهد ابيه قسطنطين ، اي قبل سنة ٣٣٧ . ومن جهة اخرى نرى الاب لكلير يستند الى قول اوسابيوس عن

مكاريوس اسقف اورشليم انه باشر ، حال عودته من مجمع نيقية المنتهي في ٢٥ آب سنة ٣٢٥ ، حفر أساسات كنيسة القيامة فظهرت مغارة القبر . ويضيف الى ذلك شهادة اوسابيوس المذكور بان الملكة هيلانة زارت اورشليم سنة ٣٢٦ وبقيت فيها حتى قبيل وفاتها سنة ٣٢٩ ، وانها في هذه الاثناء بنت كنيستي جبـل الزيتون وبيت لحم . فهي اذاً كانت حاضرة عمليـة رفع الردم وحفر أساسات كنيسة القيامة ، حيث وُجد القبر ، وحيث يرجح الكثيرون وجود الصليب ايضاً . كما انها حضرت بدء الاعمال في بناء هـذه الكنيسة ، ان لم تكن قد شاهدت بناءهـا بكامله . والاب لكلير يشهد لها بعبـادة حارّة نشيطة حملت المؤمنين على ان يقرنوا اسمها بذكرى بناء هذه الاماكن المقدسة ويقول ، نقلاً عن اوسابيوس ، ان قسطنطين ولدها وضع تحت تصرفها خزينة المملكة فانفقت مالاً كبيراً على بناء الكنائس . فكيف ينكر بعد ذلـك علاقتها بهذه الحوادث ؟

٣ – اختلاف الميمر عن الاساطير

ولنفرض خطأ الاساطير السريانية في هذه الرواية فيمرنا لم يستق منهـا ، ويظهر انه اقدم منها عهداً . لانه يخالفها في كثير من التفاصيل وينسب الى الملك قسطنطين فضـل البحث عن القبر ، وفتح التحقيق مع اليهود ، وتأمين اعمال الحفر ، والاهتمام ببناء كنيستي القيامة والجلجلة ، ويكتفي بقولـه انه كلف والدته في غيابه الاشراف ، مع اسقف المدينة ، على هذه الاعمال ووضع تحت تصرفها اموالاً كبيرة أنفقتها على بناء الكنائس وأعمـال البرّ . والميمر يهمل ذكرها في كلامه عن تدشين الكنائس سنة ٣٣٥ ، لانهـا توفيت سنة ٣٢٩ ، كما قلنا .

٤ – الخطأ

هب ان الميمر أخطأ في روايته ، فخطأه لا ينفي نسبته الى القديس كيرلس . اولاً لان هذه الحوادث جرت في سنة ٣٢٦ ، وهو في الحادية عشرة من سنه ولعله كان غائباً عن اورشليم . فليس لدينا ما يثبت ولادته او اقامته فيها في عهد الحداثة . ثانياً الخطأ في رواية لا ينفي حتماً نسبتها الى راويها ، كما ان

غلط اوسابيوس في رواية الحوادث المعاصر لها لم يحمل احدًا على انكار تاريخه عليه. وفي يومنا تروي الجرائد حادثة وقعت في المدينة التي تصدر عنها وتختلف في رواياتها مع سهولة المواصلات والاستعلامات.

٥ً – ان رواية الميمر لا تنفي نسبته الى القديس كيرلس بل تعززها. لانها توافق رواية معاصريه القديسَين يوحنا فم الذهب وامبروسيوس (٣٩٠–٣٩٥) القائلَين بان الصليب اكتشف تحت اشراف القديسة هيلانة، وانه عُرف بين الصلبان الثلاثة من الكتابة الباقية عليه. وتخالف رواية روفينوس وپولينوس من نولي (٤٠٢) واتباعهما من مؤرخي اوائل القرن الخامس، القائلين بان الصليب الحقيقي عُرف من شفاء مدنفة او من اقامة ميت. ونستدلي بذلك بما يرجح ان القديس كيرلس لفظ هذا الميمر في آخر حياته.

٣ً دلائل نسبته

للوصول الى معرفة مؤلف الميمر رأينا ان نبحث بين نصوصه عن دلائل لغته الاصلية وطريقة انتقاله الى اللغة العربية، وعن الجمهور الذي أُلقي عليه، ومذهب صاحبه وجنسيته وأسلوبه وافكاره وعن نظام عظته وعصرها.

١ً – لغة الميمر

عربية ركيكة مضطربة مشحونة اغلاطاً نحوية وصرفية، من عصر الانحطاط. ويستدل من تعابير الميمر ان التعريب لاحد السريان الارثوذكس القاطنين في القطر المصري، نقله عن نص سرياني منقول بدوره عن اليونانية لغة الميمر الاصلية، التي وصلت لنا بها بقية تآليف القديس كيرلس. فضعف المعرّب في اللغتين العربية والسريانية، وضعف المترجم في اللغتين السريانية واليونانية وتوخيهما الترجمة الحرفية حفظ لنا في الانشاء الصبغة الاصلية اليونانية، وفي التعابير آثارًا واضحة للغتين السريانية واليونانية ولتعريبه وترجمته في وادي النيل.

٢ً – الجمهور

تصرّح نصوص الميمر انه ألقي على جمهور مسيحي فلسطيني انضمّ اليه بعض الحجاج الغرباء الوافدين الى اورشليم لحضور حفلة ارتفاع الصليب في كنيسة

القيامة ؛ وأن هذا الجمهور محاط بعنصر وثني ضعيف الشأن ، وعنصرين يهودي واريوسي شديدَي الوطأة ، يخاف الواعظ من تأثيرهما على المؤمنين فيحمل عليهما ، وخاصة على الاول ، حملات متواصلة عنيفة . كل هذا يوافق عصر القديس كيرلس وحالة المسيحيين في المدينة المقدسة في اواخر القرن الرابع .

٣ً – مذهب المؤلف وجنسيته

المؤلف فلسطيني كاثوليكي ، اذ ليس في ميمره ما يشتم منه رائحة الهرطقات الشرقية ، بل بالعكس نجد في اقواله ما ينافيها . وهو لا يتعرَّض رأساً الّا للاريوسية ولبدعة مركلوس الانقيري ، اللتين استفحل امرهما في عصر القديس كيرلس اي في اواسط واواخر القرن الرابع . فهو اذاً غير يوناني ولا سرياني منشق . وهو ايضاً ليس بقبطي ، وان تُرجم ميمره وعُرّب في القطر المصري ؛ لان الاقباط يعاقبة ويجهلون السريانية . فضلاً عن انك تجد في الميمر دلائل تنفي تاليفه في القطر المصري . كقوله عن الزرع الذي ينمو بماء المطر ، والمطر نادر بمصر ، ولا يعتمدون عليه في الزراعة بل على ماء النيل .

اما اليامر القبطية الموضوعة على ارتفاع الصليب والمنسوبة زورًا الى القديس كيرلس فهي تختلف عن ميمرنا بالتفاصيل ، وأحدها ، الذي يقرب منه ، يأخذ عنه بعض المعلومات وعن الاساطير البعض الآخر ، وينفرد بشيء منها لا تجده في هذا ولا في تلك . فان لم تكن غاية المزوّر بثّ رأي فاسد باسم القديس كيرلس فما غرضه من نسبته اليه ؟

٤ً – الاسلوب

أسلوب الميمر وانشاؤه مطابقان لاسلوب القديس كيرلس وطريقة انشائه . فهو مثله بسيط واضح خالٍ من الاصطلاحات اللاهوتية ، وَدود ، حماسي ، مستند الى الآيات الكتابية ؛ وبجانب ذلك مراجعات مملّة ، وعبارات مبتورة ، وحكايات طويلة خارجة عن الموضوع ، ونصوص من الكتاب المقدس مشوَّهة .

٥ً – الافكار

الآراء اللاهوتية النادرة الواردة في الميمر مشابهة لما ورد في عظات القديس كيرلس ، عن الروح القدس وولادة المسيح الاولى الازلية والثانية الجسدية .

وعن ملكوته الازلي وكهنوته وتضحيته ، ولاهوته المتحد اتحاداً تاماً والمحتجب بالناسوت ، فلا يُرى الا بالعجائب ؛ وعن عتقه اصحابه من عبودية الخطيئة وأسر الجحيم . ومن هذه الافكار ما هو مكرر تقريباً حرفياً ، كقوله عن المسيح انه اتخذ لفدائنا سلاح الجسد الذي حاربنا به عدوُّنا .

٦ً – نظام الميمر

الميمر قائم على آيتي المزامير عن مُلك الرب وتهليل الامم او غضبها . انما لا نظام راهن فيه ، مما يدل على انه ألقي عفواً بعد قليل من الاستعداد . والحكايات التي يسردها تستغرق اكثر الميمر ، فيعتذر عن الاطالة فيها ويعود بعد قليل الى ارتكاب الشطط نفسه والى نفس الاعتذار . فهذه الاستدراكات تدل على ان الميمر غير ملفّق لان الوقت متسع للملفّق ليرفع او يصحح او يختصر ما يراه عيباً في عظته فيستغني عن الاعتذار . ناهيك عن اشاراته الى القبر وتوارد الحجاج وازدحامهم لسماع العظة وحضور حفلة ارتفاع الصليب ، والى تعبهم من الطريق ، وتململهم من طول العظة ، ومطالبتهم اياه بالسير على البرنامج الذي اعلنه في صدر العظة . وضيق الوقت عن القيام بحفلة المعمودية والمناولة والهيسوزيس ودغم الاولين معاً لاكتساب الوقت ، وغير ذلك مما لا يعقل ان يشير اليه مصطنع الميمر او ملفقه .

٧ً – عصره

تصرّح نصوص الميمر ان القديس كيرلس اسقف اورشليم ألقاه في كنيسة القيامة في حفلة ارتفاع الصليب وتدل على انه قاله في آخر حياته .

فكلامه عن اكرام الصليب يدل على انه القي في بلد مسيحي ، اي قبل فتح الاسلام لاورشليم سنة ٦٣٦ . ووصفه مصرع يوليانوس الجاحد يدل على القائه بعد سنة ٣٦٣ . واهماله ذكر بدعتي نسطور وديوسقوروس دليل على انه ألقي قبل القرن الخامس . وحملته على الاريوسية وعلى بدعة مركلوس توجب علينا تعيينه في أبان استفحالها اي بين اواسط القرن الرابع واوائل الخامس . ناهيك عن اعتماده على معلوماته الشخصية في اغلب حوادث القرن الرابع ، وعلى التقاليد في ما سبقه ، واهماله تماماً كل ما تجاوز هذا القرن .

أضف الى ذلك موافقته لرأي معاصريه القديسَين فم الذهب وامبروسيوس (٣٩٠-٣٩٥) في ان الصليب الحقيقي عُرف بين الصلبان الثلاثة من الكتابة الباقية عليه ، ومخالفته لروفينوس وپولينوس من نولي (٤٠٢) وأتباعهما في انه عُرف من شفاء مدنفة او اقامة ميت.

فالميمر ألقي اذاً اما بين سنة ٣٦٣ التي عاد فيها القديس كيرلس من المنفى ، او ، على الارجح ، بين سنة ٣٧٨ التي رجع فيها القديس كيرلس نهائياً من هذا المنفى الى كرسيه اورشليم ، وسنة ٣٨٧ ، التي جاور فيها ربّه . قاله ، كما يصرح الميمر نفسه ، في كنيسة القيامة في الرابع عشر من شهر ايلول قبيل حفلة الهپسوزيس .

***

هذا لا يعني اننا نجرأ على البتّ في ذلـك ، بل نحن ندلي بدلونا بين الدلاء لعله يغترف الحقيقة او بعضها . وعسى أن نجد بين العلماء المتضلعين من تاريخ الكنيسة والواقفين على آراء القـديس كيرلس الاورشليمي مَن يأخذ بناصر هذا الرأي ويدعمه بما خفي علينا ، أو حال الوقت وخوف الاطالة بيننا وبينه . وان ظهر من يفنده فقد افادنا الهداية الى الحقيقة ، التي ننشدها من صميم القلب .

واليك الآن نصّ الميمر ننقله حرفياً عن مخطوطة بكركي ، مع الاشارة الى ما يخالفه في النصّ الحلبي ، والمقابلة بينه وبين رواية الميمر القبطي والاساطير السريانية ، معلقين على بعض نصوصه بشرح وجيز او اشارة سريعة . وقد قسمناه الى اجزاء حسب موضوعاته ، وقسمنا هذه الاجزاء الى فقرات . ووضعنا لكل منها عنواناً ورقماً تسهيلاً على القارئ . وعلى المولى الاعتماد اولاً وآخراً .

اصطلاحات

ب نصّ بكركي — ق الميمر القبطي
ح النصّ الحلبي — س الاساطير السريانية

نصّ الميمر

١ — الملك المسيح

١ - ملك الرب — [١٨٧] بسم الاب والابن وروحُ القدس الاهً واحداً[١]

نبتدي نكتب ميار من قول القديس كيريللوس رييس اساقفـة اورشليم قاله لعيد الصليب الكريم بركة صلاته تحفظنا امين[٢]

ملك الرب فلتتهلل جميع الارض . الرب ملك ولبس البها وترداً بالقوه . هوذا نرا الان علوم كثيره تتفاضل عن بعضها في هذا المكان الطوباني[٣] . داوود ابو المسيح بالجسد[٤] لانه يقول في موضع . ملك الرب فلتتهلّل جميع[٥] الارض . وقال ايضا في موضع اخر[٦] . ملك الرب فلتغضب الامم . لماذا يا ايها المرتّل[٧]

---

١ – وردت البسملة بحروف عربية . وفي ح :« والروح القدس »

٢ – هذا العنوان مكتوب بالحبر الاحمر . راجع في المقدمة رقم ١٥ عدد ٢ نصّ العنوان في ح وق

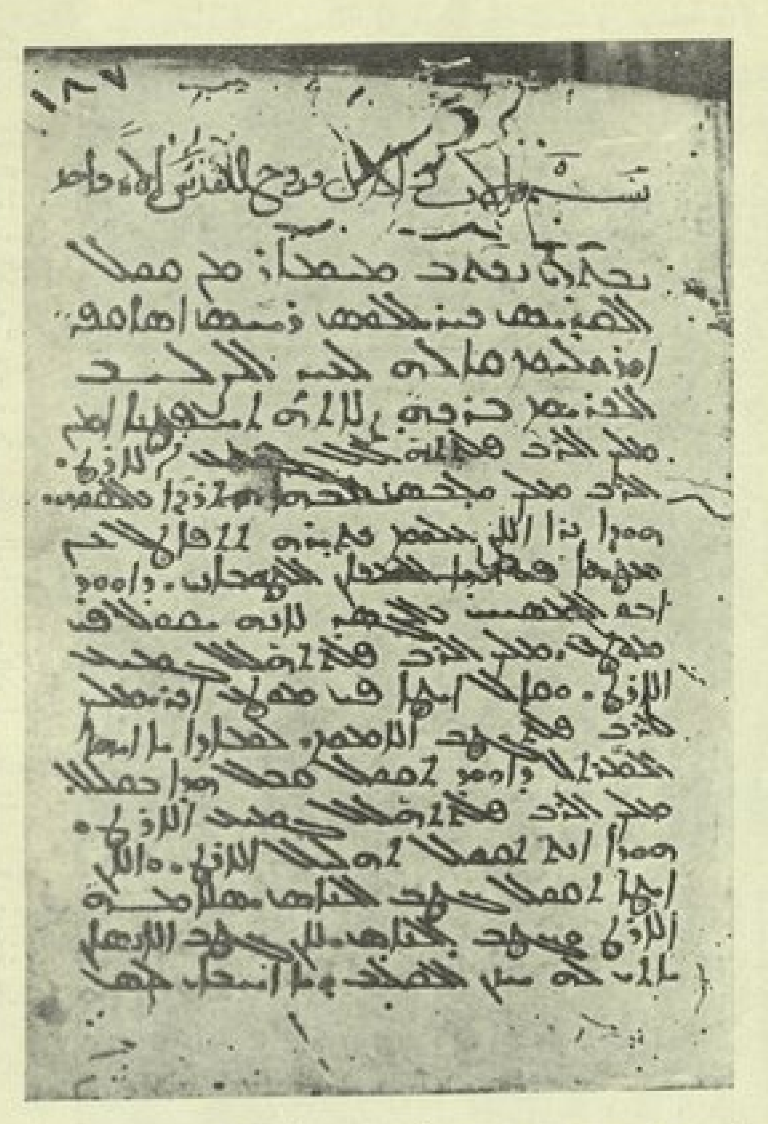
٣ – كنيسة القيامة

٤ – يقصد بهذا معارضة اليهود واتباع مركلّوس الانقيري الذي انكر ولادة المسيح الازلية

٥ – في ح : كل

٦ – في ح ٢ : « وقال ايضاً في موضع آخر بهذا الروح الواحد المتكلّم فيه وليس هو اثنين . بل هذا الروح الواحد الذي ينطق في روسا الابا وهو الـذي ينطق في القضاة وهو الذي حل على الرسل مثل السنة نار مقسمة . داوود النبي يقول ملـك الرب . . . » ولعلها زيادة دخيلة ، فهي غير ضرورية وتشوّش المعنى

٧ – ترسم الشدة غالباً في كلتا النسختين مرفقة بفتحة ، ولو لم يكن حكمهـا الفتح ،



(الرسم ٣) الصفحة الاولى من نصّ بكركي

بخطّ الخوري يوحنا بن ايوب سنة ١٥٥٧ م



(الرسم ٤) الصفحة الاخيرة من فرض عيد الصليب والاولى من الميمر في نسخة حلب
بخط البطريرك سركيس الرزي سنة ١٥٥٨م

داوود تقول قبل هذا بقليل . ملك الرب فلتتهلّل[1] جميع الارض . هوذا انت تقول تهليل الارض . والان ايضا تقول غضب الناس . سلامة الارض وغضب الناس . لان غضب الانسان ياتي له حزن القلب . يا احباي ليس [١٨٨] يوافقه كلمه مجمعه او لفظه مشكّله[2] المعاني لقلوب سامعيها ان لم يجلوا تاويلها . او من يقول لهم تفسيرها . وهوذا نحن نسال الفارقليط[3] روح الحق الواحد مع الاب والابن . والاب والابن واحد معه[4] الثالوث المقدس . وثالوثاً[5] من اجل ان فيه ثلاثه اسما . الاب والابن وروح القدس[6] . ونرغب اليه ان ينير عيني قلوبنا لنفهم يسيراً من كلامه الذي نطق به على افواه انبيايه الاطهار . ليس نحن مستحقين ان نصنع هذا . بل الذي نحن له نعبد[7] . وهذا المجمع الذي اجتمع في هذا الموضع اليوم من كل كوره لكي يعاينوا مجده ويقبلوه اعني الصليب المخلص[8] يسوع المسيح . لكي ان نفتش في نواميسه لنفهم وصاياه[9] .

٢ – ملكه الازلي :– يا احباي متى ملك الرب . اترى هو منتظر الى زمان ليملك فيه . اليس الملك له كله والربوبيه من الابتدا كما قال دانيال النبي . اذ [١٨٩] يقول ان مملكته مملكه دايمه الى الابد وربوبيته من البحر الى البحر . ومن النهر الى اقصى المسكونه . وايضا يقول الله ملك الارض كلها . وايضا يقول

وتوضع أكثر الاحيان فوق الحرف السابق ، لا على الحرف المشدّد

١ – في ح : « فلتهلّل » باسقاط التاء الثانية . وسنتجاوز ، في ما يلي ، عن ذكر امثال هذا الخطأ النسخي في ح لكثرتها وقلة اهميتها

٢ – يهمل غالباً وضع النقطتين فوق التاء القصيرة . ويتبعه في ذلك ناسخ ح مراراً

٣ – كتبها بالفاء بدلاً من الباء ، حسب الاصطلاح السرياني حيث يعبّرون بها بالفاء عن الباء الغربية المشددة . وهو من دلائل الترجمة السريانية والاصل اليوناني ، كما مر بك

٤ – لو كان المؤلف من اليونان المثقّفين لما عبّر هكذا عن الروح القدس

٥ – لاحظ كيف انه يضع التنوين رأساً فوق الحرف دون ان يستعين بالالف

٦ – هذا مطابق لكلام القديس كيرلس في عظته ١٦ عدد ٤ ع ٩٢١ . راجع فاكان ٣ : ٢٥٤٦

٧ – تركيب يوناني

٨ – اشارة واضحة الى عيد ارتفاع الصليب والى حفلته في كنيسة القيامة

٩ – هنا تنتهي فاتحة العظة

اللهم لك الارض منذ الابتدا[1] . فان كنت تريد تعلم يا ايها المناصب[2] ان المسيح ملك الملوك . فاسمع لوقا الانجيلي ومتى حيث يقولان . في كتبهما . لما ولد المسيح . هوذا مجوساً قد اتو من المشرق قايلين اين هو ملك اليهود الذي وُلد . هوذا قد مجدوه وهو في الاقماط . لماذا أنت تقول انا اريد اعرف معنى المكتوب اذ يقول ملك الرب ان كنت تريد تعلم . اسمع وانصت بخشوع[3]

٣ – الخارجي – انه كمثل ملك خرج عليه خارجي يريد يتسلّط عليه وعلى كورته ويأسره هو وغلمانه وحاشيته . ويأخذ مدنه وبلاده تحت حوطته . ليودوا له الخراج . فحزن ذلك الملك من اجل ذلك الجمع الذي اخذهم [١٩٠] ذلك الخارجي منه . فيفكر في نفسه قايلاً باي شي او باي نوع اقدر احارب هذا الخارجي حتى اغلبه واملك على اصحابي ايضاً . فبينما هم تحت سلطان ذلك الخارجي . وليس لملكهم عليهم سلطان فاذا خرج ذلك الملك وينال الغلبه ويهلك ذلك الخارجي . ويعتق اصحابه الذي اسرهم[4] . ويأتي ويدخل بهم الى موضع ملكه . وهو يقدمهم[5] وهم ايضا يرتلون بتهليل بصوت البوق . لان ملكهم خلصهم من الاسر وملك عليهم دفعه اخرى .

٤ – اسر الخطية والجحيم – هكذا انه كان في الزمان الذي تملكت الخطيه في العالم . والاثم تسلط على الناس والغش والدجل احتوى على عقولهم وذلك الخارجي يأسر فيهم ويقبل وكل واحد يصنع ارادتهم[6] . وليس اراده الله وكانت شباك الموت منصوبه على كل البشر . ولم يقدروا يخلصوا البته من ذلك

---

١ – اورد كل هذه الآيات ضد اليهود وضد اتباع مركلوس . وكثرة الاستشهاد بالآيات المقدسة من خصائص طريقة القديس كيرلس الاورشليمي

٢ – في ح : « الهرطيقي » وكلاهما يعنيان بدعة مركلوس التي تلاشت في اواخر القرن الرابع . وهو من الادلة على عهد الميمر وصحة نسبته الى القديس كيرلس، كما سبق القول

٣ – كل هذا الكلام السابق واللاحق موجّه الى المركليين ودليل على اهتمامه بابعاد رعاياه عن بدعتهم

٤ – اكلت العثة كثيراً من حروف هذه الصفحة وما بعدها ، فرممناها من نسخة ح

٥ – يتقدمهم

٦ – ارادته

الخارجي . لانه هو الذي كان يصنع بهم هذا كله . فخرجوا كلهم [١٩١]من تحت طاعة سلطانهم وعادوا تحت رق عبوديه رديه[١] كما هو مكتوب انهم تركوا عنهم ينبوع الموت يرعاهم[٢] . وايضا يقول النبي[٣] ليس من مخلص ولا منجي . فاتوا الانبيا ليخلصوا سينا الذي اخذه ذلك الخارجي . فمنهم من قتلوه ومنهم من رجموه لانه لم يقدر احد من الناس ان يخلصهم من ذلك الاسر لان تلك القروح كانت صعبه .وتلك العله نبتت ولم يجدوا تلك الاسرامن يخلصهم منها . فصرخ داوود النبي قايلا . طاطى[٤] السموات وانزل . ويقول ايضا انت اطلقتنا من جب المسكنه[٥] لانه يسمي الجحيم جب المسكنه.بالحقيقه يا احباي ان ذلك المكان هو مسكنه تعبه صعبه جدا.وكانوا هوليك الاسارى منتظرين من يخلصهم . وكانوا يقولوا ترى من هو الملك الذي يخلصنا لانهم لم يفهموا معنى العتق الذي يكون لهم . لان روسا الابا والانبيا[٦] كانوا يقولون . لا بد سوف [١٩٢] ان يفتقدنا بالملك[٧] ويخلصنا من اسرنا . وصرخ اشعيا النبي قايلا ايضاً لا بد للاتي ان ياتي ولا يبطي . لان الابواب كانت مغلقه والاقفال موثوقه . وليس من يخلّص ولا من ينجي.

---

١ – كل هذه التشابيه متواردة في عظة القديس كيرلس الثالثة ، كما نبهنا في المقدمة. واكثر الكلمات الاخيرة مأكول في نسختنا ، فصححناه عن نسخة ح

٢ – كان ناسخ ح كتب في صفحة ٥ هذه الآية مبتورة كنصنا ثم عاد فاضاف على الهامش كلمات « الحياة وايضاً ينبوع » فاصبحت كما يلي : « تركوا عنهم ينبوع الحياة وايضاً ينبوع الموت يرعاهم »

٣ – في ح : « وايضاً يقول آخر من الانبياء »

٤ – طأطئ. في ح : طاطى يارب

٥ – تواردت هذه الفكرة في عظة القديس كيرلس الرابعة، كما نبهنا سابقاً

٦ – في ح ٥ : « لان روسا الابا البطاركة » مستعملا هذا اللقب حسب الاصطلاح اليوناني بمعنى جدود العبرانيين مع ان السريان والموارنة يعنون به رئيس الطائفة . وهو من دلائل الاصل اليوناني، كما مر بك في المقدمة

٧ – وفي ح ٦ : « ابن الملك »، وهو اصح، ويدل على ان الناسخين نقلا عن اصل واحد كما قلنا، فاخطأ الناسخ الاول، او الذي أملى عليه، في قراءة الكلمة

٥ – سبب التجسد — ولم يقدر احد[١] ان يخلّصهم لان الانسان مندفع الى نقص ومرتَّب بالمرض وصاير الى الموت ويمضي به الى الحكم . ويدان كاعماله . ولم تقدر ملايكه تصنع هذا لان ليس هم جسدانيين ولا يمشون على الارض بين الناس لان الملاك من لهيب النار . وهو خادم . وهو عبد . لكن اذا جا سيّد العبيد هو يعتقهم . بفرد كلمه يسيره . فلما تراآف الملك على هولايك الاسارى الموثوقين عند ذلك الخارجي الذي كان يصنع بهم كارادته وبهوا قلبه جا اليهم وهو لم ياتي بجيش عظيم يعتقنا[٢] . ولم يخرج من مجده العظيم . ولا ترك مجده خلفه ولا احد يقدر ينتزعه منه لكنه لبس السلاح الذي حارب[٣] به ذلك الخارجي . اعني هذا الجسد[٤] الذي اتحد به [١٩٣] مع اللاهوت[٥] كما علم هو وحده . وذلك الجسد من غير زرعة بشر . وعمل الاشيا كلها مثلنا ما خلا الخطيه[٦] هو لم يخطي قط . ولم يوجد فيه دجل . جسد والاله متحد به داخله وخارج فيه[٧] .

٦ – ابن ارملة نايين — اما القول ان الاله من داخل الجسد من اجل انه ليس يعاين احد مجده وهو لابس اللاهوت فيحيا . واما القول انه خارج الجسد فمن اجل انهم كانوا ينظروه يصنع الشفا في السر .[٨] اليد الذي مدها ولمست ابن الارملة الذي في نايين . فعاش بعد ان قام ليله وهو ميت فعندما هم حاملوه مدّ يده

١ – في ح ٦ : « ايضاً » ونصنا اصح

٢ – وفي ح : « وهو لم يأتي بجيش عظيم يعتقنا ليأخذ السبي ويقتلعه ويخلصه من ذلك الخارجي »

٣ – وفي ح ٧ : « يحارب »، ونصنا اصح

٤ – وردت هذه الفكرة حرفياً تقريباً في عظة القديس كيرلس الثانية عشرة ، كما نبهنا في المقدمة

٥ – هذا التصريح ينفي نسبة الميمر الى احد النساطرة المضادين للاريوسية، لانهم ينكرون اتحاد لاهوت المسيح بناسوته

٦ – ينكر اليعاقبة ان في المسيح طبيعتين فلا يجوز نسبة هذا الميمر الى احدهم سواء كان من السريان ام من الاقباط

٧ – لعله يريد « خارجه » كما جاء في الفقرة الثانية . وهذا ايضاً يخالف مذهب النساطرة

٨ – وردت هذه الفكرة نفسها في عظة القديس كيرلس على المخلع وفي عظته الرابعة

الاله المتجسد[1] ولمس النعش فعند ذالك وقفوا الـذي كانوا يحملوه . وبكلمه واحده اعطاه لوالدته وهو حي[2] . ومضت الى داخل المدينه وهي ماسكه له وهو يمشي معها . وكانوا المجموع يجروا[3] خلفهم لينظروا الذي قد كان. وايضا الناس الـذي اتو لينظروا ذالـك الميت المحمول لم يمضوا الى بيتهم حتى اتوا لينظروا هذه [١٩٤] الايات العظيمه . وكانت اللفايف الذي كان ملفوف بهم محموله على اعناق الناس وهم ماشيين معهم شهاده للغير مومنين . فلما راو اهل المدينه هذه الاعجوبه العظيمه الذي صنعها يسوع ابن الله. امنوا به جموع كثير[4].

٧ – غضب الامم ـــ واما الكتبه والفريسيين لما راو ذالك امتلوا غضباً[5]. واغتاظوا لانه اقام الموتا معطيهم الحياه يريدوا قتله[6]. هوذا قد كمل عليهم المكتوب. اذ يقول ملك الرب فتغضب الامم[7]. الرب ملك لانه اقام الموتى غضبوا اليهود القليلي الايمان وارادوا قتله . الرب ملك واخرج الشيـاطين . فغضبوا وصرّوا باسنانهم . وافتروا عليه . وقالوا هذا يصنع هولاي بباعلزبوب . ملـك الرب وطهر البرص . اغتاظوا هم وارادوا رجمه . الرب ملـك واقام العازر اغتاظوا هم وجآو ليقتلوا يسوع والعازر ايضا. الرب ملك وابرا المخلعين فحنقوا هولايك القليلين الشكر ودعوه ابن النجار.

٢ ــ اسحق السامري

١ – عين اورشليم ــ وهكذا يغتاظ [١٩٥] الشيطان من اجل خاطي واحد

---

١ – «الاله المتجسد» تعبير يلخص كل فكرة القديس كيرلس في الوهية المسيح وناسوته

٢ – هاتان الكلمتان مأكولتان في ب فرممناهما عن ح

٣ – اي يركضون، وهو تعبير خاص بالمصريين، ومن دلائـل تعريب الميمر في القطر المصري . وله نفس المعنى في اللغة الفصحى

٤ – لاحظ ان اكثر هذه التفاصيل غير لازمة لبرهانه. انما جاء بها القديس عرضاً شأنه في كل مثل يورده شاهداً على كلامه . وهو من دلائل صحة نسبة هذا الميمر اليه، كما اشرنا في المقدمة . وبعض هذه التفاصيل غير مذكورة في الانجيل اخذها عن التقليد

٥ – وفي ح : « غيرة »، وهو اصح

٦ – اي انهم نووا قتل الذي كان يعطيهم الحياة . وهو تركيب يوناني محض

٧ – يعود هنا الى شرح الآية التي صدّر بها الميمر

اذا تاب . مثل هذا السامري اسحاق الذي من البلد الذي تدعا يافا . لما رآ الجمع قايلين بعضهم لبعض امضوا بنا الى اورشليم لنسجد للصليب لان العيد قد قرب[1] . فقال اسحق هو ايضا لاهل بيته وعبيده شدوا الدواب لنحمّل ذهبنا وفضّتنا . وجميع انيتنا ونمشي مع هولاي الجمع الماضين الى يورشليم[2] . لنمضي نحن ايضا الى العين[3] الذي في يورشليم لنطهّر انيتنا فيها . اسرعوا فينا[4] نمشي ونمضي مع هولاي الجمع الماضيين الى يورشليم ليلا تتاخروا ويخطفوا اللصوص ما معنا . لان شعب السامره كانوا يمضوا بجميع ما عندهم من الانيه . من العزيز الى الحقير . فيغسلوهم في كل اسبوع . وان مات لهم ميت او امراه طامث او مولود يصنعوا به هكذا . وهم ينظرون جدا الى الغسل العراني . فعند ذلك مشى اسحاق السامري ليمضي الى عين يورشليم ليستحم فيها . ويطهّر انيته وتلك العين هي التي بنا عليها يشوع ابن نون [١٩٦] المذبح لما قسم الارض على بني اسراييل . وهو الذي ختنهم عليها[5] وكانوا السامريين يقولون كلمن يستحم في تلك العين او يغسل انيته فيها او شياً له ليس يحتاج ان يغسلهم دفعه اخرى .

٢ — الماء المنتن — ولما مشوا في تلك الطريق غابت عليهم الشمس عند جب فيه مآ . فمضوا اليه ليشربوا ويسقوا دوابهم . لانه كان في حقل على الطريق . فوجدوا الما قد دوّد ونتن . فلم يقدروا يشربوا منه البته . فمكثوا الاطفال الذي معهم بالعطش هم ودوابهم . وكان ذلك السامري قد جاب معه مآ في

---

١ — هذا يوافق ما جاء في التواريخ عن الجماهير التي كانت تقصد من كل ناحية الى اورشليم، لحضور عيد ارتفاع الصليب

٢ — ورد اسم المدينة بهذه الصيغة اليونانية ثلاث مرات في هذه الصفحة وفي كلتا النسختين . وورد فيهما ايضاً بالصيغة المعروفة عند السوريين والفلسطينيين « اورشليم » . وهو من دلائل النقل عن اصل واحد، كما ذكرنا

٣ — وردت « العيد » في ح وهو خطأ . ونظن ان احد الجهال كشط حرف النون وابداله بحرف الدال ، لان آثار الكشط ظاهرة

٤ — وفي ح : « اسرعوا بنا » ، وهو اصح

٥ — كل هذه التفاصيل عن عادات السامريين وعن مواقع الاماكن والآثار الفلسطينية تدل على ان صاحب السير والجمهور الذي يلقيه عليه فلسطينيون.

وعآ[١] من اجل اصحابه. فقال لرجل نصراني[٢] كان معهم . ما الذي يحوجكم الى هذا ان تمضوا الى اورشليم حتى تسجدوا لخشبه يابسه قد قتلوا عليها نبي . ولا يجب السجود له . هوذا الان انتم تموتون انتم وبنوكم من اجله . وها هوذا قد جعل الله هذا الما دوّد ونتن قدامكم . وكان هناك رجلاً قساً ارثوذكسي[٣] محب لله في ذلك الوقت . اسمه [١٩٧] انبا[٤] وكس[٥] . لما سمع ذلك السامري يقول هذا القول من اجل صليب المسيح . وكان هو ايضا قد جا ليسجد في اورشليم[٦] . فاجاب وقال لذلك السامري ما هو اسمك . وما هي امانتك. فقال له اسمي اسحاق . وموسى ويشوع ابن نون هم الذين اعطوني الناموس[٧] . وهولايك هم كلموا الله . واما ابن مريم فهو نبي الله . وجآو اليهود ليصلبوه. لقولهم انه كان يحلّ ناموس السبت . ولكن سلمه الله من ايديهم ومضى الى احد الجبال . ولم يعلموا ما كان منه. فاخذوا اللصوص . وواحداً يدعا يسوع. كان هذا نبياً وقتلوه على الصليب[٨] . هذا الذي انتم تنالوا هذا التعب الان من اجله وتمضوا لتسجدوا له . وليس يجب ان نسجد لخشبه يابسه مصنوعه بالايادي. بل السجود لله وحده . كما قال لموسى . لا تسجد لاله غريب.

٣ – الحية النحاس — فلما سمع القس هذا القول . حنق جدا وقال لاسحاق السامري . نعم ان هذا الاسم الذي دعيت به حسن جدا لانه اسم اسحاق رَيس الابا[٩] . ولكن [١٩٨] امانتك زور . وليس الاسم هو الذي يخلص

---

١ – في ح: « اوعيته » وهو اصح

٢ – هذا يؤيد ما جاء في النشرات السريانية عن مسيحي فلسطين انهم كانوا يدعون « نصارى » منذ ذاك العهد

٣ – كان معناها قديماً مستقيم الايمان او الرأي

٤ – هذا اللقب خاص بالمصريين

٥ – مكتوبة هكذا في النسختين حسب اللفظ اليوناني بدلاً من « باخوس »

٦ – وردت في النسختين بهذا الشكل

٧ – لا يخفى ان السامريين لا يقبلون من التوراة سوى الاسفار الخمسة الاولى

٨ – ادعى باسيليوس ان اليهود صلبوا سمعان القيرواني بدلاً من المسيح، وتبعه المانحمة والرفضيون. راجع مجموعة الاباء اليونان لمين، مج ٣٣، في تعليقه على العظة الرابعة للقديس كيرلس الاورشليمي ع ٤٧٠

٩ – في ح: « اسحاق البطريرك راس الاباء » مراجعاً هنا اعطاء لقب بطريرك الى احد

الانسان وينجيه . اذ لم يكون له الكمال الـذي هو الامانه الارتدوكسيه . بالحقيقه هوذا انا اعطي الطوبا والغبطه غيرك واكثر منك . لان هولايك لم يكن لهم معرفه ولم يفتروا على الله مثلك . لانك تقول ان جميع الاثار نجسه[١] .وهم الذي خلقهم ليتناولوا منهم المومنين بشكر . ولم تبحث باستقصا المكتوب. اذ يقول ان كل الاشيا الذي صنعها الله حسنه جدا وليس فيهم عيب . فاذاكانت الحيه النحاس الظاهره[٢] التي صنعها موسى في البريه . في ذلك الزمان عجيبه . وكان اذا لسع شيئاً من الحيات المسمومه القاتوله انسان من بني اسرابيل ياتوا به الى عند تلك الحيه النحاس فينظر اليها فيبرا للوقت . وقيل ان تلك الحيات التي الله ارسلهم على بني اسرابيل من اجل خطاياهم كانت شديده[٣] جدا . حتى انهم اذا لسعوا واحد منهم تسقط اعضاه قطعه قطعه . ويعود جسده محرق من كل ناحيه[٤] .

٤ – الصليب في العهد القديم — فاذا كانت [١٩٩] الحيّه التي كلّم الله موسى وامره ان يعملهـا تبري كل من ينظر اليهـا من الملسوعين[٥] . فكم بالحري يكون خشبه[٦] سيدي ايسوع[٧] المسيح . الذي يبطّل سمّ الحيات . الذي جعلت انت له فيك موضع الخشبة الطاهره الممجده التي صـارت مسكن الله خشبة الصليب المقدس . الذي صار موضع راحة الله في الاتضاع . الـذي جا فيه من اجلنا[٨] . عود الصليب الذي صار موضع راحة الله . لما امال راسه عليـه

اجداد العبرانيين حسب اصطلاح اليونان المخالف لعادة السريان والموارنة كما سبق القول

١ – حسب اعتقاد السامريين

٢ – في الاصل : الطاهره، بدون نقطة في بطن الطاء السريانية

٣ – في ح : سريرة لان الراء تشابه الدال السريانية في الكتابة

٤ – تقليد غير وارد في التوراه

٥ – هذه الجملة ساقطة في ح

٦ – لاحظ تذكيره للخشبة تبعاً لتذكيرها في السريانية ܩܝܣܐ

٧ – ايسوع حسب اللفظ اليوناني

٨ – لاحظ انه يستشهد ضد السامريين بالاسفار الخمسة فقط . وهذه طريقـة القديس كيرلس . فقد قال لساميه في عظته ١٨ رقم ١١ ع ١٠٦ : « اذ جادلتم السامريين الذين لا لا يعترفون الا بالاسفار الخمسة فافتحوا لهم الكتب التي في ايديهم ٢٢، وفي العظة ١٣ رقم ٣٧

واسلم الروح . هو عود معطي حياه ونور القيامه الذي اشرقت لنا منه . هـذه الخشبه هي الذي[1] قلعت الحجاب الذي كان مانعاً لنا . وازالة[2] العداوه الذي كان بيننا وبين الله . عود الصليب هو الـذي حمل لاله الكل . السفينـه في ذلك الزمان الذي كانت حامله لاناس وبهايم ووحوش وطيور وهوام وخلصتهم من مآ الطوفان . وانت ايضا يا ايهـا الصليب المقدس الممجد . حملت الـذي امر نوح قايلاً . اصنع انت سفينه [٢٠٠] فصنعها واجتمع اليها من كل جنس كما امر الربّ . واتا لكل واحد منهم بقوته . الى داخل من هو قايم مهتم لهم[3] . واعطا تمام العالم[4] . وانت ايضا يا ايها الصليب المقدس جعلت العالم جديد دفعه اخرى . لما سفكوا عليك دم الحمل الطاهر الذي بلا خطيه .

٣ — تحلية الماء

١ — صلاة الانبا واكس — فلما سمع السامري ما قاله القس انبا واكس[5] اجاب وقال له هوذا قد قلت ان موسى[6] صنع هولاي العجايب هكذا وابطل سم الحيات ليلا يقتلوا الناس . اذا لسحرهم . اين هي الاعجوبة والبرهان الذي ظهر في الصليب . حتى اومن به . فاجاب القس انبا واكس وقال له . انت لم تبصر قط موسى . ولا رايت ايه[7] صنعها فقط . بل سمعت . وايضا اذا رايت قوه

ع ٨١١ يقول لهم «واذا نازلتم اليهود سدّوا افواههم باقوال الانبياء »، وفي العظة ١٢ رقم ٢٧ ع ٧٦٠ يقول : « واذا قصدتم اقناع الامم تسلحوا بالبراهين العقلية واوقفوهم ازاء قصصهم الخرافية ». وسترى ان هذه خطة صاحب الميمر مما يرجح نسبته الى القديس كيرلس

١ — يعود الى تذكير الخشبة

٢ — وردت هكذا في كلتا النسختين بدلاً من « أزالت »

٣ — تشبيه مأخوذ ايضاً من احد الاسفار الخمسة

٤ — اي ان الصليب جدد حياة العالم كسفينة نوح بعد الطوفان

٥ — وفي ح ١٤ هذه الزيادة : « وهذا القس كان مقيماً في دير صغير من حول عسقلان . وكان رييس ذلك الدير . وكانوا فيه قديسين وكان هو مدبرهم » ولا نظن انها خارجة من مخيلة معلمي الناسخ لانهم لبنانيون ، ولعلهم اخذوها عن ميمر آخر كان يسدهم كما اخذوا غيرها من الزيادات والمعلومات

٦ — في ح : « موسى صاحبي »   ٧ — آية

المسيح وصليبه انت تومن به في هذه الساعه . فقال لـه اسحاق السامري . لو ان موسى ويوشاع[1] قالا لي اومن بهذه الخشبه الذي[2] انت تقول عنها . ما امنت حتى ابصر فيها قوه عظيمه تصنعها او برهان . فاجابه [٢٠١] القس انبا واكس وقال . ليس من اجلك انت وحدك . بل من اجل الذي ياتوا ايضا من بعدك ليسجدوا للصليب انا اصنع قوه عظيمه[3] حتى لا يكون احـدً الا وهو مومن بيسوع المسيح ولا يشكّوا مثلك . وهوذا انا اصلي للـذي ارتفع على الصليب ومات بارادته من اجل خلاصنا . وللوقت وقف على الجب المـا وصلّا للرب قايلًا[4] الذي جعل المياه المالحه عذبه . حتى شربوا[5] منها الناس والبهايم . وكل جنس[6] على الارض وليسقوا وجه الارض كلها لتعطي قوتًا للناس والبهايم . والبحر جعلته مرًا مالحًا والانهر تجري فيه . ولم تزل مالحه فيه الى الابد . من الذي يشاكل حكمتك يا الله محب البشر لانك في البدي جمت المياه الى موضع[7] واحد . وقويت الارض حتى لا تضمحل من جرى المياه . وقسمت المياه على ثلاثة اقسام . فجعلت جزوًا منها في سما الفلك . وجزوًا منها في البحار والانهار . [٢٠٢] وجزوًا منهـا في اسفل الارض . لان عظمتـك هي التي صنعتهم عملً حسنًا[8] . حتى الى كل كوره ليس فيهـا مـآ . تحملهم الى فوق وتمضي بهم . وصلاحك هو الذي يسقيهم من مآ المطر ليشربوا الناس والبهايم[9] . والذي يحتاج الى الما الذي تحت الارض . اذا حفر وجده . الذي سمع النبي موسى[10] . وجعل

---

١ – يشوع بن نون . أورده حسب لفظه السرياني

٢ – يكرر تذكير الخشبة تبعًا لحكمها في السرياني

٣ – هذا تصنّع ظاهر ونرجح ان في هذه الحكاية بعض الحشو الدخيل

٤ – هذه الصلاة من اجمل ما قيل في هذا المعنى . ومما يزيدها جمالًا ان التشابيه كلها مأخوذة عن الاسفار الخمسة

٥ – في ح : « يشربوا »

٦ – وردت على هذا الشكل المغلوط في كلتا النسختين

٧ – جاءت هكذا ايضًا في ح

٨ – في ح : ١٥ « صنعه حسنة »

٩ – اي انه يحمل تبخر المياه الى الجو ليمطرها على المقاطعات التي لا ماء فيها

١٠ – وفي ح : ١٦ « للنبي موسى » ، وهو اصح

الما الذي في سايم يحلوا . وكانوا اثني عشر ينبوع . واعطيته في تلك الايام خشبه مثال صليبك المقدس . المزمع ان ياتي . الذي هوذا[1] . والان يا رب فان لك القوه ان تجعل هذا الما حلوا بغير تلك القطعه الخشبه التي مع موسى وجميع الشعوب . نعم الان يا رب لك القوه على كل شي . وانت ابتديت فاظهرت لنا هذا على يد موسى ليامنوا بك جميع الشعوب . وليعلم كل احداً ان لك القدره على كلشي . وعظيما هو اسمك وممجد [٢٠٣] في القديسين . والان يا رب فلا تدع هولاي الامم يقولون اين هو الاههم لم يقدر يخلصهم من عطشهم .

٢ – اعجوبة تحلية الما. — فبينما هو يصلّي . جاه صوتاً[2] قايلاً . من يومن بي يقول لهذا الجبل انتقل من هاهنا الى هاهنــا فينتقل . ولا يعسر على الذي يومن بي شي . وايضا الذي يومن بصليبي . فان له الاستطاعه ان يصنع العجايب . وكل ما يطلب يجد . والان الذي طلبته يكون من اجل ايمانك . والمتمسك بالايمان الصحيح يكمل له كلشي[3] . واخــذ عودين وربطهم على مثـال الصليب وطرحهم في الجب الما وصرخ قايلاً . هذا الما المسيح شفاه بصليبــه ليكون حلواً من الان ليشربوا منــه بامانه كل المومنين بالمسيح . واما اعــدا المسيح فهولاي الذي لا يومنون بالصليب . لا يقدرون يشربون من هذا الجب الما. بل يكون خلاً حادقاً مراً. [٢٠٤]

فلما تم القديس انبا واكس قوله صرخ للجمع بصوت الانجيــل قايلاً من كان عطشان فلياتي اليّ فليشرب . والمومنين بالمسيح وبالصليب المقدس فلياتوا الي ويشربوا . وان الجموع للوقت مضوا الى الجب وتناولوا من الما[4] فوجدوه حلواً كالشهد ومذاقته حسنه جدا . ولما نظروا الذين شربون المــا الى اسفل

---

١ – اكثر هذه التراكيب بعيدة عن العربية، لا بل يونانية محض

٢ – وردت هكذا ايضاً في ح ١٦

٣ – لا شك ان هذه الفقرة دخيلة . لانه لا يعقل ان ينسب القديس كيرلس الى صوت جاء من السماء كل هذا الشرح الطويل

٤ – وفي ح ١٧ : «والمومنين بالمسيح وبالصليب المقدس مضوا الى الجب وتناولوا من الماء وشربوا بحذف « فلياتوا الي ويشربوا » المكررة وباضافة « وشربوا » ولعله أصح

الجب . راو الصليب الصغير يضي شبه مصباح نور[١] . فصرخوا باجمعهم قايلين واحد هو صليب ربنا يسوع المسيح[٢] .

٣ – دعوة اسحق الى الايمان ــ فلما سمع اسحاق السامري خاف ولم عاد ينطق من اجل الصليب المقدس . ومضى ليشرب من اوعيته فلما لم يجد شي[٣] تحير لانه عاد الذي فيهم منتن وعاد يغلي كالنار[٤] . ولم يعرف ما يصنع فاحترق بالعطش هو واصحابه . فلما ازداد به العطش وقلق . قام ومضى الى العين لياخذ منها هو والذين معه . ويشربوا . فتطلع الى اسفل الجب . فراى ذلك الصليب يضي [٢٠٥] شبه مصباح نار . فنزع عنه الخوف وملا الما من البير وشربوه فوجدوه خلًا حادقاً جدا . فصرخ قايلًا بالحقيقه صنع المسيح وصليبه فينا اليوم اعاجيب . وللوقت جا الى انبا واكس وقال له انا اعطيك جميع مالي الذي اتيت به معي في الطريق تعطيه للمساكين وتعرفني مكان الصليب حتى امضي واقبله . وان انت عرفتني موضعه . انا اعطيك نصف مالي[٥] . فقال له القس انبا واكس . يا ابني ليس يوخذ مال على موهبة روح القدس[٦] . لكن اذا اردت ان تكون كامل قوم وامضي الى اورشليم واسال عن كنيسة القيامه . فادخل اليها فانك تجد الاب كيرلوس[٧] هو هناك وجموع كثير من المومنين الذين اتو من كل كوره ليعبدوا الصليب[٨] المقدس لانه يوم ظهوره[٩] . وانت اذا مضيت اليه هو يعرفك

---

١ – كانت الشمس قد غابت كما مر   ٢ – لعل ترجمة « واحد » غلط

٣ – وفي ح : « فلم يقدر يشرب شي » ، وهو اصح

٤ – وفي ح : « كالنار الموقود تحتهم » ، وهي زيادة لا مبرر لها

٥ – نظنه يقصد ان يعطيه نصف ماله كله ، اي خلاف ما معه في الطريق ، بعد ان يتحقق عن موضع الصليب

٦ – وفي ح ١٨ : «ليس يوخذ مال عن موهبة الله »

٧ – اكتفى بلقب « اب » مع انه رئيس اساقفة اورشليم ، وهو من دلائل نسبة الميمر الى القديس كيرلس نفسه

٨ – وفي ح ١٩ : « ليسجدوا للصليب » ، ولعله أصح

٩ – هذا يدل على ان الميمر قيل بعد أن اخذ عيد الصليب التقدم على عيد التدشين ، اي في النصف الاخير من القرن الرابع فاضطر الرؤساء الى ضم العيدين معاً كما شهدت السائحة اثيريا الاسبانيولية في اواخر هذا القرن

طريق الخلاص وتعاين قوة المسيح وصليبه . وحينئذٍ[1] اراد القس[2] ان يطيّب قلب السامري ويقوّي [٢٠٦] امانته . اخذ الما الذي ماوه من العين وهو مر . فرشم[3] عليه علامة الصليب فللوقت عاد حلوًا وشربوا منه كلهم بامانه و كانوا جموع كثير ياتون الى القديس انبـا واكس ليتباركون منـه . فلما راا الجموع يزعجوه جدا مضى واختفى منهم وجا الى يورشليم . فتبعوه الجموع واسحـاق السامري والذين معه الى يورشليم .

٤ – كنيسة العين – وهوذا ايضا لا يجب ان تخفي عنكم . ذكروا ان اللذين هم سكان حول تلك العين التي ذكرناها ان القس انبا واكس لما صلا عليها مضى منها الدود والنتن الذي فيها وعاد ماهـا حلوًا . ولما نزلوا اليها راوا[4] عـلامة الصليب كمثل مصباح نار وهو يضي جدا . فلما شربوا منـه وجدوه حلوًا جدا فتعجبون[5] من ما كان . لانهم كانوا يعرفون ان الما عطن ولم يعرفوا كيف عاد حلوًا . ولولا ان واحد منهم كان يعرف يكتب تطلع فوجد مكتوب فيهـا هكذا بخط القس انبا واكس . يقول من اجل الما . ان المسيح وصليبه جعله حلوًا لكي يشربوا منه المومنين بشكر . ويكون [٢٠٧] لهم شفا . واما اعدا المسيح الذين لا يومنون بصليبه المحيي المخلص . اذا شربوا منـه يكون لهم خلًا حادقًا فلما سمعوا المومنين قول ذلك الذي قرا المكتوب اخذوا من ذلك الما وشربوا فوجدوه حلوًا جدا . وكانوا يتعجبون من علامة الصليب النور الذي كانوا يعاينوه اسفل الما . وهو مثل مصباح نار . واذا ما استحمّوا المرضا فيه . بريوا من امراضهم . وهذا الجب كان في حقل ينـدوم من حـدود فلسطين المدينه[6] . واذا عبرا اعدا المسيح وشربوا منه كان خلًا حادقًا منتنًا في افواههم .

---

١ – رُسم التنوين في اعلا الذال في النسختين، وهو من دلائل النسخ عن اصل واحد

٢ – وفي ح : « القس انبا واكس »

٣ – كلمة سريانية من آثار الترجمة عن هذه اللغة

٤ – وفي ح ٢٠ : « لما نزلنا اليه راينا »

٥ – وردت على هذه الصيغة المغلوطة في كلتا النسختين

٦ – لم نتوصل الى معرفة هذا المكان . ولاحظ قوله « فلسطين المدينـة » وهو اليوم اسم المقاطعة . ولعل اصل الكلمة « عين دوم » فنقلهـا المترجم السرياني كما وجدهـا في

واذ كانوا معترفين بالمسيح ويومنون بصليبه المقدس من كل قلوبهم فيعود حلوًا باردًا في افواههم . ويشربون منه[١] .

ومن اجل تلك الآية التي هي علامة الصليب التي ظهرت اسفل ذلك الجب وعاينوه كل الجموع يضي مثل لهيب النار ارتدّ جمعًا كثيرً من المومنين الذي في ذلك الموضع . واجتمعوا[٢] الى بعضهم بعض [٢٠٨] بقلب[٣] واحد وبنوا كنيسه على جانب ذلك الجب . ودعوا اسمها كنيسة الصليب . وعرفوا مسكنتي انا الحقير كيرللوس[٤] فكرزتها ونظرت انا ايضا بعيني تلك الايه التي ظهرت اسفل الجب[٥] .

٤ — شرف الصليب

١ - اهتداء اسحاق — وهوذا قد شرحت لكم ذلك كله بمحبة الله . وقد صرنا نحن كمثل الذي قد نسو القول[٦] . من اجل سيدنا يسوع المسيح ومن اجل المكتوب في المزامير . يقول ملك الرب فلتتهلل جميع الارض[٧] . وايضا من اجل القول الذي قاله الرب لموسى . اصنع العيد ثلاثه مرات في السنه . وايضا من اجل اسحاق السامري الذي عمدته . هولاي نحن نقراهم لكم

اليونانية « بندوم » لان هذه اللغة خالية من حرف العين

١ - نعتقد ان هذه الفقرة دخيلة كلها، ما عدا ما يختص بحقل يندوم . لان فيها من التكرار والاختلاق والمبالغة ما يجيز نبذها

٢ - وفي ح ٢١ : «وارتد جمع كثير الى معرفة الاله المسيح وان كثير من المومنين الذي في ذلك الموضع اجتمعوا »

٣ - وردت على هذا الشكل المغلوط في كلتا النسختين

٤ - يذكر نفسه للمرة الثانية مع لقب التواضع « مسكنتي انا الحقير ». وهو من دلائل نسبة الميمر اليه .

٥ - فانت ترى ان الداعي لسرد قصة اسحاق الطويلة هو التخبير عن اعجوبة تحلية الماء بصليب مركب من عودين وبناء كنيسة الصليب على جب حقل يندوم . وهو من دلائل نسبة الميمر الى القديس كيرلس الذي تعود الخروج عن الموضوع .

٦ - اعتذاره الى السامعين ينفي تزوير الميمر باسمه كما سبق القول

٧ - يعود الى ربط الكلام بالآية الاولى

ونكمل لكم القول بارادة الله ومجد صليبه[١] . هذا الذي نحن نعيّد له اليوم[٢] . والذي ارتفع عليه يسوع المسيح ·

فكان لما دخل اسحاق السامري الى يورشليم سال للوقت عن مسكنتي انا كيرللوس[٣] فعرفه رجل شماس اني في كنيسة [٢٠٩] الصليب[٤] اصنع العيد . فقال له اسحاق . هل تقدر تمضي بي اليه لاتبارك منه . لاني ليس انا نصراني بل سامري . ومن اجل اني رايت في الصليب قوات عظيمه وبرهان صنعت هذا . وللوقت جا ذلك الشماس وعرّفني . وامرته ان ياتي به اليّ . ثم قلت له[٥] امضي واتي بهذا الخروف الضال الذي وجدته الى الكنيسة ليسمع كلام الله . واذا ما ظهرت توبته لكل احد نحن نعمده . وان ذلك الشماس مضى اليه ودعاه قايلًا تعال وادخل الى الكنيسه لتعاين قوّة الصليب المقدس . فترك اصحابه في موضع داخل الكنيسه[٦] . وجا فراا مجد عظيم . وجميع الناس حاضرين بلباس حسن . فاضطرب واراد ان يهرب ويمضي من الكنيسه . لولا ان ذلك الشماس قوّا قلبه قايلًا لا تخاف فان يسوع يقبلك . ومكث يسمع كل الذي قاله له . وكان الاب انبا كيرللوس في ذلك الوقت يعظ الشعب . [٢١٠] وهو يقول القول الذي من كتاب حزقيال النبي اذ يقول . قال الرب الاله ضابط الكل . اني لا احب موت الخاطي حتى يرجع . وايضا من الانجيل ان فرحَ عظيم[٧] يكون في السما بخاطيًا واحد اذا تاب[٨] . فلما سمع اسحاق السامري هذا

---

١ – لعله يريد ان يقرأ آيتي الكتاب المقدس ويشرحها ويلحقها بقصة اهتداء اسحاق السامري من اعجوبة الصليب . وهو البرنامج الذي وضعه لهذه العظة

٢ – هذا ايضاً يثبت ان الميمر تلي في حفلة ارتفاع الصليب

٣ – يذكر نفسه للمرة الثالثة مع لقب التواضع « مسكنتي »

٤ – في معبد الصليب في كنيسة القيامة التي تضم مكان القبر والجلجلة

٥ – وفي ح ٢٢ : « واني بدأت قايلًا له » ، ولا داعٍ لهذه الزيادة

٦ – اي انه جاء الى معبد الصليب حيث كان يعظ القديس كيرلس

٧ – وردت ايضاً في ح : « فرحاً عظيم »

٨ – هذه الفقرة ، من كلمة « وكان الاب » حتى هنا هي بلا شك حاشية دخيلة . بدليل الكلام عن القديس كيرلس كشخص ثالث

القول . تباعد عنه الخوف وتشجعت نفسه . وكان يتأمل الكلام الذي يسمعه ويفهمه جيداً ويقبله بحرقة قلب وكان يعمل فيه مثل النار . ويقطع مثل السيف القاطع . كمثل ما قيل في النبي القايل . قال الرب هوذا اعطيك علامه فيك كمثل نار حتى تحرق في خشب .

٢ – التجسد والصلب – والان نكمل[١] تاويل الكلام من اجل المكتوب في مزامير داوود اذ يقول ملك الرب فلتتهلل جميع الارض . اما الملك وعظمة علوه فهو الابن الوحيد الذي لله الاب . لكنه لبس الاتضاع وجا الينا واخضع العدو الذي كان قد تعظم . ليس [٢١١] كمثل قاتله قتله[٢] . بل تركه مربوط الى حين تام فعله . فلما تم الحد الذي وضعه . والميعاد الذي جا بسببه كمثل ارادته مع ابيه . لِيُصلَب من اجلنا ويموت ويقوم من بين الاموات في يوم الثالث ويسبي الجحيم . ويصعد السبي معه الى عند ابيه . فصرخوا اجناد الملايكه قايلين ملك الرب في العود . ملك الرب فلتفرح السما وتبتهج الارض . لانه رحم شعبه وخلصهم من سبيهم . ملك الرب ولبس القوه . وترداً بها . يعني هذا الجسد الذي اخذه من مريم العذرى ولبسه وجعله واحد مع لاهوته[٣] . وصعد به معه الى السموات . وجلس عن يمين الله الاب على كرسي مجده . ولبس القوه وتجلل بها . يعني الصليب المقدس . ومضى به معه الى العلا . وهو ايضا ياتي به معه في ظهوره الاتي . اذا جا ليدين الاحيا والاموات . والابرار والاشرار . فينظرون الذين يامنون [٢١٢] بالصليب وهم ماشيين والملايكه حاملين الصليب كمثل العلام[٤] قدام الملك

---

١ – يعود هنا الى ضمير المتكلم بدلاً من الغائب مما يرجح ان الكلام الذي سبقه تابع للفقرة الدخيلة لاسيما انه بمعناها

٢ – وفي ح ٢٦ : « ليس كمثل قاتل قتله » ، وهو اصح . وهو يعني ، كما نظن ، ان المسيح لم يقتل الشيطان بل تركه مربوطاً

٣ – هذا يدل على ان الواعظ غير تابع لبدعة النساطرة الذين ينكرون اتحاد لاهوت المسيح بناسوته

٤ – وفي ح ٢٥ : « العلم » ، وهو أصح . ولعله يشير الى العلَم الذي رسم عليه قسطنطين حرفي اسم المسيح الاولين بعلوهما صليب . وهو المعروف باسم labarum راجع كابرول ٣ :

فان قال قايل لماذا صلبوه ولماذا ياتوا بالصليب الى موضع الحكم . قيل له . انه من اجل اليهود[١] القليلين الايمان . الذين لا يومنون بصليب يسوع المسيح ليلا يظنوا ويفكروا[٢] من هو الاتي ليدين الاحيا والاموات . هو حقاً ياتي بمجد ابيه وملايكته . وتظهر علامه الصليب .

٣ – خروف الجلجلة — وهو رجانا في كل اعمالنا . الصليب هو معموديتنا . واذا لم يرشم الانسان الما باصبعه[٣] مثل الصليب . ليس تحل عليه روح القدس . الصليب هو يطرد الارواح النجسة ويخرجهم من الناس . الصليب هو يجعل الانسان جديد دفعةً اخرى . اذا جعل رشم الصليب في جبهته بزيت المعموديه[٤] . الذي هو عربون[٥] ملكوت السموات . فيعود جديد دفعةً اخرى .

ولكن يا احباي . انا ارا الوقت قد اقترب[٦] . والجمع الذي اتوا [٢١٣] الى العيد يريدوا يسمعوا تمام القول الذي قاله الرب لموسى[٧] ان يعيّدوا[٨] له ثلاثه دفعات في السنه . اذ يقول له في الرابعشر من الشهر الجديد الذي هو برموده[٩] . في الرابعشر من الهلال امر موسى ان ياخذ الكبش كامل بلا عيب ابن سنـه

٢٦٨٠ وما يليه

١ – لاحظ اهتمامه الدائم بأمر اليهود الذين كانوا موضوع آمال الكنيسة في بدء نشأتها . وهو من دلائل القاء الميمر في فلسطين

٢ – لعل الاصل : « يشكّوا »

٣ – في ح : « بيده » . وعادة تبريك الماء والتبرك منه نشأت في اوائل الكنيسة . راجع معجم فاكان ٣ : ٢٥٥٦ و ٢٥٥٩

٤ – استعمال زيت المعمودية يرجع الى القرن الاول المسيحي . وقد كان سرّ التثبيت يُعطى على اثر التعميد كما هو جارٍ الآن عند اغلب الشرقيين . راجع معجم كابرول ٤ : ١٦٨٦ و ٦ : ٢٧٧٩

٥ – وفي ح : « اركون »

٦ – يشير ، على الارجح ، الى ميعاد حفلة ارتفاع الصليب

٧ – يشير الى الحجاج الوافدين الى اورشليم لحضور حفلة ارتفاع الصليب . ولعل احدهم نبهه الى خروجه عن الموضوع وطلب اليه اتمام شرح الآية الخاصة بالعيد . وهو مما ينفي التزوير والتلفيق ، كما قلنا

٨ – في ح : « ان عيّد لي »

٩ – شهر نيسان عند الاقباط

فيذبحه ويلطخ عتبات بيته[١] بدمه ليلا ياتي المفسد فيفسد ابكارهم . فاما نحن جميع النصارى . فقد ذُبح الخروف الذي بلا عيب يسوع المسيح سيدنا من اجلنا . هذا الذي ولدته السيده الطاهره العذرى مرت مريم[٢] . هذا ذُبح على الصليب في شهر برموده[٣] في الرابعشر من الهلال على حجر الجلجلـه . وطعن جنبه في حربه[٤] فخرج منه ما ودم . هو الذي لطخ دمه به . هوذا ملطّخ على حجر الجلجله . ولا يفنى ذلك الدم الى الابد . معيره وتوبيخ لليهود الغير مومنين بالله[٥] . واما نحن ايضا معشر النصارى اخذناه ولطخنا به عتبات بيوتنا الذي هي [٢١٤] افواهنا وشفاهنا . لما اخذنا من دم الخروف الكامل . الذي بلا عيب يسوع المسيح . وشربنا منه واكلنا من جسده نجونا من الفساد . وقدرنا ان نطا على الشيطان . وجميع افكاره الشريره .

٦ – القيامة والنصره — واين وضعوا جسد الرب هوذا هو موضوع[٦] في قبره في هذه الكنيسة التي نحن نعيّد فيها اليوم[٧] . ومن هو الذي اقامه من بين الاموات . ليس يستطيع احد يفحص عن هذا السر ولا يعرفه . الا الاب وحده الذي اقامه من بين الاموات . كما قال في المزامير . استيقظ[٨] الرب كالنايم وكمثل الجبار الفايق من سكره . ومن الذي لقيه اولًا ولمن ظهر[٩] . الا لمريم المجدلانيه ومريم اختها التي هي امه[١٠] . التي ولدته بغير رجل . وطلقت بـه

---

١ – في ح : « بيوتهم » ، وهو أصح

٢ – ܡܪܬ ܡܪܝܡ اي السيدة مريم وفي ح ܡܪܬܝ ܡܪܝܡ بدلا من ܡܪܬܝ ܡܪܝܡ اي « سيدتي مريم » وهو من آثار التعريب عن السريانية ودليل على ان المعرب سرياني وليس قبطيا

٣ – في ح : « نيسان »

٤ – في ح ٢٧ : « بحربه » ، وهو اصح

٥ – يعني دائما بامر اليهود مما يدل على ان المبصر ألفي في فلسطين كما سبق القول

٦ – لعل الاصل « هو كان موضوعاً » فسقطت كلمة « كان »

٧ – اشارة صريحة الى كنيسة القيامة وعيد ارتفاع الصليب

٨ – في ح : قام

٩ – في ح : « من الذي لقيه اولًا ولمن ظهر اولا »

١٠ – لعله يريد اختها بالاسم او ان هناك تحريفاً من احد السريان استنادًا الى تقليد سرياني قديم

وولدته من غير عُسر الولاده . وربّته بغير اهتمام[1] ولا تعب . واقام اربعين يوماً يظهر للرسل وياكل ويشرب معهم . وبعد ذلك اوعز اليهم[2] قايـلا امضوا الى العالم كله . وعلّموا الامم كلهم [٢١٥] وعمّـدوهم باسم الاب والابن وروح القدس . واوعدهم انه مرسل اليهم الفارقليط[3] روح القدس . يوم البنطيقوسطي[4] اخر الخمسين . اليوم الـذي قال الرب لموسى اخرج انت وامراتـك واولادك وبهايمك وعبيدك والمشترين بفضتك . وكل شياً لك لان عيـد البنطيقوسطي هو عيد عظيم مكرَّم . وهو اليوم الذي حل فيه روح القدس على التـلاميذ كمثل انسان اخر حكيم ويمضي الى حقله وينقي منه السنط[5] والشوك الـذي يطلع فيه . وبعد ذلك يزرع فيه الزرع بيد سمحه ويحرثه بالمحرات وينظر الى زمان الشتى لياتى المطر عليهم[6] ويطلعوا وينموا ويعودوا زرعاً صالحاً من اجـل ريح الندا الذي نزل عليهم من السما . من عنـد الله . هكذا سيـدنا يسوع المسيح مع هولاي الابا الاطهار . الذين هم الابا الرسل . طهّرهم ونقاهم من كل دنس وكل غش الى البنطيقوسطي وارسل عليهم الفـارقليط روح القدس روح الحق . وملاهم بكل معرفة . ونطقوا بكل لغة[7] غريبه لا يعرفوها . وصنعوا [٢١٦] قوات عظيمه وعجايب كثيرة مثل ما صنع الرب . فواحداً صنع مايه . وواحداً صنع ستين وواحداً صنع ثلاثين .

هذا هو الزمان الذي نفرح فيه يا احبايي . كما امر الرب . وليس ذلـك

---

١ – لعله يريد « بغير همّ »
٢ – في ح ٢٨ : « اوما »، ونصنا اصح
٣ – حسب اللفظ اليوناني لان الفا في السريانية تعبّر عن البا اليونانية المشددة . وفي ح : « البارقليط » حسب اللفظ العربي
٤ – عن اليونانية ، وفي ح : « العنصره »
٥ – نبات خاص بالقطر المصري ، وورود اسمه هنا دليل على ترجمة الميمر في هذا القطر
٦ – قلنا ان المطر نادر في وادي النيل ولا يعتمد عليه في الزراعة بل على مـاء النيل . وهذا ينفي تأليف الميمر في هـذا القطر وان تُرجم وعُرب فيه
٧ – وردت ايضاً على هذا الخطأ في ح ٢٩

بكثرة موكول ولا بكثرة مشروب . ولا بكثرة غنا[١] . الا بكثرة تسابيح وبكثرة مزامير نرتل قايلين[٢] لنقدم له بالشكر ونهلّل لـه بالمزامير . لانه هو الاهنا . ونحن شعبه وغنم رعيته . ولما صعد ايضا الى ابيه وجلس عن يمينه[٣] . صرخوا اجناد الملايكه قايلين ملك الربّ على جميع الامم[٤] الله القدوس جلس على كرسيه . واما قول الرب لموسى عيّد لي ثلاث دفعات في السنه . ايمـا هو العيد الذي يشاكل عظم منزلت هذا العيد يا احباي . هذا الـذي هو في اول شهر من شهور السنه . الذي هو عيد ظهور الصليب[٥] .

٥ — عجائب الصليب

١ - اخفاء الصليب — وهوذا نحن نوضع لكم السبب ونعرّفكم لماذا نعيّد لكم الصليب المقدس[٦] . وذلك من اجل ان اليهود الـذي [لا] يومنون[٧] بالله كذبوا بقيامته[٨] . وقالوا انه لم يقوم من بين الاموات . لكن تلاميذه جاو ليلا [٢١٧] وسرقوة ونحن نيام . ولم يقدروا بوامرتهم السو وافكارهم الرديه يخفوا مجد الصليب .

وهوذا ابيّن لكم القول كما عرّفنا نيقوديموس ويوسف الرامي من اجل

---

١ — اشارة الى عادات الوثنيين التي كانت لا تزال قائمة في القرن الرابع

٢ — وفي ح ٢٨ : ولا بكثرة مزامير بل نرتل . . . وهو خطـأ . ولعـل اقتصاره على التسابيح والمزامير دلالة على اقدميته، لان المزامير كانت تؤلف في العصور الاولى القسم الاكبر من الصلوات البيعية جريًا على عادة اليهود

٣ — وفي ح : « ليجلس »

٤ — لاحظ رجوعه الى الآية الاولى ليربط اقسام ميمره معا وعما وعد بشرحه في المقدمة عن التعييد ثلاثًا . ولعل الحاحه في تعظيم هذا العيد دليل على حداثته لانه كان جزءا من عيد القديسين فاستقل عنه في اواخر القرن الرابع ، كما قلنا ، مما يصبح دليلًا على عهد القاء الميمر

٥ — كانت السنة تبدأ بايلول ثم جعل بدء السنة الكنسية في شهر تشرين الاول وهو باقٍ في الكنائس السريانية . وهو من دلائل قدم الميمر

٦ — في ح ٣٠ : « ونعرفكم لماذا نعيد لكم اليوم عيد الصليب المقدس » ، وهو اصح

٧ — اخذنا كلمة لا عن ح . وقد اهملت سهوًا في نسخة ب لان الناسخ ابقى لها بياضًا

٨ — وفي ح : « كذبوا قيامة الرب » ، ونظنها اصح

غضب اليهود على تلاميذ المسيح . وصليبه المقدس . لانه كان في قلوب اليهود الذي صلبوا المسيح شرّاً عظيماً . من اجل خشبة الصليب يريدوا يحرقوها من بعد قيامته من بين الاموات . لانها كانت مغروسه في موضع كان صلب فيه[١] . فلما اهتدا ذلك السجس بقليل قليل لان تلاميذ الرب كانوا مختفيين من اليهود . فقال يوسف لنيقوديموس قم الان لناخذ الصليب ونخفيه[٢] . ليلا يصنعوا الذي قد توامروا به . فقاموا ليلا ومضوا الى الجلجلة فوجدوا عود الصليب واللوح الذي كان بيلاطوس[٣] كتبه والمسامير الذي كانوا في يديه ورجليه[٤] اخذوهم سرّاً مع الذي كانوا للص[٥] فاخفوا الجميع ولم يقدروا يدخلوا بهم المدينة من اجل خوف اليهود[٦] . فقال يوسف لنيقاديموس ناخذ الان الخشبة [٢١٨] ونقطع من اسفل الصليب[٧] . ونتركه داخل القبر الذي وضعنا[٨] جسد الرب فيه لانه لي . وانا لم اضع احد فيه قط غير جسد الرب يسوع . الذي قد قام من بين لاموات . وللوقت[٩] وضعوهم داخل القبر لانه كان قريب من الموضع الذي

---

١ – اي الجلجلة مما يفيدنا ان الصلبان لم ترفع منها حالاً بعد موت المسيح ودفنه

٢ – وفي ح ٣١ : « لان تلاميذ الرب كانوا مختفين من اجل اليهود . قام يوسف الرامي وجاء الى نيقوديموس وقال له هوذا اليوم قد توامروا من اجل صليب المسيح ليحرقوه قوم الان حتى ناخذه ونخفيه »

٣ – في ح : فيلاطوس حسب اللفظ اليوناني وطريقة كتابته بالسريانية

٤ – هذا يعني ان المسامير خبئت مع الصليب . انما لا يأتي الميمر بذكرها عندما يصف اكتشاف الصليب اما الاساطير السريانية فتدّعي انها اكتشفت بعدئذ في الجلجلة نفسها في النقطة التي عثر فيها على الصليب ، كما مر بك . وهذا يدلك على اختلاف رواية ميمرنا عن رواية الاساطير المذكورة

٥ – يعني للص اليمين والاصح « اللصين » كما جاء في صفحة ٢٤٢ في الكتابة التي تركها نيقوديموس ويوسف الرامي حيث يقولان « رفعنا صليب يسوع واللصين » .

٦ – كل ما جاء هنا معقول طبيعي لا مبالغة فيه ولا تناقض

٧ – كي يمكنهم ادخاله مع الصليبين الآخرين في مغارة القبر لا في التابوت نفسه لانه يضيق عنها

٨ – في ح : « وضعوا » ونصنا اصح لان يوسف ونيقوديموس توليا دفن المسيح

٩ – في ح : « جسد يسوع وهوذا قد انبعث من بين الاموات والوقت . . .

كان صلب فيه ودحوا جوالحجر على فم القبر ومضوا وتركوه[١] . ولم يعلم احد ما صنعوا . الى زمان عظيم[٢] .

وكانوا التلاميذ يمضوا في كل يوم الى القبر في الليل يصلّوا في خفيه . وكانوا يمضوا بالمرضا فينالوا الشفا بيسوع المسيح . وصليبه المقدس . حتى ان الشياطين الذين في الناس اذا لمسوا القبر يصرخون قايلين يسوع يقتهرنا[٣] وهو في الجسد وهو ايضا لما صلب هوذا صليبه يعذبنا ويتعبنا . ويطردنا من الاجساد التي نحن ساكنيها .

٢ - اكلاوبا — واسمعوا ايضا هذه الاعجوبه الاخرى الذي حدثنا بها ساداتنا الابا الاولين . كان في اورشليم في ذلك الزمان انساناً يهودياً اسمه اكلاوبا وكان موسراً جدا . وكان مقعداً . لم يمشي قط على رجليه . ولم [٢١٩] يقدر يركب دابه قط . وكانوا يرفعوه ويمضوا به الى المحمل الذي كانوا يحملوه فيه[٤] . ويمضوا به الى المكان الذي يريد يمضي اليه . وكان ذلك الرجل لم يمضي قط الي موضع موامرة اليهود المنافقين الذي صلبوا رب المجد من اجلنا . وهذا الرجل اكلاوبا كان اوصا عبيده قايلاً . لا تشتركوا مع اليهود قليلي الايمان في ما يعملوه . هولاي الذين يريدون ان يقتلون[٥] يسوع الناصري من اجل حسدهم وبغضهم[٦] . انا ايضا اعلم انه ابن الله على ما ثبتت به الانبيا . ومريم اختنا هي التي ولدته . بروح القدس تلك الذي تدعا ابنة يواكيم اخواني بالجسد[٧] .

---

١ — في ح ٣٢ : « تركوها »

٢ — هذا بني على انها رفعا الصلبان الثلاثة مماً ليخفيا معالمها ويرفعا الشك عن التلاميذ في الغاية من اخفائها . لانها لو اقتصرا على صليب المسيح لعرف اليهود ان تلاميذه قد اخفوه .

٣ — في ح : « كان يقتهرنا » وهو الصحيح

٤ — في ح : « الى المحمل الى الما ليحموه » وهي دخيلة لا محل لها . ولعلها خطأ وقع فيه الناسخ لسو، فهمه ما يُملي عليه لان كلمات « الى الما ليحموه » قريبة من كلمات « الى المحمل ليحملوه » وهذا يدل على ان معلمه الحبيس ميخائيل او غيره املى عليه ما كتب

٥ — وردت على هذا الخطأ في كلتا النسختين

٦ — وفي ح : « وبغيهم »

٧ — وفي ح : « تلك الذي تدعا ابنة اكلاوبا الذي يسما يواقيم اخواني بالجسد » ، وترجيح

وانا اومن انها لم تعرف رجلاً قط . بل روح القدس حلّ عليها ببشارة الملاك لها .

٣ – موت ابنه – وكان لهذا الرجل الصديق اعني اكلاوبا ولد وحيد اسمه اهروقوس[1] . فمرض مرض موته . واقام ايام قليل ومات . فدعا اكلاوبا عبيده . وقال لهم امضوا فاتوني برجل ينحت الحجار حتى يصنع لولدي [٢٢٠] قبر من الحجر بجانب مقبره يسوع الناصري . لادفن ولدي فيه . واذا مُت انا ادفنوني فيه . فصنعوا كما امرهم اكلاوبا وجابوا الصانع وعمل القبر . وبينما اغرقوس[2] ابن اكلاوبا في الحياه تنيّح بعد يومين[3] . وكان ذلك يوم السبت . فلم يقدروا يمضوا بجسده الى القبر لكيلا يحلّ السبت . فلما كان الغد الذي هو اخر السبوت خرجوا به الى القبر[4] . وهو محمول على نعش . ورفعوا ابوه على المحمل وهو خلفه يبكي وينوح . بحزن عظيم . فلما وصلوا الى مقبرة سيدنا يسوع المسيح وضعوا جسده على الارض واجلسوا والده بجنبه .

وكان ينوح عليه باكياً وهو يقول[5] يا ولدي الحبيب ليت هذه الايام الذي كان يسوع الناصري على الارض يقيم الموتى . فكنت امضي اليه واسأله لياتي ويقيمك لي لانه قد اقام اخرين وهوذا هم معنا اليوم احيا . اقام حنه ابنه

ان روايتنا اصح . وقد اختلف الرواة في هوية اكلاوبا المذكور وذهب بعضهم الى انه اخو القديس يوسف خطيب مريم والدة المسيح . وهو حسب رواية ميمرنا عمها اي اخو والدها القديس يواكيم . والتقاليد كلها تتفق على انه من اقارب مريم العذراء . راجع هذا الاسم في معجم الكتاب المقدس للاب فيكورو

١ – وسيرد بعد قليل « اغرقوس » وكلاهما يونانيان، ولعلهما ترجمة اسمه العبراني فابقاه المترجم السرياني كما وجده في الاصل اليوناني الذي نقل عنه . وهو من دلائل الترجمة عن هذه اللغة

٢ – ܐܓܪܩܘܣ بنقطة فوق الجيم وفي ح ٣٦ : ܐܓܪܩܘܣ أي اجرقوس بالجيم المصرية

٣ – يعني ان اكلاوبا اوصى بعمل القبر لما رأى ابنه مشرفاً على الموت

٤ – وفي ح : « فلما كان الغد الذي هو يوم الاحد » ، ونرجح انه الاصح وانه تصحيح المشرف على النسخة . لان كلام الميمر يعني ان اهرقوس توفي يوم الجمعة ولم يكن لهم متسع من الوقت ليدفنوه في ذلك اليوم لان السبت يبدأ مساء الجمعة ، ولا يعقل ان يخرجوا به بعد مساء السبت

٥ – وفي ح : « نوحا عظيما ويقول »

يايرس رييس الجماعه . واخو والدتك[١] . واقام العازر ابونا من بين الاموات[٢] . ولكن يا ولدي الرب يسوع المسيح يقبلك في ملكوة [٢٢١] السموات.

٤ – قيامة ابنه وشفاؤه – وبينما كان اكلاويا يقول هذا بامانه قويه . فللوقت خرج من مقبرة يسوع المسيح رايحة بخور طيب . ورا ا بعينه شبه صليب النور قد خرج من المقبره وحل على سرير ذالك الميت . فنهض للوقت جالساً . فلما علم ابيه[٣] ان ولده قد قام وثب من الفرح ونهض قايماً على رجليه . وعاد كمثل من لم يحزن قط . فوقع على اليهود للذي كانوا معه خوف عظيم . لانهم راو الميت قام من الموت . ونهض جالساً . وابوه كان مقعدًا فصار يمشي ويجري[٤] . ونزعوا عنه اللفايف فنهض قايماً بينهم . فقالوا له من هو الذي اقامك . فقال لهم رجل من نور خرج من هذه المقبره . وهو حامل صليب نور[٥] ووقف علي واقامني . وهوذا أنا قد حييت دفعةً اخرى وانتم تروني . وكانوا ايضا يقولون لابوه كيف قدرت تمشي . ومن هو الذي ابراك . فصرخ بفرح عظيم قايــلاً الذي اقام ابني من الموت . هو الذي ابراني[٦]

٥ – اتحاده – ومسك بيد ابنه ودخلوا الى المدينة بفرح يسبّحوا [٢٢٢] الله ويباركوه[٧] . وهم يصرخوا قايلين عظيم هو مجدك وقوتك يا يسوع الناصري. وانت ايضا جعلت لك القوه والبرهان في الصليب المقدس المعطي الحياه لكل

---

١ – وفي ح : يزيد « وهوذا هو ايضاً اليوم في الجسد »

٢ – اذا كان يعني والده فيكون العازر جد مريم العذراء ، ويكون باقياً على قيد الحياة في وقت هذه الاعجوبة

٣ – وردت ايضاً على هذه الصيغة المغلوطة في ح ٣٥ : مع ان « ابوه » شائع في كلام العامة . وهو من دلائل نسخ الاثنين عن مصدر واحد

٤ – تعبير مصري بمعنى ركض كما قلنا وغير دارج في لبنان حيث نسخت المخطوطتان

٥ – تظهر هنا غاية القديس كيرلس من ايراد هذه الحكاية الطويلة اي وصف العجائب التي ظهرت على قبر المسيح لاخفاء الصليب فيه والتي حركت اليهود على رومة

٦ – في ح ٣٦ : « الذي اقام ابني من بين الاموات وهوذا اليوم الرابع من حيث مـات هو الذي ابراني »

٧ – في ح : يزيد « ولابنه الوحيد يسوع المسيح ربنا »

من يومن به . موضع حزن[1] اعطيتني فرحاً وتهليل . وصار لي في ذالــك فرحين . قيامة ولدي وعطيّتي الشفا[2] . وكان الشعب كلهم قيام يسمعوا قولهم وما كان منهم . وبقوا متعجبين من ذالك . لان اكلاوبا عُطي الشفا من مرضه . وابنه قام من بين الاموات .

فامر ان ياتوا الى منزله بالارامل والايتام . وصنع لهم وليمه عظيمه . وفرّق عليهم مال كثير في ذالك اليوم . وعتق عبيد . ومضى هو ووالده واهل بيته الى الرسل فعمدوهم باسم الاب والابن وروح القدس . وعادوا مختارين يبشّروا بالمسيح وصليبه[3] المقدس . واما اليهود لما عاينوا هذه الايه . امنوا بالرب يسوع المسيح .

٦ — اخفاء الصليب

١ – ردم القبر – واما الكتبة والفريسيين لما سمعوا بهذه القوة التي ظهرت في مقبرة سيدنا يسوع المسيح . توامروا في ما بينهم بان يحرقوا المكان بالنــار . فاجابوا عظما اليهود وقالوا لروسا الكهنة [٢٢٣] هذا هو حجر نحت من صخره . وليس تعمل النار فيــه شي . ولكن ان رأيتم من الراي . ان تخلوا اليهود يرموا عليه التراب حتى لا يظهر البتة تذكاره . فوافقهم هــذا الراي جميعهم . ونادوا في مدينة اورشليم كلها قايلين . جميع الرجال والنسا اذا ما كنسوا تراب في بيوتهم ومقصوراتهم . واصطبلاتهم . يمضوا به ويرموه على مقبرة ذلك الضال الذي يقال له يسوع . والذي لا يصنع هكذا يخرجوه من الجماعه . وياخــذوا غرامه[4] رباعي فضه

٢ – قصاص اليهود – وصار هذا الامر في اورشليم كلها عاده يصنعوا جميعهم

١ – في ح : « حزننا »
٢ – تركيب يوناني ، وفي ح : « ووهب ايضاً لي الشفا »
٣ – سقطت من نسخة حلب الورقة الحاوية لحكاية ردم القبر اي من كلمة « المقدس » صفحة ٢٢٢ حتى قوله « ويسألون ان يشفق عليهم » من صفحة ٢٢٤
٤ – وردت [illegible] بنقطة على الجيم وهو يعبّر هكذا دائماً عن الغين كما في كلمتين [illegible] « مر النفس » و [illegible] الغضب صفحة ٢٢٦

في كل يوم الى زمان اسفسيانوس[١] الملك الذي اخرب اورشليم فلما تسلط على اليهود ولما يعودوا يصنعوا هكذا. وهذا ما اخبرنا به يوسف الرامي وبرنباس[٢] العبرانيين . ومن ذلك الزمان الى اسفسيانوس الملك مايه وسبعين سنه[٣] . ولم يزالوا هكذا حتى عاد تل تراب على موضع المقبره . وصار عالي على المدينه كلها . فارسل اسفسيانوس ملك الروم على اليهود هلاك وفساد عظيم حتى انه قتل منهم ثلاثين [٢٢٤] الف . واسر منهم الف وسبعايه. وكتب الى بطلماوس رييس القبط[٤] . يقول له لا تعطي اليهود رجا في ارض مصر ولا يتاجروا ولا تجعلهم على اجباب الخمر ولا على معاصير العنب[٥] . ولا على جرون غلاتهم . لكن يكونوا بطالين مبعودين من كلشي . حتى تبطلوهم منكم . واليهود ايضا الذين في ارض مصر اتعبوهم جدا . ويضيق عليهم اكثر من ابايهم في زمان فرعون لما كانوا عبيد المصريين . حتى ان طفل واحد من المصريين يعذب عشرة من العبرانيين . ولا يقدروا يصنعوا به شر . بل يطلبوا منه ويسالوه ان يشفق عليهم[٦] . لان الرب هو الذي اذلهم وخضعهم من اجل ما صنعوا له من الشرور[٧]

٣ – الصليب لم يختف – فتقاصرت تلك القبيلة الذي صلبوا رب المجد حتى كادت تضمحل من كثرة القتل الذي كان فيهم من الملوك والغلا والوبا الذي جلبه الله عليهم من اجل خطاياهم . واما اليهود الذي بقوا في اورشليم نسوا عاده ابايهم . ولم عادو يرموا تراب على قبر يسوع ولانه قد صار تل عظيم على

---

١ – ܐܣܦܣܝܢܘܣ Vespasianus ملك من سنة ٦٩ حتى ٧٩

٢ – ابقى السين كما في اليونانية بدلًا من برنابا

٣ – او بالاحرى سبعين سنة لميلاد المسيح ونرجح ان اضافة كلمة « مايه » غلطة ناسخ

٤ – لا نعرف اي البطالسة يقصد وقد كانوا حكامًا على مصر وقسم من سوريا قبل المسيح . ولعله يعني بالقبط المصريين كلهم . لان هذا الاسم على ما يقال تحريف « اجبت » اي مصر

٥ – لعله يعني ضمان المال الاميري المرتب عليها

٦ – هنا ينتهي كلام الورقة الساقطة من نسخة حلب

٧ – لعل اغلب ما جاء هنا عن اليهود في القطر المصري اضافة من احد النساخ الاقباط او السريان النازلين وادي النيل

مقبرة يسوع وموضع الجلجله . حتى ان لا بقا احد يذكرهم البته . و كانوا يسموا ذلك التل اقرانيون[١] اي يسوع . ويسموها [٢٢٥] الجلجلة[٢] . وان الشيطان اضلّ عقل اليهود تابعيه . وغيّر القول . واشاع الامر قايل . انزع الصليب من بينكم . ولم يكن يعلم انه سوف يمجد الصليب عند الملوك . وكان[٣] الذين امنوا باسمه . وتغلق ابواب البرابي[٤] من اجله . وان كان اليهود[٥] الذين هم آلة الشيطان الذي ينطق فيها . ارادوا ان يخفوا الصليب . لكنهم لم يقدروا يخفوه الى الانقضى . وهو ايضا مكتوب في قلوب المومنين به . يتذكرونه كل وقت . وصورته قدامهم ينظرون اليها . وان كانوا اخفوه فهو يشبه الشمس بقوته يغيب في الليل ويظهر في النهار . كمثل الخارج من خدره . هكذا ايضا الصليب المقدس . اخفوه اليهود من اجل حسدهم الردي للرب يسوع المسيح . لكنه ظهر وعاد مضيا جدا[٦]

٤ – امجاد الصليب ونعمه – وان الصليب هو مقوّي الملوك محبي الله ويجعلوه لهم تاج . وهو على القضيب الذي في يديهم . والصليب مصوّر في بيوت الملوك . ويجعلوه في الطرق وعلى العُمد وزوايا البيوت . ليكون لهم قوه . ولجميع العابرين . والصليب مكتوب على السفن ينجيهم من الرياح العواصف الرديه [٢٢٦] وهو مكتوب على تاجات الملوك ليعطيهم النعمه . الصليب المقدّس هو قدام كل

---

١ – قلنا انها كلمة يونانية κράνιος ὁ معناها الجمجمة وقد تركها المترجم على صيغة المفعول به كما وجدها في الاصل اليوناني

٢ – في الميمر القبطي صفحة ١١ ان اليهود « اقاموا على ذلك الحال مستمرين ، يردم تراب على المقبرة الطاهرة والجلجلة مايتي وثلاثون سنة الى ان علا التراب على اسوار المدينه ونسي ذلك المكان ولم يعرف ولا صار احداً يعلم بخبره » . وهو يجمل ذكر خراب اورشليم وينتقل بعد ذلك الى الكلام عن رؤيا قسطنطين

٣ – الارجح ان اصلها « وكل »

٤ – هياكل الاصنام كما سنرى

٥ – في ح ٣٧ : « وان اليهود »

٦ – في ح ٣٨ يزيد : « وبمطا للهيكل قربان »

كتابه يُكتب[1] . يا لهذه القوّة والفخر[2] الـذي للنصارى المومنين لانهم ليس يصنعون شي من امور العالم الا بالصليب . ولا يصنعوا مذبح الا بالصليب[3] . ولا يسيم[4] كاهن الا بالصليب . ولا يعمدوا الا بالصليب . والذي يكون له الصليب ومعه . فان لـه عون عظيم . الصليب هو يلجم صغر النفس ويبطل الغضب الذي يجلب السخط . الصليب هو على موايد المومنين ويبارك طعامهم . وهو في ولايمهم[*] .

٥ – الملوك اعداء الصليب – وهو يهلك الغير مومنين الذين هم اعدايه . كما اهلك ديوقلتيانوس[6] وجعله اعما بعينيه[7] . لانه لم يجعله له معيناً . بل عدواً مبيناً . واتصل مثل مكسيانوس[8] الذي فتق وهو في الحياه وتعطل لسانه في فيه . لانه كان افترى على الصليب . وايضا اهلك يوليانوس الكافر[9] المنافق . لانه لم

١ – تركيب يوناني . وفي ح : « تكتب » ونظنه يعني الكتابات الرسمية . كل هذه الاوصاف لا تنطبق الا على بلاد مسيحية وتدل على ان الميمر وُضع قبل ان يحتل الاسلام اورشليم كما سبق القول

٢ – هكذا وردت بضمة على الفاء

٣ – يعني تكريس المذبح ، وفي ح ٣٩ يزيد : « ولا يكرز اسقف الا بالصليب ولا كاهن الا بالصليب ولا يرسموا الا بالصليب »

٤ – نرجح ان اصلها « يسمون »

* – وفي ح هذه الزيادة : « ومع الـذين يشربون الخمر بسكر وفرح . وهو يهلك السكيرين بغضب عظيم » ونرجح انها دخيلة . وسترى ان النص الحلبي يبتدئ من هنا بان يبتعد عن نصنا بزيادات لا مبرر لها

٦ – تكتب بالتاء اليونانية واللاتينية وتلفظ « ديوكلتيانوس » ملك سنة ٢٨٤ وفي سنة ٣٠٣ اعلن الاضطهاد العام على المسيحيين . وكان في سنة ٢٩٢ قد ترك مملكة الغرب لقسطنس كلوروس والد قسطنطين . فتنزل في سنة ٣٠٥ نهائياً عن الامبراطورية

٧ – لم نكن نعلم انه فقد البصر في آخر حياته . وفي ح . « اعمى بعينه »

٨ – مكسميانوس هرقل شاطر ديوقلتيانوس المُلك سنة ٢٨٦ . تبنى قسطنس كلوروس . وتنزل مثل ديوقلتيانوس سنة ٣٠٥ . ولعله يقصد مكسيمينوس دازا الذي ملك سنة ٣٠٥ وذبح قيلقاً مسيحياً في غاليا وانكسر في طرسوس في حزيران سنة ٣١٣ فانتحر . ولم نكن نعلم انه اصيب في لسانه وجسمه بمرض البرص او السرطان . راجع كابرول ١٣ : ٢٦٢٦ حاشية ٢٥

٩ – ابن اخت قسطنطين ملك سنة ٣٦١ وقُتل في حرب الفرس سنة ٣٦٣ . جدد

يتبعه وخلاه خلفه . وذلك المنافق الكافر صار قرن الهلاك امام الرجال . ورذل الانبيا الاطهار . وكان يتلوهم[١] دفوع كثيره . ويعترف فيهم الذي لا يجب فتحه فيه ولسانه المقطوع[٢] . ويقول اني قراتهم وفهمتهم . بالحقيقه [٢٢٧] يا احباي انه لم يقراهم ولم يفهمهم . ولو انه عرف معناهم ومجد فخر النصارى فلم يكون يموت موت شرير . لانه صار عدوّ الصليب . في حياته . فلاجل هذا الما الذي كانت الخنازير تشبع منه . مات ذلك المنافق . وهو عطشان منه[٣] . وشرب من بول الخيل ومن بوله هو ايضا . ولم يكن جسده يستحق ان يُحمل في قبر . كمثل انسان فقير ولا كفن لجسده من اجل انه صار عدوًا للصليب[٤] .

٦ – التشبه بالمصلوب – فمن اجل هذا يا احباي لا نعود نصنع كاعمال اوليك . ولا نكون اعدا للصليب . لا[٥] يلحقنا الذي صاب اليهود الذي اتفقوا على عود الصليب ليخفوه . هم ذبحوا بنيهم وبناتهم[٦] . واكلوا لحومهم من اجل الجوع العظيم الذي جلبه عليهم السيد المسيح[٧] من اجل المكيده التي صنعوا به لما صلبوه . وايضا ارادوا يخفوا خشبة الصليب المقدس كما قد عرّفنا يوسف وبرنباوس العبرانيين في اقاويلهم[٨] من اجل ما اصاب اليهود . ومعاذ

الاضطهاد على المسيحيين وحاول اعادة الوثنية الى عزها الاول وتنظيمها على نظام الكنيسة . اقتصار صاحب الميمر على هؤلاء الملوك الاربعة وتأثره من اضطهاد يوليانس ومصرعه يدل على انه كان معاصرًا لهم كما اسلفنا القول

١ – اي يطالعهم وقد قرأناها سابقًا « يتليهم » . وكان يوليانس يطالع الكتب المقدسة لينقض بها الدين المسيحي

٢ – في ح : « ويعترف في الذي يجب فه ولسانه المقطوع » والجملة مضطربة في كلتا النسختين ولعله يقصد ان يوليانس لم يكن يستحق ان يتلفظ بالايات المقدسة التي كان يقرأها

٣ – تركيب يوناني محض

٤ – بعض هذه التفاصيل عن مصرع يوليانس لم يكن معروفًا

٥ – في ح ٤٠ : « لئلّا » وهو الصحيح

٦ – في ح : «هم ذبحوا بنيهم وحدجم ›››››› » ونظنه يريد « وحيدهم »

٧ – وفي ح : « الذي جلبه عليهم الاه الحق يسوع المسيح ربنا » ونرجح ان نصنا اصح

٨ – وفي ح : « في بدو اقاويله » ويظهر ان القديس كيرلس يشير الى حكاية مكتوبة

الله[١] يا احباي ان نكون غير مومنين بالمسيح وبصليبه المقدس. ليلا تاتي علينا هولاي الشرور كلهم . لان عظيمه هي قوة الصليب [٢٢٨]

وانا اجترى واقول لكم من اجل آدم ابو البشر وبنيه . خلقهم الله شبهه ومثاله[٢] . فان كان ادم شبه الله ومثاله كما هو مكتوب. اعلموا انتم ايضا. ان الله الوحيد هو صليباً كله لما بسط يديه على عود الصليب وعاد مثالاً واحد معه[٣] حتى خلصنا من خطايانا نحن الذين امنا به. ونحن ايضا نتشبه به . اذا وقفنا نصلي . نبسط ايدينا مثله[٤] . وايضا نتشبه بابائنا الارثوذكسيين تنيّحوا وهم يمجّدوا الصليب المقدس[٥].

٧ — رؤيا الصليب

١ - قسطنطين - وانا ايضا اشرح لكم هذا الفضل العظيم جدا والمجد الذي وهبه الله لنا على يدي الملك قوسطنطينوس الملك المنصور[٦] . هذا كان من اصل جيد محباً لله جدا . ومن اجل هذا مجده المسيح بصليبه المقدس ونجاه وسلّمه في جميع الاماكن من جميع الحروب الى يوم موته. هذا الذي زيّن البيع

ومنسوبة الى يوسف وبرنابا كانت مشهورة في عهده. وقد كتب اسم الثاني ܒܪܢܒܐ وكان سابقاً كتبه برنبياس كما رأيت وكلا الشكلين مأخوذ عن اليونانية

١ - في ح: ٤١ « ومعاذ الله ان يكون هذا »

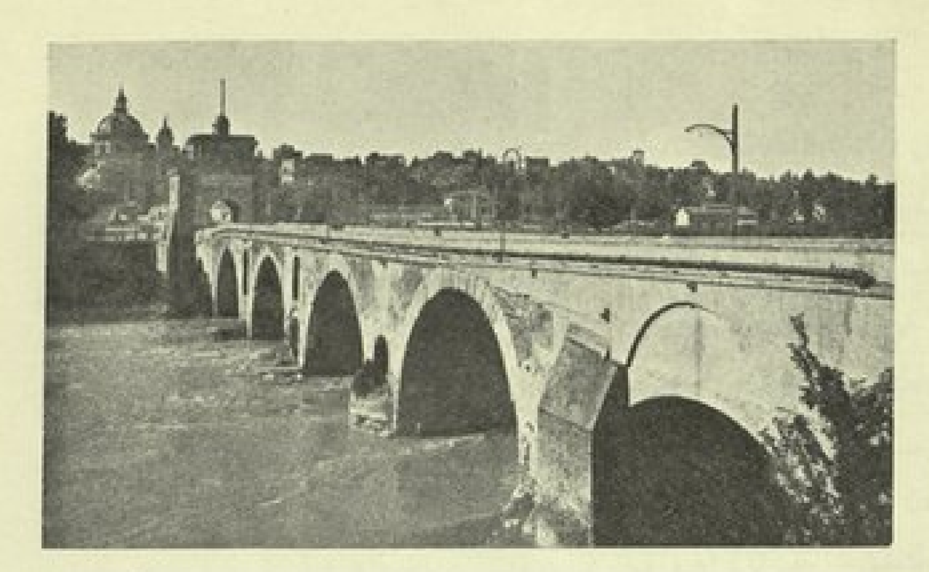
٢ - وفي ح: « من اجل آدم ابو البشر وبنيه نحن. وهذا خلقه الله كشبهه ومثاله »

٣ - اي ان السيد المسيح لما بسط يديه على الصليب اصبح شكله شكل صليب . فالصليب مثال المسيح كما ان ادم مثال الله

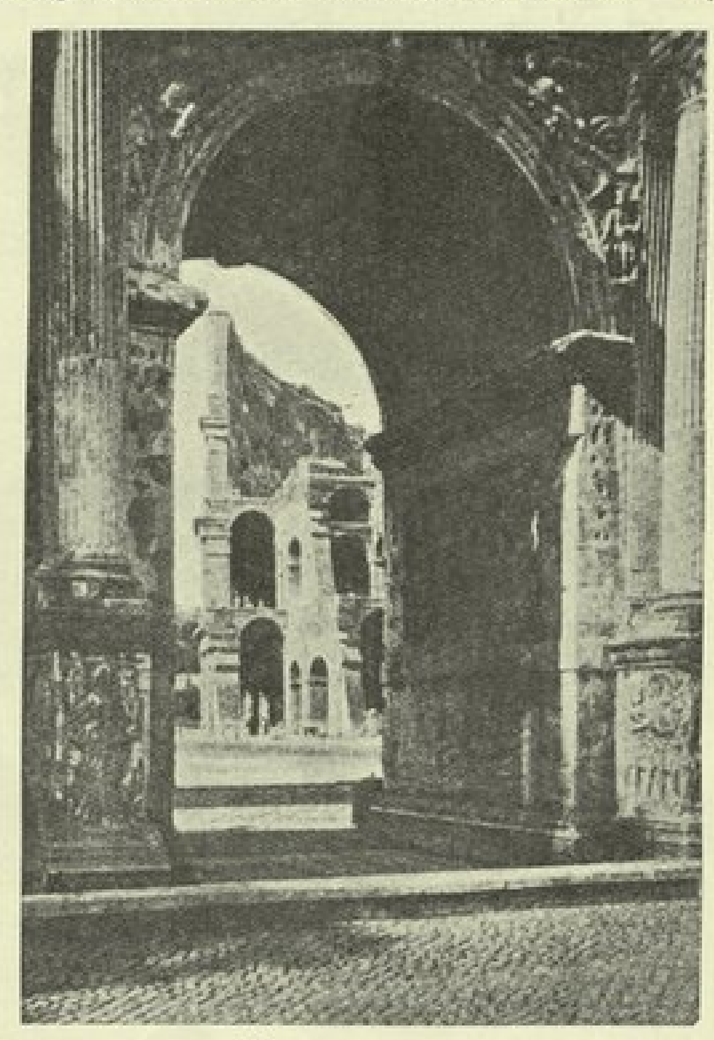
٤ - ما زال المسيحيون ، في الشرق يبسطون ايديهم للصلاة . وفي آخر صلاة المساء مثل الرقاد يتلو الرهبان اللبنانيون مزمور « ارحمني يا الله » باسطين ايديهم كالصليب حتى ينتهوا منه

٥ - وفي ح: « الوحيد » ولا حاجة لهذه الزيادة

٦ - نرى القديس كيرلس يسرد في هذا الميمر اعاجيب الصليب : تغلية الماء في جب حقل يندوم . شفاء اكلاوبا واقامة ابنه من الموت . اهلاك اعداء الصليب اي اليهود وديوقليانوس ومكسيميانوس ويوليانوس . رؤيا قسطنطين محبه . العجائب التي ظهرت بعد اكتشاف الصليب منها ظهور صليب لامع في السماء. فكل هذه الاخبار لا تخرج بحد ذاتها عن الموضوع وان طال في شرح بعضها فتجاوزه. وكلها تتعلق بالآية الاولى: «ملك الرب . . .»



الرسم ١ – جسر ميلفيوس ، شرقي رومية ، حيث انتصر قسطنطين على مكسنس



الرسم ٢ – قوس النصر الذي اقامه الرومانيون تذكاراً لنصرة قسطنطين. وترى من خلال القوس قسماً من المسرح «كلوسيوم» حيث كان المسيحيون يُطرحون للوحوش

بكل زينه رفيعه فاخره . وجعل رجاه في الاله يسوع المسيح وصليبه المقدس . وكان ملتجي اليه بامانه قويه . واغلق ابواب البرابي موضع عبادة الاوثان . ووهب للكنايس وللابا الاساقفة الارثوذكسيين مجد عظيم في [٢٢٩] جميع الاماكن الذي تحت حوطته[١] . واخفا اعدايهم[٢] وتعالى عليهم اعني الملك قسطنطين . هذا الذي مجد الصليب المقدس . وهذا قسطنطين لم يكن يعرف الصليب من البدى من كثرة عبادة الاوثان . الذي كانت مبسوطه على كل مكان من الملوك الكفار ديوقليتيانوس[٣] ومكسيميانوس . واما هذا الملك قوسطنطينوس فكانا ابايه نصارى بارين[٤] . وعاد هذا ايضا على جاري عادته . وكان كمثل مصباح يضي على الذين على الارض كلها . وكان كل احد يتمنا ان ينظره من اجل حسنه وجماله وسجاعته . وكان متباعد من كل عبادة الاوثان . ولهذا احبه ديوقليديانوس واقامه على كل ما له[٥] . وعلى النهي والامر . لانه كان ذو حسن وصورة ملاك . وكان من جنس الملوك الذي للروم الاولين[٦] . وكان سجيعا جدا في الحروب حتى ان كل حرب يمضي اليه يخضعهم الرب قدامه لانه كان يحبه .

٢ — حرب الفرس — فبينما هو ذات يوماً[٧] من الايام في الحرب يقاتل الفُرس في

---

١ — كل هذا مطابق لما نعرفه من التاريخ

٢ — لعل الاصل « أخزى » . وهو يشير هنا الى انتصار قسطنطين على مكسنس عاهل رومية سنة ٣١٢ وانتصاره في ١٨ ايلول سنة ٣٢٤ على صهره ليشينيوس الذي جدد الاضطهاد على المسيحيين . وهذا يوافق كلامه في رسالته الى مكاريوس اسقف اورشليم ان اداة الآلام ظهرت على اثر تخلص المسيحيين من عدوهم الاكبر

٣ — ربي قسطنطين في جيش ديوقلتيانوس وجاليريوس . وكان الاضطهاد عن المسيحيين عاماً كل الامبراطورية

٤ — كان والده قسطنس كلوروس مبتعدًا عن عبادة الاوثان ويعبد « الاله الواحد » ويظهر عطفاً كبيرًا على المسيحيين خلافاً للامبراطرة زملائه

٥ — يعني هنا ان ديوقلتيانوس احبه لاجل حسنه وشجاعته وليس لاجل تباعده عن عبادة الاوثان لان ديوقلتيانوس كان وثنياً مضطهدًا الكنيسة

٦ — كان والده من اسرة رومانية عريقة في النسب . كابرول ٣ : ٢٦٢٢

٧ — جاءت على هذا الخطأ في كلتا النسختين

ايام صبايه في موضع يقال له قلرامح[1] . وكانوا حشدوا حشودًا كثيرًا جدا . الفرس اكثر من الروم[2] . لانهم كانوا اعطوا الاجره لسبعة امم حتى جاو[3] [٢٣٠] معهم لينصروهم[4] . وكانوا يقولوا انا ناخذ جميع كورة الرومانيه ونجعلهم لنا عبيدًا . وانهم صنعوا لهم الة لحفر المغاير والسراديب ليعبروا فيها في غد ذلك اليوم . وكانوا يقولوا اننا نقتل قسطنطين هذا الذي اخرب كورتنا كلها . ونمضي الى انطاكية وناخذ الملك وماله الى الاسر . وان قسطنطين فكر في نفسه . وقال من الذي يستطيع ان يحارب هذا الجمع الكبير . وللوقت قام وارسل الى الفرس وقال لهم . ليس نحارب بعضنا بعض حتى نعرض بعضنا بعض مع شعبنا[5] . وان كان لنا استطاعه للحرب معكم . والا اخلينا لكم كورتنا . ونمضي نحن . ولما سمعوا الفرس هذا الكلام فرحوا . وظنوا ان قسطنطين ذلّ وفزع منهم .

٣ – الرؤيا – وبينما هو نايم الملك قسطنطين ذات ليله وقلبه حزين وعيناه مفتوحتان وهو ينظر الى السما متفكر من حزنه . فتباعد عنه النوم . وبقي مستيقظ يتفكر . فبين ما هو كذلك . نظر الى السما فرآا صليب نور[6] . وكتابه

---

١ – ܩܠܪܐܡܣ ولعلها تل رامح . وقد اشبعنا الكلام في المقدمة عن هذا الحادث وظروفه . ولعله وقع لقسطنطين وهو يحارب في الشرق قبل تبوئه العرش لانه صحب ديوقلتيانوس في حرب فلسطين سنة ٣٠٣ . وفي الاساطير السريانيــة ان البرابرة احتشدوا على نهر الدانوب ܘܡ ܢܚܡܣ . فاصلحها الاب بدجان في مجموعته ܐܡܕ: ܡܥܣ اي نهر التيبر في رومية . انما الاسطورة اللاتينية القديمة الواردة في نسخة مخطوطات مكتبــة باريس رقم ٢٧٦١ وافقت الاساطير السريانية بقولها « في السنة السادسة لملك قسطنطين اجتمع البرابرة على نهر الدانوب » راجعها في مجموعة A. Holdar, *Inventio Sanctæ Crucis*, Lipsiæ, 1889

٢ – اي الرومان

٣ – وفي ح : ٤٣ « جاوو »

٤ – وفي ح : « ليعضدوهم »

٥ – وفي ح : « ليس نحاربكم حتى نعرض بعضنا ببعض مع شعبنا »

٦ – فالرؤيا لم تحصل اذًا في الحلم ولا امام الجيش كله، كما جاء في اوسابيوس، بل شاهدها قسطنطين وهو ممتد على فراشه يتفرس في السماء . والميمر القبطي يوافق هذا بقوله صفحة ١١ « وبات ليلته بنكد عظيم ولم ينام عجله . فلما كان كذلك تفرس في السماء وكواكبها ونجومها . فاظهر له الله علامة الصليب في جو السماء . بنجوم زاهرة نيرة مضيئة اكثر من ضو

حوله . هكذا على هذا المثال[١] . قوسطنطين بهذه [٢٣١] العلامه تغلب جميع اعداك[٢] . فاطلب الى الاه ابايك فانك تجده[٣] . فلما قام باكر تعجب وقال ترى لمن هذه العلامه . ولمن من الالهه تكون . وانه امر ان يدعوا له الكهنه وخبرا[٤] مملكته . وقال لهم من اجل الرويا والعلامه . الذي ابصرها واستخبر منهم . لمن هي من الالهه . فقال بعضهم انهـا لفقلاداريون[٥] القوي صاحب الغلبه في الحرب . لانه ظهر لك ليعطيك الغلبه ولهذا يجب ان ترفع له القرابين . وقال بعضهم انهـا لهرقليس[٦] ويجب ان ترفع لهم القرابين لانهما يريدوا ان يعطوك الغلبه في الحرب . ولم يدري قسطنطين ماذا يصنع . لانه كان نصراني ابن نصراني[٧] . ولم يكن يعرف كيف علامة الصليب . لانه لم كان في ذلك الزمان كنيسه مبنيه . ولا صليب ظاهر . ولم يكن قسطنطين هذا ولد الا في زمان هدم الكنايس . الزمان الذي كان فيه على النصارى الضنك والطرد[٨] .

النجوم » . وفي ح ٤٣ : « عيناه شاخصات الى السماء » . وفي س ١١ : « رأى الملك في نصف الليل ملاكاً من نور حاملاً صليباً من نور وعليه كتابة » فرواية ميمرنا تختلف عن الميمر القبطي في ما يختص بشكل الصليب وعن الاساطير في شكل الرؤيا

١ – وفي ح ٤٤ يزيد : « وصوتاً قايلاً له »

٢ – لا ذكر للكتابة في ق ١٣ بل ان اوسيبيوس الشيخ هو الذي قال لقسطنطين : « بهذه الاشارة تغلب اعداك » . وفي ح : « تغلب جميع الامم »

٣ – وفي ح فقرة دخيلة هذا نصها « فلما سمع هذا القول قال في نفسه ان هذا الصليب لامر عظيم وقال ليس هذا الصليب في السما الا مثاله على الارض . فلوقته صاح على امه الملكه هلانه وقال لها نظرت شيء عظيم قد اذهلني وفزعني . عند ذلك قالت امه هلانه الملكه وما هو الذي ابصرت . فقال لها ابصرت علامة الصليب في السما . فلما قام باكر تحيار وقال . . . »

٤ – ه ܘܚܒܪܐ بوضع نقطة تحت الهاء للترخيم وتمييزها عن كبراء

٥ – ܠܦܩܠܕܐܪܝܘܢ . قلنا ان اريون اله الحرب عند اليونان ، والدال للاضافة . اما ܦܩܠ فلم نعرف لها اصلاً ولا معنى

٦ – ܗܪܩܠܝܣ هو بلا شك مركولوس البطل او هرقل وقد ورد هنا على صيغته اليونانية

٧ – وفي ح ٤٥ : « ابن نصرانية » اشارة الى والدته التي على ما يقال لم تتنصر الا بعد اهتداء ابنها . انما سبق القول ان والده كان يعبد « الاله الواحد » ولا يبعد ان تكون زوجته مشاركة له في عقيدته هذه . ولا ننسى ان العماد كان يعطى عادة في سن الشبوبية

٨ – وفي ح ٤٥ : « ولم يكن قوسطنطين هذا ولد الا في زمان هدم الكنايس والضنك

٤ – النصر – وبينما هو مفكرًا في ذلك اقترب اليـه واحدًا[1] من الغلمان وكان سجيع [١٣٢] محب لله[2] . اسمه اوسيكينوس[3] . وكان قوي الايمان دين . ولم يقدر يظهر ذلك لانه كان زمان الطرد[4] . وهذا اقترب الى قسطنطين في السر وقال له . يا سيدي اسمع قول عبدك . هذا المثال الـذي رايته في السما . هو علا[مة] صليب السيد المسيح الذي صلبوه اليهود عليه[5] . وليس هو لاحد من الهة ديوقليتيانس الملـك . فلما قسطنطين هذا القول الـذي قاله اوسيكينوس . اجاب وقال . ان انا نلت الغلبه بهذا المثال الذي رايتـه . فانا اومن انه الاه ابايي[6]

وللوقت احضر رمحه الجيد وجعل عليه صليب ذهب وجعله قدامه[7] . وللوقت

والطرد على جميع النصارى . وهذا كان مومن بالمسيح في خفية هو ووالدته . » وهذه الجملة بلا شك دخيلة لانها تناقض ما قبلها مثل اكثر الفقر الزائدة في هذا النص

١ – جاءت على هذا الغلط في كلتا النسختين

٢ – وفي ح : « محب للمسيح » ولعله اصح

٣ – اوسيكينوس بنقطة فوق الكاف لمنع الترخيم ولعله اوسيبيوس . وفي ق ١٣ «اوسيفوس البندي الشيخ » . وفي س ١٢ ان قسطنطين علم من احبار النصارى ان هذه العلامة للمسيح فاستدعى اوسيبوس اسقف رومية وتلقى منه مبادئ النصرانية واعتمد منه . واوفده مع والدته للبحث عن خشبة الصليب . وفي ق انه اعتمد من سيبطروس بابا رومية وهو البابا سلفستروس خلف اوسيبيوس . راجع في علاقة قسطنطين بالبابـا سلفستروس معجم كابرول ٣ : ٢٦٨٣ وما يليه .

٤ – الاضطهاد الذي اعلنه ديوقلسيانوس على المسيحيين سنة ٣٠٣ والغاه قسطنطين سنة ٣١٣

٥ – هذه الجملة ساقطة في ح ٤٦

٦ – وفي ح : «ان نلت الغلبة بهذا المثال الذي رايته فانا اومن به انه اله ابايه» ونصنا اصح

٧ – وفي ح : هذه الفقرة الزائدة «ولما تم الميعاد الذي افرضه قسطنطين بينه وبين الفرس . عدوا البحر ليقاتلوه . فاعطاه الرب العز والنصراة في ذلك اليوم واهزموا كل جموع الفرس . » ونظن ان صاحب هذه الفقرة الدخيلة مصري لانه يسمي النهر بحرًا والمصريون يسمون النيل بحرًا واحيانًا البحر الاعظم تمييزًا له عن فروعه التي يدعون الواحد منها بحرًا . وهذا يدل على ان الناسخ او الذين املوا عليه اعتمدوا في بعض الفقرات الدخيلة على نسخ غير التي نقلوا عنها . وفي ق ١٦ : « بعد ان آمن قسطنطين بالسيد المسيح فرحت به والدته وامر ان يعمل مثال الصليب من ذهب ويُرفع على علم . ونقش ايضًا مثال الصليب على رأسه في تاجه وامر ان ينقش على آلة الحرب وعلى جميع العسكر »

انهزموا كل عساكر الفرس والذين معهم. وولّوا هاربين حتى انهم لم يجتمع منهم اثنين في طريق واحده . ولم يزل القتل فيهم الى ديارهم. وراا قوسطنطين بعينيه في الجو. جمع كثير وسيوفهم مسلوله في يديهم. وهم يقاتلوا الفرس[١]. فلما نال الغلبه بالصليب. رجع الى داخل المدينه. وجميع حاشيته وغلمانه ولم يعلم واحد منهم[٢]. وهذا الذي كان كما [٢٣٣] عرفونا الابا المعلّمين وكتبوهم لنا من البدى[٣].

٥ - فوز الكنيسة - وان الله الذي يقيم الملوك في المملكه. وهو الذي يقتلهم منها . اهلك ديوقليتيانوس واعما عينيه من اجل عبادته للاوثان . ونزع المملكه منه. وبارادة الله اتفقوا شعب روميه وانطاكيه[٤] واكابرهم واخذوا قوسطنطينوس واجلسوه على كرسي روميه . وجعلوا على راسه اكليل المملكه والتاج. ورفعوا اليه عطاياهم الهدايا وكانو يمجدوا الله من اجل رحمته وحلمه ومحبته للبشر[٥].

والوقت اطلق جميع الذين في الحبوس[٦] وكل مكان ووهب سلامه كثيره للكنيسه[٧] . وكتب رساله الى جميع لاساقفه الارثوذوكسيين بكلما كان لكي يصلّوا عنه وعن مملكته[٨]. ويكون الله له ساترًا ومعينًا. وكانت سلامه

١ - لعل هذا اصل ما جاء في اوسابيوس عن رؤيا الصليب التي ظهرت عند غروب الشمس لقسطنطين ولكل الجيش والتي خلطها المؤرخ مع الحلم. اما في ميمرنا فلا تناقض بين الحلم والرؤيا وقد اختص قسطنطين بكليهما . وفي ح : «وهم يقتلوا الفرس» ونصنا اصح

٢ - وفي ح : «ولم يتألم واحد منهم» اي لم يُقتل. ولعل قصده لم يُعلم احدًا بالرؤيا

٣ - وفي ح ٤٧ : «كما عرفنا المعلمين الكتاب العبرانيين وكتبوهم لنا من البدى» ولعله يشير الى مفكرة كتبها يوسف الرامي ونيقوديموس او كتبها احد المؤرخين عنهما

٤ - في ب شطب على اسم روميه وابدله بانطاكية ثم اعاده الى اصله فظهر مطموسًا

٥ - خلف قسطنطين اباه في سنة ٣٠٦ على حكم غاليا وبريطانيا ودخل رومية بعد انتصاره على مكسنس عاهلها في ٢٩ تشرين الاول سنة ٣١٢ كما سبق القول فخرج الشيوخ لاستقباله وقدموا له تمثاله مصوغًا بالذهب وترسًا واكليلًا. راجع معجم كابرول ٣ : ٢٦٣٧

٦ - من المسيحيين

٧ - كان قسطنطين اصدر في سنة ٣١١ امرًا بحرية الاديان . وبعد استيلائه على ايطاليا سنة ٣١٢ اصدر امرًا آخر باعادة مسلوبات المسيحيين. وفي شهر شباط سنة ٣١٣ اتفق مع صهره لشينيوس على الغاء الاضطهاد في الامبراطورية كلها وهو الامر المعروف «بمنشور ميلان» édit de Milan . راجع كابرول ٣ : ٢٦٢٨ و٢٦٦٥ و٢٦٧٢

٨ - لا نعرف الى اي رسالة يشير صاحب الميمر

عظيمه ونعمه محيطه به من كل ناحيه[١] . واعطا الله للكنايس على ايامه خيرات عظيمه . وجميع المومنين امرهم ان يثبتوا كنايس المجد على زمان مملكته . وولد له ابناً . ودعي اسمه قسطنطين على اسمه[٢] ومن بعد [٢٣٤] هذا ولد له ولدًا اخر اسمه قوسطنطين[٣] . ولما كبروا قليل جعل اكليل المملكة والتاج عليهم[٤] .

وسمع قوسطنطين الملك بان الناس يعبدون الاوثان في اماكن كثيره . فارسل امره الى كل مدينه بان يغلقوا ابواب البرابي . وياخذوا مفاتيحها ويعطوهم لقوامة الكنايس بكل مكان . وانهم وجدوا في البرابي اموال عظيمه . فارسلوهم[٥] لبنيان الكنايس بكل مكان كما امر الملك[٦] .

٨ — البحث عن الصلب

١ — سؤال اليهود — وللوقت قام قوسطنطينوس الملك بسرعه[٧] . واخذ معه

---

١ — توفق كثيرًا في ملكه واقتصر على كل نواحيه واعدائه واصبح امبراطور الشرق والغرب . راجع ترجمته لاوسابيوس معاصره في مجموعة الاباء اليونان للاب مين مج ٢٠ ولثاودوريطوس مج ٨٢ ولسقراط مج ٦٧ . راجع مختصرها في معجم كابرول ٣ : ٢٦٣٤ — ٢٦٧٤

٢ — كان يُدعى قسطنطين الصغير او قسطنطين الثاني . رفعه الى مقام القياصرة سنة ٣١٧ مع ابنه الاكبر كريسبوس المولود له من خليلته مينرفينا قبل زواجه الشرعي من فاوستا . كابرول ٣ : ٢٦٢٩

٣ — قسطنس الاول ولد سنة ٣٢٠ كابرول ٣ : ٢٦٢٠ وله ولد آخر باسم قسطنس الثاني رقاه الى مصاف القياصرة سنة ٣٢٤ كابرول ٣ : ٢٦٢١

٤ — في ١٧ ايلول سنة ٣١٠ قسم قسطنطين الملك بين اولاده واولاد اخته . فاقطع قسطنطين الثاني غاليا وبريطانيا واسبانيا . وقسطنس الاول ايطاليا وافريقيا وبلاد اليونان وقسطنس الثاني بلاد الشرق اعني اسيا وسوريا ومصر . كابرول ٣ : ٢٦٢٤

٥ — الهاء والميم مكشوفتان فاخذناها من ح .

٦ — نفذ هذا الامر تدريجاً . وفي سنة ٣٣١ اقفل في لبنان معبدي الزهرة في بعلبك وفي افقا جنوب العاقوره ، كما سبق القول . وفي هذه السنة بنى في الشرق كنائس عديدة منها كنيسة انطاكية . كابرول ٣ : ٢٦٢٢

٧ — وفي ح ٤٨ فقرة طويلة دخيلة اليك نصها : « وللوقت قام قسطنطين الملك بسرعة

والدته وزوجته[1] واخته العذري . واواني عظيمة وغلمان كثير وعبيد . واساقفه قديسين . ودخل الى اورشليم . وهم معه . وامر بان ياتوا اليه بعظما اليهود . وطلب منهم قايل . انا اريد ان تعرّفوني موضع خشبه الصليب . الذي رفع عليها يسوع[2] وموضع القبر الذي وضع جسده فيه . حتى ابني له موضع كاستحقاقه [في] مملكتي[3] . فقالوا له اليهود يا سيدنا الملك . هوذا زمان كثير من حيث صُلب يسوع . والآن اكثر من سته اجيال لهذا الامر . من حين اخرب اسفسيانوس الملك هذه المدينه[٢٣٥] واحرقها بالنار . وقتل ابائنا . وامر الذين بقوا منهم[4] . لانهم لم يبقا منهم الا قليل . فارسلهم الى ارض مصر . وهوذا نحن البقيه عبيدًا لملك الروم الى الان . فقال لهم الملك قسطنطين اذ لم تعرفوني موضع صُلب فيه الرب والا لكم[5] عقوبةً عظيمه . وتعرّفوني ايضا موضع خشبة الصليب . وموضعً ترك جسد الرب فيه .

٢ – علماء الناموس – فاجابوه اليهود قايلين يا سيّدنا الملك . اطلب الذين يعرفون الناموس ويفهموه والروسا الذين فيهم . وهم يعرّفوك الذي تطلبه .

وقال لامه ماذا نصنع في امر الصليب امضي بنا نطلبه في اورشليم في موضع صُلب المسيح . وان الصليب يخلصنا من جميع الشدايد . وانا عارف انه يخلص الكنيسه وكل اولادها من الشيطان وجميع حياله . وانا باعلم فى هذا الصليب الذي انا طالبه فهو يجب لي القوه على كل اعداي . ومبارك الذي صُلب على [٦٩] هذا الصليب . فلما سمعت ام قسطنطين الملك ارسلت منادي ينادي في كل مدينة رومية . ويقول يا معاشر المؤمنين كل من يخرج ويمضي مع الملك وامه هلانه الى اورشليم في طلب الصليب المعظم . فلما تم المناذا اجتمع الى المالكه هلانه خلايقاً عظيمه في طلب الصليب المقدس . فلما طلبوا المسير الى بيت المقدس امر الملك ان يأخذوا اخته العذرى وزوجته . . . »

١ – فاوستا Fausta تزوجها سنة ٣٠٦ . وشت بابنه كريبوس فقتله . ولما علم ببراءته قتلها سنة ٣٢٦ . كابرول ٣ : ٢٦٢٢

٢ – وفي ح زيادة « والحربة والاكليل والشوك والاكفان الذي كانت عليه »

٣ – سقطت في ت ، وفي ح : «لمملكتي »

٤ – لعله يعني بالجيل عمر الانسان . وفي س : « اكثر من مايتي سنة مضت على هذا ونحن صغاراً » .

٥ – في ح : « فان لكم »

لان فينا قوم ليس يعرفون هذه المدينه . كيف يعرفون الذي يطلبه الملك . فقال عرفوني . من هم عُلما الناموس . وانا اطلقكم تمضوا الى منـازلكم بسلام . وانهم جابوا اليه سبعه رجال قايلين هولاي هم الذين يعرفون الناموس جيد . وهم الروسا[١] . وهذه اساميهم . يهوذا . بنيامين . افيصا . ادوث . يسوا[٢] . شالوم[٣] . يصون[٤] . فاجاب وقال لهم ان اردتم ان تحيون بحياه هـذه الدنيا والاخره ايضا . فقوموا بسرعه واوروني موضع خشبة[٥] صليب سيـدي يسوع المسيح . والقبر الذي وضع جسده فيه . [٢٣٦] وان لم تعرّفوني . فاني اهلك اجسادكم بعقوبة شديده وارواحكم يحرقها الرب بنارً لا تطفا . فاجابه واحد منهم اسمه بنيامين . وقال يعيش سيّدى الملك . امرني اشرح اـك الذي انا اعرفه . اما هذه المدينه فانها اخربت ثلاث دفوع من ملوك الروم[٦] . وبعض اباي قتلوهم . وبعض منهم مضوا الى الاسر الى ارض مصر . وهم هناك الى الان ولم يعودوا الى منازلهم دفعةً اخرى . وان كان بقي من جنسنا بقيه فهوذا هم في هذه المـدينه . ونحن تحت رقّ العبوديه لملوك الروم . ونعطيهم الخراج . وليس نتفرّغ لمعرفـة هذا الاشيا كلها . والبحث عنها . بل نحن نعيش على سنّة ابابنا . وهذا الامر الذي يطلبه الملك ليس نعرفه .

٣ – جوذا – فلما سمع الملك قوسطنطين ذلك القول . امر ان يطرحوا في

---

١ – وفي س ان الملكة هيلانه هي التي افتتحت التحقيق مع اليهود فـاختاروا الفًا من علمائهم . فقرعتهم على قلة ايمانهم وطلبت منهم ان يدلوها على مكان الصليب فاختـاروا منهم ثلاثين . والاختلاف بين الاساطير وميمرنا دليل على انه غير مأخوذ عنها

٢ – اي يسوع لاحظ كتابة الاسم خلوًا من العين . وهو دليل على الترجمة عن اليونانيـة التي ينقصها هذا الحرف

٣ – في ح ٥١ ܝܫܘܐ وقد كتبها ب اولًا مثله ثم وضع الالف مكان الواو . وهو من دلائل نسخ الاثنين عن اصل واحد

٤ – تفرد ميمرنا بذكر اسماء هولاء العلماء السبعة

٥ – في ح : « فقوموا بسرعه واوروني خشبة » ونصنا اصح

٦ – انتزعها بومبيوس سنة ٦٨ ق . ب من المكابيين . وخربها طيطوس في عهد والـده اسبيانوس سنة ٧٠ م . ثم جاء ادريانوس سنة ١٣١ فمحا آثارها

جب ليس فيه ما · ولا يعطوا خبز · ولا ما حتى يموتون · ففعل فيهم كذلك · ولما كان بعد سبعة ايام وهم اسفل الجب · صرخوا قايلين · ليامر سيدنا الملك بطلوعنا الى فوق ونحن نعرفه بكل ما يطلبه · فامر ان يطلعوهم الى فوق[١] · اجاب واحد منهم اسمه يهوذا · [٢٣٧] وقال ليامر الملك يعطوني الما حتى اشرب · وانا اعرفك كلما تطلب[٢] · فعند ذلك امر الملك بان ياتوا بخبز وما · فاطعموهم واسقوهم · فلما تقوّا قلب يهوذا بالاكل صرخ قايلًا · يا سيدي الملك المحب لله وللناس · داوود ابينا يقول بالروح الذي سمعنا عرّفناهم الذي قالوا لنا ابانا ان[٣] لم تخفي عن ابناهم الى جيل بعد جيل[٤] · قال ابي سمعان ان ابي يهوذا حدّثني[٥] · ان في الزمان الذي صُلب فيه يسوع لما عرفوا اليهود انه قام من بين الاموات اجتمعوا براي واحد · واعطوا فضه عظيمه للحراس قايلين لهم [قولوا][٦] ان تلاميذه جاو ليلًا وسرقوه ونحن نيام ولم نعلم · فابانا كذبوا على قيامة الرب من اجل عمًا قلوبهم · وبعد هذا ظهرت قوات عظيمه في مقبرة

---

١ – وفي ح ٥٢ هذه الزيادة : «فلما اطلعوهم فاذا هم قد تغيرت اجسادهم من برودة ذلك البير لانه كان عميق جدا الى اسفل الارض» . ولا ضرورة لهذا الشرح

٢ – في س ان الملكة هيلانه لما ضايقت العلماء الخمسمائة امر اليهم يهوذا انه يعرف مكان الجلجلة فقدموه لها . ولما سألته أبى ان يبوح بشيء فطرحته وحده في الجب . فانت ترى الفرق بين هذه الاساطير وميمرنا . اما الميمر القبطي فيقترب منه بقوله ان اليهود قدموا لقسطنطين سبعة من علمائهم أكبرهم يهوذا . وبعد ان انكروا معرفة مكان الجلجلة وطرحهم في الجب قدموا له يهوذا المذكور قايلين : هذا الشيخ أكبر سنًّا منا وعنده الكتب والتواريخ .

٣ – لعل الاصل «اننا»

٤ – وفي ح : «الذي سمعناهم عرفناهم . الذي قالوا لنا ابانا لم يخفوا عن ابناهم الى جيل آخر»

٥ – في س ١٥ : «حدثني والدي سمعان عن الكاهن زكي (الذي هو نيقوديموس ووالد اسطفانوس اول الشهدا) ان المسيح صُلب ظلماً وان اسطفانوس رُجم بغير ذنب موجب» . وفي س : ١٦٦٤٤ من المتحف البريطاني : «سمعت ابي سمعان يقول نقلًا عن جدي زكي . . .» فالاساطير تسمي جد يهوذا «زكي» وميمرنا يسميه يهوذا

٦ – عن ح ٥٣ وقد سقطت في نسختنا

يسوع حتى انه اقام الموتى والمقعدين يمشون . واخرج الشياطين من الناس . فمن اجل هذه حسدوه اليهود ونادوا بهذا القول الذي فكروه . قايلين . كل اليهود الذي باورشليم وما حواها[١] اذا كنسوا تراب يجعلوه على مقبره يسوع . وكانوا يصنعوا هذا زمان طويل الى ان جا [٢٣٨] اسبسيانوس ملك الروم[٢] . وقتل جنسنا[٣] . ولم يزالوا يفعلوا هكذا حتى عاد تل عظيم .

٤ – الجلجلة – ولك الدليل عن هذا في اناجيل يسوع المسيح . يدل باي موضع جُعل فيه . وللوقت امر الملك بان ياتى له بالاناجيل . فقرا فيهم فلم يجد فيهم شي سوى انه يقول انهم مضو به الى موضع الجلجلــه الذي هو موضع الاقرانيون[٤] . وصُلب هناك . والقبر ايضا الذي وضع جسده فيه هناك[٥] . فاجاب الملك وقال ليهوذا عرّفني موضع الجلجلــه . وانا اطلق سراحك . فاجاب يهوذا وقال . ان راا سيدي الملك يتعنا ويجي معي فانا اوريه الجلجله الذي هي موضع الاقرانيون .

وللوقت قام الملك والمجبه لله والدتــه هلانه . وجميع عظايــه ومضى بهم الى الجلجله . وطلع بهم الى تــل عالي[٦] على كل المدينه قــدر ماية

---

١ – وردت هكذا في كلتا النسختين ، ونرجح ان الاصل « وما حولها »

٢ – ملك من سنة ٦٩ حتى ٧٩

٣ – وفي ح : « قتل من جنسنا ناساً كثير »

٤ – قلنا انها كلمة يونانية κρανίον ومعناها الجمجمة . وقد وردت في اناجيل متى ويوحنا ومرقوس . ففي متى ٢٧ : ٣٣ « ولما بلغوا الى مكان يسمّى الجلجلة الذي هو موضع الجمجمة » . وفي مرقس ١٥ : ٢٢ « وأتوا به الى موضع الجلجلة الذي تفسيره موضع الجمجمة » وفي يوحنا ١٩ : ١٧ « فخرج وهو حامل صليبه الى الموضع المسمى الجمجمة وبالعبرانية يسمى الجلجلة » . فانت ترى ان المترجم السرياني ترك كلمة جمجمة على اصلها اليوناني وجاء المعرب فاضاف اليها ال التعريف مع انها نحملها في اليونانية

٥ – وفي ح ٥٤ : هذه الزيادة « والصليب داخل القبر » ولا ذكر للصليب في الانجيل ، فهي اذاً دخيلة كغيرها من الزيادات الخاصة بهذا النص

٦ – في ح عال حال وكانت هكذا في نصنا ، فكشط الناسخ السن الثانية من حرف « وضع مكانها ياء فصارت عالي حالي وهو من دلائل نسخ الاثنين عن اصل ، واحد كما قدمنا

ذراع[١] . يجي قدره عشرين فدان[٢] . فقال يهوذا للملك هذه هي الجاجله على قدر لغتك . وعلى قدر لساننا نحن العبرانيين كافاثا[٣] . وان قوسطنطين الملك لما راا ذلك التل العظيم وذلك الموضع القفر . تلف جدا . فلما راه يهوذا . وهو حزين القلب . اجاب وقال له [٢٣٩] لا يحزن سيّدي الملك فان الاستطاعه لتاجك ان يكون الذي طلبته . ويتم ارادتك . من اجل ان جنسنا هم الذي صنعوا هذه الشرور . ارسل الآن في مملكتك كلها بان ياخذوا جميع اليهود[٤] . ويأتوا بهم الى ها هنا . هم وبهايمهم وجميع الة الحتر معهم[٥] . لان ابابنا هم الذي ردموا . والابنا يرفعوا . فابابنا اكلوا الحصرم . واسنان اولادهم ضرسوا[٦] .

٥ - رفع الردم - وان هذا الراي وافق الملك وعظمايه . وللوقت كتب الى جميع مملكته قايلًا . هكذا انا قسطنطين المرتبط[٧] تحت رجلي سيدي يسوع المسيح . الاله العظيم الحقاني[٨] . اكتب الى عُظما المدن بكل مكان وجميع بلادهم كل مدينه وقريه . يكون فيها عشره رجال الذي تحت سلطان مملكتي الى ان تاخذوا جميع اليهود السكان عندكم وترسلوهم[٩] الى اورشليم . ومعهم

---

١ - هذا لا يعني ان الردم كان مئة ذراع بل ان التل كان يعلو على المدينة مئة ذراع .

٢ - قياس للمساحة مستعمل في القطر المصري ولم يدخل الى لبنان الا بعد الاحتلال المصري سنة ١٨٣١ وهو نادر . واللبنانيون حتى الان يعنون بالفدان الثور . فوجودها في النص دليل على تعريبه في القطر المصري كما قلنا

٣ - عن السريانية كُلْفُلْثا اعني الصخرة وتدعى ايضًا في العبرانية [illegible] ومنها جاءت اللفظة جلجلة العربية وGolgotha في اللغات الغربية . راجع معجم Vigouroux عند هذه الكلمة . لاحظ ان كتابتها في العربية مخالف للفظها انما مطابق لكتابتها في السريانية . وهو من دلائل الترجمة من هذه اللغة كما مر بك

٤ - وفي ح ٥٥ : « بان يقبضوا على جميع اليهود نصبٌ عليهم »

٥ - وفي ح يزيد : « ومعادير واياك ومجارف » وهي دخيلة على الارجح

٦ - مثل شرقي معناه « ان الابناء يتحملون تبعة مساوئ آبائهم » ولعله دخيل هنا

٧ - وفي ح : « المرتفض والمحترم » وهو خطأ

٨ - هذا التعبير موافق لعهد الوثنية . وصيغة المنشور موافقة للاوامر الرسمية في ذاك العهد

٩ - وفي ح : « غصبًا وكسرًا » ولعلها دخيلة

بهايمهم وجميع الة الحفر .ومن اخفا واحد منهم او ستر عليه اهلكته هو واهل بيته[١] من العقوبه . فلما اخذوا كتب الملك[٢] . قبضوا على جميع اليهود بكل مكان . وارسلوهم الى اورشليم[٣] . [٢٤٠] وجميع الة الحفر معهم . فجاوا من كل كوره الى اورشليم . وهم خلق كثير مثل نجوم السما[٤] . وان قسطنطين الملك اقام عليهم وُكلا يكونوا ناظرين عليهم فيما يصنعوه . وترك في اورشليم من الغلمان الفين .ومن الروسا والمقدمين والولاة قوم اخر . ليحثوا اليهود كلهم على العمل في النهار والليل . حتى يكمّلوا ارادة الملك قسطنطين . وخلّف عند والدته اساقفة قديسين . وهم اثناسيوس رئيس اساقفة انطاكيه. وانبا يوسف رئيس اساقفة اورشليم الذي هو الرابعشر الذي جلس في اورشليم من بعد التلاميذ في الختان[٥] . وانا ايضا كيريللوس انا واحد منهم[٦] لان المسيح الذي رحمني . ودخل[٧] بي الى البيعة وبشّرت باسمه المقدس.

٩ — العثور على الصليب

١ – ظهور القبر – وقام الملك المحب لله ومضى الى روميه . من اجل اهتمام المملكه . وان الملكه هلانه . دعت عظما اليهود وقالت لهم . كملوا الذي

---

١ – وفي ح : « لا يأمن ما يجرا عليه هو واهل بيته »

٢ – في ح ٥٦ : « فلما نفذت كتب الملك »

٣ – وفي ح : « وارسلوهم الى الملك الى اورشليم »

٤ – نظن ان الامر كان مقتصرًا على فلسطين

٥ – راجع ما قلناه في المقدمة في هذين الاسقفين

٦ – اي احد اساقفة اورشليم وليس احد شاهدي الاكتشاف . لانه سُقف على اورشليم سنة ٣٤٨ كما قلنا . وهذا تصريح واضح انه صاحب الميمر .

٧ – لعل واو العطف هنا خطأ . الا اذا اراد القول « ان المسيح هو الذي رحمني ودخل بي » فسقطت كلمة « هو » في النسخ

اراد الملك وامره . ليلا تكونوا مستحقين الموت[١] . وكانوا الغلمان يحثوهم[٢] النهار والليل لان [٢٤١] قول الملك كان قوي جداً[٣] . وكانوا يريدوا ان يكملوا امره . وكان اوّل يوم بدو بالعمل فيه هوذا قد اعلمناه . وهو الثاني عشر من شهر مارديوس[٤] الذي هو برمهات[٥] . ولم يزالوا يعملوا فيه الى يوم الثالث عشر من شهر توت[٦] . فظهرت راس المقبره . فعرّفوا الملكه قايلين اننا قد وجدنا مقبرة المخلّص . وللوقت قامت مسرعة والاساقفة معها . فجاو لينظروا القبر . فلما راوه . خرّوا وسجدوا عليه[٧] واذا بنور عظيم قد اشرق عليه كمثل البرق . واخذ يهوذا طوريه[٨] وجا الى جانب الحايط من شرقي المقبره . ومعه جميع الاساقفه . فحفروا عند ذلك فوجدوا حجر عظيماً[٩] . فدحرجوه . وللوقت ظهر فم القبر . وكان الوقت قد امسا ذلك اليوم . فضوا ولم يدخلوا للغد . وكان هناك رقود في تلك الليلة جمع كثير من مومنين من الشعب . وكانوا ينظروا النور يلمع كلهيب النار . الى ان اشرق نور الصباح[١٠] .

---

١ – انت ترى ان الملكة هيلانة نابت عن ابنها في الاشراف على رفع الردم وانه هو الذي فتح التحقيق ونظم العمل ، فليس لها هنا الدور الاول كما في الاساطير السريانية

٢ – وفي ح ٥٧ يزيد : « ويجينوهم » ولا داع لهذه الزيادة

٣ – وفي ح : « لان قال الملك لا ترحموهم ابدًا وكانوا يريدوا . . . »

٤ – اي شهر اذار عن اليونانية μάρτιος وهو من آثار الاصل اليوناني

٥ – اسم الشهر عند الاقباط . وهو كما قلنا من دلائل التعريب في القطر المصري

٦ – في ح : « الرابعشر من شهر توت الذي هو ايلول » فقوله الرابعشر خطأ واضافة اسم الشهر الموافق له عند اللبنانيين والحلبيين زيادة من الناسخ

٧ – وفي ح : « ساجدين له »

٨ – وفي ح : « طوريه اعني معدور » واسم طوريه من دلائل تعريب الميمر في القطر المصري

٩ – اي الحجر الذي كان يسدّ باب مغارة القبر . وقوله حائط المقبرة يدل على ان جزءًا منها كان مبنياً الا اذا عنى جانباً منها . ولا يعقل ان تكون كل هذه التفاصيل مخترعة وهي تدل على معرفة صاحب الميمر بهيئة القبر المقدس والقبور في ذاك العهد

١٠ – كل هذه التفاصيل الواردة في الصفحات ٢٣٤ – ٢٤١ من مجيء قسطنطين والبحث

٢ – العثور على الصلبان – فلما ان اشرق الصبح قامت الملكه[١] . وبكرت الى القبر ومعها الاساقفة وقوم من المومنين[٢] من الشعب . ودخلوا الى القبر . ومعهم بخور كثير طيب وقناديل موقوده مملوه[٣] . وبينما [٢٤٢] هم داخل القبر . تطلعوا فراو ثلاثه صلبان موضوعـه[٤] مع بعضهم بعض وعليهم كتاب رق . فلما نظفوا الموضع ودخلوا الاساقفه اخذوا الكتاب الرق . فوجدوه مكتوب في العبراني[٥] . فاعطوه ليهوذا يقراه لهم . والشعب كلهم يسمعون[٦] . وهكذا مكتوب فيه . انا يوسف الرامي . ونيقوديموس رفعنا صليب يسوع واللصين[٧] من موضع الاقرانيون ووضعناهم في القبر[٨] الذي فيه جسد يسوع الذي قام من الاموات[٩] . وعملنا هذا في الليل من اجل خوف اليهود . ولم يعلم احد بالذي صنعناه . لان اليهود كانوا[؟] توامروا بان يحرقوا صليب يسوع .

عن مكان القبر والصليب ورفع الردم غير مذكورة في الاساطير السريانية . فهي تكتفي بقولها صفحة ٢١ ان جوذا ذهب مع بعض المؤمنين الى مكان الجلجلة وصلى طويلاً وقال « اذا كان الله يريد ان يملك ابن مريم واذا كان ابن مريم هو المسيح فلتصعد رائحة بخور . ثم شمّر عن حقويه ومسك فأساً وحفر فوجد ثلاث صلبان » فعل ذلك بأمر الملكة . والاساطير تغفل عن ذكر تدخل قسطنطين ولا تذكر شيئاً عن ظهور القبر . فانت ترى ان الفرق واسع بينها وبين ميمرنا فهو لم يأخذ عنها مع انها ترجع الى القرن السادس . اما الميمر القبطي فقد سقط منه كل ما جاء عن الحفر واختصر البقية

١ – وفي ح ٥٨ : « الى ان اشرق الصباح قامت الملكة هيلانه » دون ان يردد كلمة الاشراق

٢ – وفي ح : « وقوم اخر من المومنين »

٣ – وفي ح : « مملوة بخوراً »

٤ – كل هذا يؤيد ما قلناه انه يعني مغارة القبر وان الصلبان وُجدت فيها لا داخل الناووس لانه لا يسعها

٥ – وفي ح : « في خط عبراني »

٦ – لم يكن الشعب يفهم الا الارامية التي تعلمها في بابل . فلعل الكتاب كان بلغة ارامية

٧ – هذا يؤيد ما قلناه سابقاً عن صليب « اللص » ان صحته « اللصين »

٨ – صُلب المسيح على الجلجلة على رمية حجر من القبر الذي دُفن فيه كما يشهد سائح بوردو الذي سافر الى اورشليم سنة ٣٣٣ . راجع كابرول ٣ : ٢١٢٥

٩ – اي ان القبر كان فارغاً لان المسيح قام من بين الاموات

ومن اجل هذا السبب انقلناهم من موضع الاقرانيون . ووضعناهم في موضع كان جسد الرب يسوع فيه . وهذا الصليب الذي عليه الـلوح المكتوب هو صليب يسوع المسيح[1] .

٣ – اكرام الصليب – وان الاساقفه لما سمعوا ذلك القول . اخذوا الصليب . واعتنقوه وقبلوه وجاوا به وهم حاملوه الى ان دفعوه للملكه . وانها لما اخذته اعتنقته . وجعلته في حضنها وقت طويل . وهي تقبله . وعندها جماعه من عظما دولتها ومن المومنين [٢٤٣] وانهـا البسته غفاره كانت للملك قسطنطين[2] .

---

١ – فصليب السيد المسيح عُرف اذًا من الكتابة . ولا ذكر هنا للعجائب المدوّنة في الاساطير التي استعانوا بها لمعرفة الصليب الحقيقي بين الصلبان الثلاثة فاعترض عليها النقدة لتناقضها . فقد ذكرت الاساطير ان الصليب عرف من اقامة شاب ميت مرت جنازته صدفة من هناك الساعة التاسعة وان الشيطان الذي كان ساكنًا في احد الحضور صرخ متهددًا جوذا بقوله : « اني غلبتُ العالم بيهوذا الاول وغُلبت الان بيهوذا الثاني . فانا ذاهب الى ملك آخر يقتص منك يا جوذا » مشيرًا الى استشهاده بعدئذٍ باسم قرياقوس

وفي ح ٥٩ : بعد ان ذكر ان الصليب الحقيقي يُعرف من الكتابة التي عليـه جاء بفقرة دخيلة اخذها عن نسخة لا نعرفها وحشرها بعد هذا الكلام واليك نصها : « ولكم دليل بذلك ميتًا بنوضعوا عليه فاينا ما كان منهم صليب المسيح فهو يحيي الميت ويقوم من ساعته . وعندما سمعوا هذا الكلام قالوا من اين لنا ميت في هذا الوقت . فعند ذلـك اجاب جوذا وقـال للماكة هلانة يا اجا الست الجليلة اعلك الى امرًا وهوَ ربح فقالت له الملكه ومـا هو اجا الشيخ قال ان في نهار امس مات في هذه المدينة ميت قاري في اخراجه من القبر واحضريه الى ها هنا بين هذه الجموع واطرحي عليه الصليب الاول والثاني والثالث فاينا ما كان صليب المسيح فهو يقيم الميت . فلما سمعت من الشيخ اليهودي هذا القول ارسلت الاجنـاد [٦٠] بطلب الميت والشيخ كان معهم يورجم قبر ذلـك الميت . فلما وصلوا الى القبر فحفروه واخرجوا ميت واخذوه الى عند الصلبان وشالوا الاول ووضعوه على ذلك الميت فلم يعمل معه شي . وعزلوه معه ؟ (كلمة مكشوطة لم يبقَ منها سوى اطراف الحروف) ووضعوا الثاني على الميت وحين وضعوه اختلج وتحرك . فلما ابصرته الملكة هلانه اخذته وقبلته وحطته . وتعجبوا الخلق كلهم من العجب الذي نظروا في ذلك الميت انه كان يختلج ويتحرك من بعد ما كان له في القبر يوم ونصف . ولم يقدر الميت ان يقوم قايم فلوقتهم شالوا الثالث وطرحوه على الميت وللوقت والساعه نهض ذلك الميت وجلس جالس بين ذلك الخلق . وان الاساقفة لما نظروا هذا اخذوا الصليب ... »

٢ – وفي ح ٦٠ : حشر الناسخ فقرة اخرى دخيلة لا تقل سخافـة عن الاولى لم نعلم

وامرت يُلبس حلل حسنه . وامرت ايضا ان يكون ملفوف عندهـا الى ان تكتب للملـك بكلما كان . وامرت الغلمان بان يحثّوا على اليهود الى ان ينظّفوا المواضع جيدًا. وامرت بان يحصوا جميع الذين كانوا يعملوا في التراب . فوجدوا عدتهم ثلاثة آلاف وماية رجل من العبرانيين[1] .

٦ – تبشير قسطنطين – وكتبت هلانه الملكه لابنهـا قايله . طوباك والخير

مصدرها . واليك نصها الحرفي : « وصارت توضعه على عينها وتسجد له [٦١] وتقول له فيك يكون لنا القوة على جميع اعدانا . وفيك يبعد الشيطان وجميع حياله عنا . وبدت ذلـك الاعوام يتباركوا منه . ورجع في ذلك اليوم خلقًا كثير من اليهود الى الله تبـارك اسمه . وقالوا نحن مومنين بك يا يسوع ابن الله الذي اظهرت لنا صليبك المبارك في هذا الوقت . فلما تباركوا من الصليب المعظم عند ذلك امرت الملكة لجميع الاجناد والمقـدمين والعساكر ان يجلسوا ولا احد يتكلم بكلمة حتى اسايل هـذا الرجل الذي كان في تلك الـدنيا وكيف حالها . عند ذلك قالت له الملكة ايها الرجل اخبرنا ايش كنت تبصر من قبـل بجيك هـذا الصليب وقوته . عند ذلك قال لها الرجل ايها الست القويه اني كنت في هوته عظيمه وليس كان لي راحة في هذا اليوم ونصف الذي بت في القبر . وفي تلك الهوته عوالم كثيره . وناس معلقين بالسنتهم في لهيب النـار . ومنهم من هو مربوط اليدين والرجلين وهو ملقى في قعر تلك الهوته ولما كنت انا في تلك الهوته ولم كنت حسّ ولا ادري الا وقد ابرق علينا برق عظيم فسقطوا الكل على وجوهم [٦٢] ايضا وخمدت عنا النار وما رايت الا وشي خطفني من بين ذلك النار حتى حطني في هذا الموضع . وما كنا في تلك الهوته الا من طغيان اجاتنا حين صلبوا المسيح ابن الله . وكل اليهود مطروحين في تلك الهوته العظيمه وصوتٌ يقول ابين اقول لكم لان لم يكون عليكم رحمة الله طول الدهور . قالت له الملكه وما بالك فزعان . فقال لها من ما ابصرته من العـذاب المرهوب . ولكني انـا مومن بايسوع المسيح ابن الله الحي الازلي الذي صلب وقام بعد اليوم الثالث انا مومن به انه الاه الحق الاه الاحيـا والاموات والاه الخلايق كلها . وبعد هذا القول امرت الملكه هلانه ان يلبسوا الصليب . . . »

١ – وفي الاساطير صفحة ١٢ ان عدد اليهود السـاكنين في ضواحي اورشليم كان ثلاثـة الاف . ولم يكن منهم احد في المدينه لانها كانت خرابًا .

ولاحظ ان المسيحيين الحاضرين لم يعنوا بتكريم القبر كما اكرموا الصليب الـذي سفك المسيح دمه عليه . ولعل هذا سبب تهنئة قسطنطين لمكاريوس اسقف اورشليم باكتشاف علامـة او اداة الالام ، اي الصليب والمسامير ، وسكوته عن ذكر القبر ذكرًا خاصًا . لان اكتشاف الصلب كان يعني اكتشاف القبر ، وكان يفوقه قيمة لدى المؤمنين .

يكون لك[1] . طلبت يا ابني الحبيب فوجدت . وقرعت ففتح لك باب قيامة الرب[2] . ووجدت الذي العالم كله لا يستحقه . اعني الصليب المقدس . صليب سيدنا يسوع المسيح . طوباك يا ابني الحبيب . لانك تركت عنك اهتمام العالم . وقنياته الباطله . حتى وجدت ما هو افضل من جميع الذخاير . وجميع الاحجار والجواهر النفيسه . اتعنا يا ابني وتعال لتعاين لابس الاله . ايضاً هو الذي الاله البسه[3] . فاذا رايته في حسنه وجماله . شبابك يتجدد مثل النسر[4] . تعنا يا ابني وتعال لترتل وتسجد وتقبل الصليب الذي رايته باعلان [٢٤٩] وهو يعطيك الغلبه في الحروب كلها[5] .

٥ – سجوده للصليب – فلما اخذ قوسطنطين الكتاب وقراه . وعلم انه قد وجد الذي بيطلبه عند ذلك فرح بسره . وقام بسرعه وجا الى اورشليم . فلما سمعت والدته والاساقفه ان الملك اتا . اخذوا الصليب المجيد والبسوه غفارة الملك وحللاً فاخره . ورفعوه على بغله . واتو به اليه . وان الملك لما راه نزل من على مركبته واخذه وجعله في حضنه . وبكا عليه . ورفع عينيه الى السما . وقال اني رايت الرب اله اباي اليوم في سفر الجسد يصنع عجايب عظيمه بالذي استراح عليه اعني الصليب معطي الحياه[6] .

---

١ – تركيب غير عربي . وفي ح ١٣ يزيد : « لان الذي طلبته من الرب وهبه لك »

٢ – اي باب المقبرة الذي خرج منه المسيح لما قام

٣ – تركيب غريب . ولعله يريد الذي لبسه الاله اي امتد عليه

٤ – ولد قسطنطين في سنة ٢٨٠ او قبيلها فيكون في السادسة والاربعين حين اكتشاف الصليب

٥ – وفي ح ٦٣ هذه الاضافة الدخيلة : « اسرع وتعال اتبارك من هذا الكوكب المضي . ولوقتها اطوت الكتاب وارسلته مع خامس عشر فارس وساروا حتى وصلوا الى روميه الى عند الملك قسطنطين . وقرى الكتاب وفهم ما فيه وما ذكرته امه من اجل الصليب المعظم وكيف وجدوه . وكيف كان خروجه من المزبلة والعجايب الذي صارت [٦٦] . فلما فرغ من قرية الكتاب . امر ان ينادوا في مدينة رومية يا معاشر النصارى قد امر الملك ان تمضوا الى اورشليم لتسجد للصليب وتتبارك منه . فلما اصبح الصباح شدت العساكر والجيوش وخرجوا سايرين ليلهم ونهارهم حتى وصلوا الى مدينة اورشليم . فلما سمعت امه . . . »

٦ – وفي ح : ٦٦ يضع قبل كلمتي معطي الحياه هذه الفقرة الدخيلة : « واما العساكر

وكان الاساقفه والذين يرتلون ماشيين قدام الملك وهم يرتلوا بتسابيح روحانيه الى ان وصلوا الى داخل المدينه . فلما دخلوا الى باب المدينه . قالوا هذه التسبحه . افرحي يا صهيون مدينه الملك العظيم يسوع المسيح . فهوذا الملك وعظايه قد اتوا اليك فارحين وهم يمجّدون الملك الرب[1] الذي ملك على العود .

وان الملك مضى الى الموضع الذي كانوا يعملوا [٢٤٥] فيه . فدخل الى القبر وسجد قايلاً ووجه على الارض . اشكرك يا وحيد الاب من اجل انك جعلتني مستحق ان اسجد في المكان الذي جُعل جسدك فيه . وابصر المواضع كلها الذي يصفوها[2] اليهود . ومضى الى موضع الاقرانيون موضع صُلب الرب فيه . فسجد ايضا عليه .

١٠ ـــ بناء الكنائس

١ – تنظيم العمل – وبعد ذلك اخذ الصليب وجعله داخل القبر حتى يبني لـه

والجيوش تقدموا الى الصليب ونكسوا روسهم وسجدوا له وتباركوا منه . وقال قسطنطين الملك انا مومن فيك يا ابن الله الذي وهبت لي هذا الصليب الذي فيه اغلب اعداي وفيه اسحاق (اسحق) الشياطين [٦٥] جميعهم قدامي وهذا الصليب الذي بصره موسى النبي في فردوس الربّ في شبه الشجره الذي كل الدنيا مستوره تحت ظلاله هذا الصليب هو علامة دين النصرانية . هذا الصليب مقوي الضعفا . هذا الصليب هو غلبه على ابليس . هذا الصليب هو سلاح القديسين . هذا الصليب هو فزع الشياطين . هذا الصليب هو فرح الادميين . هذا الصليب هو مقاتل الاعدا . هذا الصليب هو سيف الرهبان . هذا الصليب هو حافظ الاطفال . يا اخوة الصليب المقدس هو زينة النصارى . هذا الصليب هو قوة الدنيا . هذا الصليب يفتح الابواب المغلقة . هذا الصليب هو الذي يغلق الابواب في وجه الخطاه . هذا الصليب هو الذي يقود القديسين الى ملكوة السما . هذا الصليب هو يحفظ العذارى من قتال الشياطين . هذا الصليب زين الصبيان . هذا الصليب هو لنا مثل الصيره على الغنم . هذا الصليب [٦٦] يحفظنا من فخ الخطيه . وفي ذلك الوقت صاح في اعلا صوته وقال تعالوا ايها الشعوب المومنين بالمسيح حتى نضع هذا الصليب على عيوننا وعلى روسنا وعلى مناصلنا فانه لنا مثل السور على المدينه هذا الصليب يحفظنا من الشياطين . فيجب علينا يا اخوه ان نسبح المسيح ابن الله فانه افدانا بصليبه المقدس معطي الحياة . وايضا انت المخلص في هذا العالم تعطي القوه للذين يطلبونك . فلما فرغ الملك من هذا الكلام وكانوا الاساقفه والذين يرتلون . . . »

١ – في ح سقطت كلمة « الملك »

٢ – في ح ٦٧ : « وصفوها »

كنيسة كاستحقاقه . وقال للاساقفة . اني ابني مدينـه جديده . في الموضع الذي حطوني من السحابه لما خلصني الرب من الفرس . لما ارادوا ان يقتلوني[١] . وايضا ابني كنايس لتمجيد المسيح وصليبه المقدس . فقالوا لـه الاساقفه الرب يحفظ تاجك بقدرته زمان طويل بالسلامه . يا ايها الملك حتى تكمل ما قد ضمرت به . وانه جعل صناع في جميع الكنايس وكل واحد منهم في صنعته وشغله . وجعل اساقفه على الاجرا كلهم[٢] . واعطا ايضا لوالدته اموالًا كثيره من عنده[٣] لتنفق منهم على بنيان الكنايس[٤] [٢٤٦] وامر ان ياتوا اليهم باشيا كثير من اصناف الحجاره الكريمه من البلور وغيره . ومن جميع الاخشاب الزكيه . من العاج وغيره . والنحاس والفضه . ورصاص كثير جدا . حتى يحصَنوا[٥] جميع الاماكن .

٢ — كنيستا القيامة والصليب — وسلّم الامر لوالـدته في اورشليم حتى تبني الكنيسه موضع المقبره[٦] ويدعوا اسمها القيامه المقدسه[٧] المحييه بالسلام . وتبني كنيسه اخرا وتدعوا اسمهـا على اسم الصليب . حول الاقرانيون[٨] . وجعل الابواب من هناك . ورجع الى مدينته بسلام وهو[٩] يمّجد المسيح وصليبه المقدس .

---

١ — لعله يشير الى الملائكة الذين رآهم شاهر بن السلاح يطاردون عدوه .

٢ — كلف مكاريوس اسقف اورشليم الاشراف على زخرفة كنيسة القيامة ، كما مر بك القول

٣ — وضع تحت تصرفها خزينة المملكة كما سبق القول . وفي ح : « من ماله »

٤ — اخبرنا المؤرخ اوسابيوس (ك ١ ف ٣ ع ٤١) انها بنت ايضاً كنيستي بيت لحم وجبل الزيتون

٥ — لعله يريد « يحسّنوا »

٦ — ترى ان القديسة هيلانة اشرفت فقط على بناء هذه الكنيسة ولم تتم بناءهـا كما فعلت في كنيستي بيت لحم وجبل الزيتون

٧ — اناستازيس

٨ — تضم الان الكنيسة قبر المسيح ، وغربا على رمية حجر معبد الجلجلة . وفي اسفله على عمق نحو عشرين متراً كنيسة الصليب حيث اكتشف الصليب حسب الرواية الحديثة

٩ — في ح ٦٨ : « وهو مبتهج بمجد الصليب »

وارسل الى يورشليم جميع ما يحتاجون اليه . وكانوا العالين كثيرين جداً . حتى انك تقول انهم اكثر من الذين كانوا يعملون في هيكل سليمان في ذلك الزمان . فكملوا الكنايس المقدسه . وزينوهم بكل حسن . وعادوا تمثل ملك السما في حسنه . وكرّزهم انبا يوسف اسقف المدينه . ومعه اساقفه كثير ارثوذكسيين[١] جاو لتجديد الصليب المقدس[٢] . واليوم الذي كرّز فيه كنيسة القيامه في الرابعشر من شهر ايلول[٣] الذي هو يوم ظهور الصليب المقدس والقبر [٢٤٧] المجيد .

٣ — صليب النور وجوذا — وعمّدوا يهوذا هو والذين معه على يدي الاب انبا[٤] يوسف . وعاد هذا يهوذا رجلاً مصطفى جمع كثير من الامم واليهود وتعمّدوا . ولما كان الوقت ليكملوا القرابين المقدسه . ظهر صليب نور من على مقبرة يسوع . وكان ذلك من اول النهار الى الساعة التاسعه[٥] منه . وكل الامم الذين في اورشليم . وما حولها . كانوا ينظروه . وطلع الى السما . في الساعة التاسعه . وكل احد ينظر اليه . وكانوا بحزن قلب قايلين في نفوسهم انهم لا يعاينوه دفعه اخرى . فلما كان الغدّ وقت الصبح جاو الى المقبره يصلّوا . فرآو صليب اخر داخل القبر وهو يلمع كالبرق . فلما راا الاب انبا يوسف هذا الامر والاعجوبه كتب هو والملكه كتاب الى الملك قسطنطين ليعلمه ما كان[٦] . وانه لما سمع ذلك مجد الله وصليبه المقدّس . ومن بعد هذا تنيّح

---

١ — جاء في اوسابيوس (ك ١ ف ٤ ع ٤٥) ان تدشين الكنيستين كان في سنة ٣٣٥ بحضور الاساقفة العائدين من مجمع صور

٢ — لعله يريد « لتمجيد »

٣ — في ح ٦٩ : « من شهر توت » والاصح كما جاء في ق ١ « السابع عشر من شهر توت » الموافق للرابع عشر من ايلول

٤ — وفي ح : « الاب الارثذكسي » . وفي الاساطير السريانية ان الملكة هيلانه استدعت اوسابيوس اسقف رومية فعمد يهوذا

٥ — على الحساب الشرقي اي الثالثة بعد الظهر

٦ — يظهر ان هذه الاعجوبة غير التي ظهرت في بدء اسقفية القديس كيرلس حوالي سنة ٣٤٨ وكتب عنها رسالة الى قسطنس ابن قسطنطين . ولعل هذه الفقرة دخيلة او محرفة

القديس الاب انبا يوسف . واقاموا عوضه يهوذا . وهو الخامس عشر من بعد الابا الرسل في الختان[1] . وعاد يهوذا في اسقفيتـــه مكرم من اجـل امانته الارثذكسيه . ولما تنيّح ايضاً يهوذا . اخذ اسقفيته . واحـد يقال له [٢٤٨] مرقوس . وهو اول من عاد اسقف لاورشليم . بغير ختان .

١١ — عبادة الصليب

١ – كيفية عبادة الصليب – وانا قلت هذا لمحبتكم[2] يا احباي . حتى اعرّفكم كيف معنى تعبدكم لظهور الصليب في الرابعشر من شهر ايلول[3] . وهوذا الان الامر ظاهر من القول الـذي قلته لكم ان ظهور الصليب هو في الرابعشر من شهر ايلول[4] . وتجديد الكنيسة المقدسة كنيسة القيامه ايضاً الرابعشر من شهر ايلول[5] . وهولاي شرحناهم لكم لتمجيد المسيح وصليبه المقدس . والان

---

١ – في الاساطير السريانية ان الملكة اوعزت الى اوسابيوس اسقف رومية فسام جوذا اسقفاً على اورشليم باسم قرياقوس بعد وفاة الانبا يوسف . وسألت قرياقوس المذكور ان يبحث لها عن المسامير التي استعملت لصلب المسيح . فقصد الى المكان نفسه وصلى فظهر له نور فوق المكان المخبئة فيه وشاهد المسامير تلمع كالشمس فحملها الى الملكة التي صاغتها لجاماً لفرس ابنها يحرسه في الحروب . وتختم الاساطير بقولها « هذه هي حكاية اكتشاف الصليب للمرة الثانية سنة ٣٥١» مشيرة الى اكتشافها للمرة الاولى على يد بطرسية كما سبق القول . فانت ترى ان لا ذكر في ميمرنا لاسقف رومية ولا لقرياقوس ولا لاكتشاف المسامير التي سبق فقال انها خبئت مع الصلبان . ويذكر الميمر القبطي اكتشاف المسامير بالطريقة عينها على يد جوذا الذي تسمى قرياقوس . مما يثبت ان مصدر ميمرنا غير مصدرها ويرجح انه اقدم منها عهداً لانه لم يأخذ عنها

٢ – وفي ح ٧٠ : « لاخوتكم »

٣ – وفي ح : « شهر توت »

٤ – وفي ح ٧١ : « شهر توت على راي المصريين » وقد كتب ناسخ ب : « على راي شهور » ثم شطب عليها بيناج بكتبها كاملة . وهو من دلائل نسخ الاثنين عن اصل واحد ويبدد الظن الذي يطرق على الذهن في ان النص الحلي منسوخ عن نص بكركي الاقدم منه عهداً بقليل

٥– جاء في سياحة اثيريا الاسبانيولية ان الاساقفة ادمجوا عيد ارتفاع الصليب بعيد تدشين الكنيسة لان الصليب ظهر في اليوم المذكور . راجع كابرول ٣ : ٢١٤١ ولعل الساغة فهمت عكس الحقيقة . فالميمر هنا يقول انهم احتفلوا بتدشين الكنيسة يوم عيد ظهور الصليب . يؤيد

فلنكفّ ها هنا من القول تُقرِّب الى الاهتمام بالمعموديه المقدسه . والقربان في دفعه واحده[١] . لان الوقت قد اقترب . وايضا من اجل تعب الذين اتوا الينا اليوم الى هذا الموضع المقدّس[٢] . فمجّدوا الاله عمنوايل يسوع المسيح وصليبه المقدس المخلّص للذين يومنون به . يا احبايي لا نكون نعبد الصليب المقدس بتواني . ونوجد اننا نعبد المسيح بلساننا لا غير . ونبارك بافواهنا ونفكر بقلوبنا بكثرة الالهه الذي لـلامم الوثنيين[٣] . ايش هو الكلام ام ايش هو فكر القلب . وما هو اعتقاد اللسان . الا الايمان الكامل الذي من القلب[٤] .

٣ — التحذير من الاريوسيين — [٢٤٩] يقول بعض الحكما من اجل دابه في البريه يقال لها حملًا او فهدًا عظيم هايل جدا من قدامه يشبه الحمل . ومن خلفه يشبـه الثور . حتى انه يقطع قلوب الشجر العوالي . وياكلهم . ولوانه

هذا ما شرحه سابقاً عن ظهور الصليب اولاً في ١٤ ايلول واعتزام قسطنطين ثانياً على بناء كنيسة فوق الجلجلة حيث القبر ومكان الصلب . وتدشينها بعدئذ في ١٤ ايلول يوم ظهور الصليب .

فان صح هذا ، ونحن اقرب الى تصديق القديس كيرلس من السائحة اثيريا ، سقط البرهان الذي ادلى به الاب لكلير والقائلون قوله « ان الصليب لم يكتشف قبل سنة ٣٣٥ لانه ظهر في احد اعياد تدشين الكنيستين اللتين دشنهما الاساقفة العائدون من مجمع صور سنة ٣٣٥ المذكورة » راجع كابرول ٣ : ٢١٢٧ . ومع ذلك فكلام اثيريا لا يعني حتماً ان الصليب وجد بعد تدشين الكنيستين المذكورتين بل ان الصليب ظهر في اليوم الذي عُين لتدشينهما « لان صليب السيد وُجد في اليوم نفسه » quoniam crux Domini inventa est ipsa die فنفهم من هذا ان عيد التدشين عين في يوم ظهور الصليب لا بالعكس كما فهم الاب لكلير ومشايعوه

١ — جاء في المؤرخ سوزومين ان عيد التدشين اصبح من الاعياد الكبيرة التي يُمنح فيها سر المعمودية . وغاية القديس كيرلس من ادماج الحفلتين اكتساب الوقت الذي ذهب باطالة العظة . ولما كان اسقف اورشليم فقد كان من حقه الاشراف على نظام الحفلة وتغيير البرنامج عند الضرورة . راجع في عيد التدشين سوزومين مج ٢ ع٢٦ وكتاب فنسان وآبيل Vincent et Abel عن اورشليم مج ٣ ص ٢٠٤

٢ — هذا الاستدراك مع ما سبق ينفي تلفيق الميمر كما سبق لانه ابن ساعته .

٣ — هذا يدل على ان ظل الوثنية لم يتقلص بعد من الوسط الذي يعيش فيه سامعو العظة . مما يوافق اواخر القرن الرابع كما سبق القول

٤ — في ح : « او ايش الايمان الكامل الذي للقلب »

نقط[1] هذا هو نجس في قلبه وجسده . هكذا الهراطقه الغير مومنين . لا يثبتوا فكر واحد . يرفعوا القرابين على اسم المسيح . وهم يجعلوه انسان لا غير[2] . ان كان المسيح انسان وليس هو الاه يا ايها الهرطيقي . فلماذا تعبد انسان ولا تثبت بفكر واحد بعد قليل تقول المسيح ليس هو الاه[3] . ففضبك ايها الهرطيقي هي علامة الامانه الارثوذوكسيه الذي انت تهرب منها . وفكرك يقول انك تاكل من الاشجار الجيده والرديه . الذي هو انك تقرا في الاناجيل وتعرف كلامهم وتجعلهم كمثل قضيب الشيخ الكثير الغش تعكزوا عليها . فلا تذكروا يا احباي كلام الهراطقه . ولا تدخلوا كنايسهم . وتصلوا فيهم . لان ليس لهم كنايس[4] . لكن اجعلوا لكم فكر جيد . وامانه مكمله بالله . وصليبه المقدس . ونقول ونعترف بلساننا وقلبنا ان عمنوايل اله بالحقيقه . لانه هو الكاهن . [٢٥٠] وهو القربان[5] .

٣ – اعتاد اسحاق – وانت ايضا يا اسحاق السامري[6] الذي تريد ان تكون من قطيع سيدنا ايسوع[7] المسيح بالمعموديه الذي تاخذها بكلام الله[8] . وانت

١ – وفي ح ٧١ : « ولونـه نقط » اي منقط وهو اصح . والارجح انه يشير هنا الى الزرافة التي تأكل الاشجار العالي ولونها منقّط . ولم يكونوا يعرفونها في فلسطين بل يظنون انها خرافة وثنية

٢ – يقصد هنا الاريوسيين وهو من دلائل القاء الميمر في ابان استفحال امرهم بين اواسط القرن الرابع واواخره كما بينا سابقاً

٣ – اي اذا انكرت الوهية المسيح وعبدته في آن واحد اصبحت وثنياً تعبد انساناً بصفة اله

٤ – لم يكن الاريوسيون يرغبون في ان يتميزوا عن بقية المسيحيين لا بطقوس ولا بكنائس خاصة كما قلنا

٥ – فكرة متواردة في مواعظ القديس كيرلس كما قلنا

٦ – يعود القديس كيرلس الى تكميل قصة اسحاق السامري الذي اهتدى لما شاهد اعجوبة الصليب في بئر حقل بندوم

٧ – ايسوع حسب كتابتها في اليونانية

٨ – وفي ح : « بالمعمودية الذي تأخذها كلام الله او فتقول مع انبا وآكس الفس وانت تومن . . . » ولا معنى لهذه الزيادة

تومن بكل قلبك . فاقترب الى موضع الاعتقاد[١] لتاخذ بامـانه وطُهر . فان كنت تثبت رايك ونيتك وقلبك للمجي تعال . وتكمل ارادتك[٢] . فصرخ اسحاق بصوت عظيم وقال انا اومن واعترف بان المسيح يسوع ربي هو ابن الله الحي . وهو تجسَّد من مريم العذرى الطاهره . ووُلد في العالم وصلب عنا وقبر وقام في اليوم الثالث . وصعـد الى السموات . وجلس عن يمين الاب . وايضا ياتي بمجده العظيم ليدين الاحيا والاموات كل احد كاعماله[٣] . فلما آمن اسحق هكذا بقلب مستقيم وكل الذين معه تعمدوا باسم الاب والابن وروح القدس . ورجال ونسا كثير من الامم امنوا وتعمدوا في ذلك اليوم . ومجدوا الله وصليبه المقدس .

فعظيماً هو مجد الاهنا . والمجـد الذي لجنسنا . نحن النصـارى[٤] حتى نكون نشبه في جميع اعمالنا الذي نصنعها . ولنوافقه في كل حين . ونكرم الصليب المقدس من اجل الذي ارتفع [٢٥١] عليه سيدنا يسوع المسيح . الذي له المجد ولابيه الصالح وروح القدس الى ابد الابدين امين امين[٥] .

رحم الله من كتب ومن قرى ومن سمع وقال امين امين[٦] . . .

---

١ — وردت هكذا في كلتا النسختين ونظنها تحريف « الاعتاد » لتشابـه الميم والقاف في السريانية وهو من دلائل نسخ الاثنين عن نص آخر كرشوني .

٢ — وفي ح : ٧٣ « تعال لتهتم وتقول وتكمل ارادتك » ونصنا اصح

٣ — هذا النص مطابق لنص قانون الايمان القديم المستخرج من عظات القديس كيرلس والذي كان خاصاً بكنيسة اورشليم . وهو يقف وسطاً بين قانون مجمع نيقية سنة ٣٢٥ وقانون مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ . راجع مقالة الاب لباشله X. Le Bachelet في معجم اللاهوت لفاكان ٣ : ٢٥٤٠

٤ — قلنا ان المسيحيين القاطنين في اورشليم في القرن الرابع كانوا يدعون نصارى نسبة الى الناصرة وطن المسيح كما جاء في الاساطير السريانية

٥ — وفي ح ٧٤ يزيد : « وعلى الدوام امين »

٦ — هذه الجملة للناسخ

فهرس الاغلاط

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣	٥	الفشحاء	الفحشاء
٣	١٢و١٦	حماة	فاميه
٥	١٥	ويتدلى	يتدلى
٧	١٠و٢٠	حماة	فاميه
١٠	٢٠	طاتيه	كاتيه
١٠	٢٧	الاخير صفحة	الاخير ١٩٣٣ صفحة
١١	٤	هلمّوا	صلّوا
١٢	١	القبطية	بالقبطية
١٢	٢٠	عنه حضرة	عنه من حضرة
١٣	٢١	اله . . .	ال . . .
١٥	١١	ابن شقيقته	ابن ستيته
١٥	١٢	٥) الدوجي	٥) الدبس
٣٥	٢٢	٣: ع	٣ ق ٢ ع
٤٠	٨	بالصليب	بالقبر
٤١	١٢	كتيستين	الكتيستين
٤٧	١١	اي	او
٤٧	٢١	G. 1090	G. XX. 1090
٥٦	٦	اساقفة	٤ – اساقفة
٦٠	١٥	الرابعة	الرابع
٦١	٦	ذلك لا	ذلك مما لا
٦٣	١٦	الاهناسه	الاهناسه
٦٣	٢٦	βώκχος	βάκχος
٦٤	١٦	[illegible]	[illegible]
٦٨	٢٥	٤ ٢٨	٢٨١٤
٧٥	٢٤	الا اواسط	الا في اواسط
٧٦	٩	بعد القرن	في القرن
٧٨	٢٥	ويصفها	ويضعها
٨٣	١	اعتق	اعتق
٨٤	١١	والدة قسطنطين	والده قسطنطين
٨٥	١٠	حكمه	كله
٨٨	٧	يناصرها	يناصرها

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٩٠	٤	خلفه	سلفه
٩٠	٤	سنة ٣٦٢	سنة ٣٦١
٩٨	٩	وسندلي بذلك	وسندلي لك
١٠٠	١٤	بحفلة	بحفلات
١٠٣	٢٠	يعبرون جا بالفاء	يعبرون بالفاء
١٠٨	٢٤	وابداله	وابدله
١١٠	٢١	سريرة	شريرة
١١٩	٧	الارواح الارواح	الارواح
١٢٠	٢٢	دا‌ًا	دائمًا
١٢٢	١٢	وسرقوة	وسرقوه
١٢٢	٢٢	القديسين	التقديس
١٢٦	١٢	فصرح	فصرخ
١٣٠	١٨	بسكر	بشكر
١٣٢	٢٠	مثل	قبل
١٣٣	١٩	كلامه	كلام قسطنطين
١٣٤	٢٠	Holdar	Holder
١٣٥	٢٢	ܓܕܢܐ	ܓܕܢܐ
١٣٥	٢٢	ܒܕܗܒܐ ܘܐܘܡܝ	ܒܕܗܒܐ ܘܐܘܡܝ
١٣٥	٢٤	ܕܗܒܐ	ܕܗܒܐ
١٣٦	٦	فلما قسطنطين	فلما سمع قسطنطين
١٣٦	١٦	البندي	الجندي
١٣٧	٢٦	٢١٣	٣١٣
١٣٨	١٢	واقتصر	وانتصر
١٣٨	١٥	٣٦٧٤	٢٦٣٤
١٣٨	٢٤	مكشوفتان	مكشوطتان
١٣٩	٢٢	كريبوس	كريسبوس
١٤٠	٢٥	بوبيوس	بومبيوس
١٤٠	٢٦	اسبانوس	اسبسانوس
١٤١	١٢	تعيرت	تغيرت
١٤٢	٤	يصنعرا	يصنعوا
١٤٣	٢	تلف	قلق
١٤٣	١٦	اللمة	كلمة

فهرس المواد

توطئة

البحث الاول في نسخه واهميته

البحث الثاني الاعتراضات

البحث الثالث دلائل نسبته

نص الميمر

فهرس الأعلام



promesse qu'il leur fait, et qu'il ne tient pas, de ne plus s'écarter de son premier plan, sa décision finale, pour attraper le temps perdu, d'abréger les deux cérémonies du baptême et de la communion, qui précédaient celle de l'Hypsosis ; tous ces incidents et allusions font de cette homélie quelque chose de vécu, de naturel et de spontané, lui donnent une couleur locale et personnelle, et une vraie marque d'authenticité. Un discours apocryphe, préparé à tête reposée, en est naturellement dépourvu ; puisque son auteur a tout le temps d'éviter ces inconvénients.

O — Outre le titre de cette homélie, qui l'attribue à Saint Cyrille de Jérusalem, ce saint y parle à la première personne, se nomme plus d'une fois, raconte des faits, dont il a été témoin oculaire, comme la construction d'une église à 'Ain Dûm, qu'il a consacrée lui-même en l'honneur de la Sainte Croix.

P — Cette homélie a été prononcée le 14 septembre, fête de l'exaltation de la Sainte Croix, avant la cérémonie de l'Hypsosis. Comme le saint évêque y a parlé de la mort de Julien, arrivée en 363, et qu'il a passé depuis en exil les années allant de 367 à 378, il a dû la prononcer entre les années 363-367, ou 378-387, qui forment les deux périodes passées sur son siège après la mort de Julien.

Nous comptons donner bientôt une traduction française de cette homélie et de notre étude préliminaire ; avec l'espoir de voir ce discours admis un jour parmi les œuvres authentiques des Pères de l'Église.

Rome le 30 décembre 1934

P. Carali

جاء في فهرس الاغلاط صفحة ١٥٨ فجزا وجزا

صححها : فجزا وجزا

جاء في صفحة ٤ من النص الفرنسوي τό γνώρτομα

صححها : τό γνώρισμα

l'an 374, place l'homélie entre le milieu et la fin du IVᵉ siècle.

D — Ces deux sorties n'auraient pas de raison d'être, si l'homélie avait été prononcée à une époque postérieure.

E — Sa vive description de la mort tragique de Julien l'Apostat, arrivée en 363, montre que son impression vivait encore dans la mémoire de l'orateur et de ses auditeurs, et que l'homélie fut prononcée après cette date.

F — Ainsi est-il de sa nomenclature des Empereurs ennemis ou amis du Christ, qui commence par Dioclétien, continue par Constantin et se clôt par Julien.

G — L'absence d'allusion aux hérésies de Nestor et de Dioscore la place avant le premier tiers du Vᵉ siècle.

H — D'ailleurs, aucun anachronisme, ni aucune allusion à un fait dépassant le IVᵉ siècle.

I — L'auteur s'accorde avec la tradition rapportée par Saint Ambroise et Saint Jean Chrysostome (390-395), d'après laquelle la Sainte Croix a été retrouvée par sainte Hélène, et reconnue par l'écriteau ; et non pas par les invraisemblables miracles que les historiens du commencement et du milieu du Vᵉ siècle lui ont attribués.

J — L'auditoire est un auditoire palestino-chrétien, auquel se sont joints des pélerins accourus des pays voisins pour assister à la cérémonie de l'Hypsosis. Cet auditoire vit parmi trois éléments hostiles à sa foi : païen, de peu d'importance ; Juif, assez dangereux ; et arien très dangereux. C'est l'époque de Saint Cyrille.

K — Le prédicateur indique plus d'une fois le lieu où il prêche : la chapelle de la Sainte Croix, la basilique de l'Anastasis, dont elle fait partie, et le Saint Sépulcre.

L — Ses opinions exemptes des hérésies orientales : arienne, nestorienne, monophysite, et postérieures grecques, prouvent qu'il est catholique.

M — Le style, la méthode, les idées, et même les défauts, sont ceux de Saint Cyrille de Jérusalem. Des idées personnelles à lui, y sont reproduites presque littéralement. Les digressions, un de ses principaux défauts, y sont fréquentes. Il s'en excuse pour y retomber et s'excuser de nouveau, quitte à y revenir.

N — Ces excuses, jointes à ses allusions à l'affluence croissante des fidèles dans le sanctuaire, à la fatigue et à l'impatience qu'il remarquait sur leurs figures à mesure que son discours devenait plus long, la

Hélène, le soin d'activer les travaux de déblaiement, et ceux de la construction des églises ; et lui laissa, à cet effet, de grandes sommes d'argent ».

Les critiques qui nient l'intervention de sainte Hélène dans cette découverte et dans la construction de la Basilique du Saint Sépulcre, l'Anastasis, se fondent principalement sur le silence d'Eusèbe, et surtout sur celui de Constantin dans sa lettre à Saint Macaire, évêque de Jérusalem, lettre par laquelle il le félicitait de la découverte du Saint Sépulce et l'informait des dispositions qu'il a prises pour élever un sanctuaire digne de celui-ci. A cette objection, que dom Leclerq a résumée et appuyée de divers arguments dans son *Dictionnaire d'Archéologie Chrétienne*, nous avons répondu : 1° Le silence ne donne pas droit à la négation d'un fait, 2° Eusèbe n'a pas tout dit, et ses œuvres nous sont parvenues incomplètes. 3° L'expression *monumentum passionis* de la lettre de Constantin ne s'applique pas rigoureusement au tombeau puisque N. S. n'y a pas souffert. 4° Le mot τό γνώρισμα, que dom Touttée le traducteur reproduit par Migne, a rendu inexactement par « *monumentum* », ne s'emploie que dans le sens de « signe, marque ce qui reconnaître » ; qui indiquerait plutôt l'"instrument de la Passion : la Croix.

Or Eusèbe lui-même nous informe que Saint Macaire revint du Concile de Nicée (août 325), muni d'un ordre de Constantin lui permettant de démolir le temple de Vénus, qui surmontait le Saint Sépulcre; et que sainte Hélène vint en Palestine en 326, l'année même où on procéda au dit déblaiement, et au creusement des fondations de l'Anastasis ; et ne la quitta qu'en 329, quelques mois avant sa mort. Est-il invraisemblable qu'elle ait assisté à la découverte du Saint Sépulcre, dans lequel, comme le rapporte notre homélie, on trouva la Sainte Croix ? Constantin en apprenant cette nouvelle écrivit à Saint Macaire pour le féliciter de la découverte du « Signe de la Passion », auquel il devait son Empire.

Ceci admis, on pourra, pour la première fois fixer la découverte de la Sainte Croix en l'an 326 ; au lieu de la placer entre 335 et 347, comme le fait dom Leclercq sans raisons plausibles.

3° **Authenticité** — L'examen intrinsèque de l'homélie en indique l'époque, l'auditoire et l'auteur.

A — Sa description de la vénération publique et officielle dont la Croix était l'objet de son temps, indique que l'homélie a été prononcée avant l'occupation arabe de la Palestine (632).

B — Sa sortie véhémente contre les Ariens, indique l'époque où cette hérésie était à son paroxysme (330-430).

C — Son autre sortie contre l'hérésie de Marcel d'Ancyre, qui niait l'éternité du règne de N. S., hérésie presque éteinte à sa mort, en

NOTICE SUR CET OUVRAGE

1° Texte — Le texte de cette homélie, que nous avons eu le bonheur de découvrir en 1930, dans un manuscrit transcrit en 1557, conservé aux Archives du Patriarcat Maronite au Liban, est une traduction arabe exécutée au moyen âge par un Syrien Jacobite d'Égypte, d'après un texte Syriaque, traduit lui-même du Grec, langue dans laquelle nous sont parvenues les œuvres de Saint Cyrille. Les traces que ces deux langues ont laissées dans notre texte sont apparentes.

Un autre texte arabe, conservé aux archives de l'évêché maronite d'Alep, transcrit en 1558, concorde littéralement avec le nôtre, même dans les fautes d'orthographe : ce qui indique une source commune ; mais il en diffère par l'addition de passages apocryphes.

Notre homélie diffère des Légendes Syriaques publiées, en 1880, par A. Nestle, d'après les manuscrits du *British Museum*, et de la Bibliothèque Nationale de Paris ; elle est plus sobre dans les détails et plus vraisemblable. Elle est, aussi, plus ancienne que ces légendes, dont les manuscrits datent du commencement et de la fin du Ve siècle.

2° Objet — Cette homélie nous fournit de précieux détails sur les grands faits de l'histoire de l'Église au IVe siècle, et sur les célèbres solennités de l'exaltation de la Sainte-Croix, Hypsosis. C'est, aussi, un écho lointain des traditions palestiniennes sur les contemporains de N. S. et leur degré de parenté avec lui. Elle nous transmet en outre des enseignements non moins précieux du grand Docteur du IVe siècle sur les dogmes de l'Incarnation et de la Rédemption :

« Le Christ-Roix a vaincu le démon en délivrant de ses mains ses amis et ses sujets. Il a confondu les Juifs par sa Résurrection et les miracles de son Saint Sépulcre. Il a triomphé des empereurs persécuteurs de son Église, par le signe de la Croix. En effet Constantin, qui l'aimait, la veille de la bataille qui le plaça sur le trône de l'Empire Romain, vit dans une insomnie le signe de la Croix briller au firmament. Il attacha sur sa lance une croix d'or et obtint sur ses ennemis une victoire décisive. Pendant leur fuite il aperçut des anges qui les pousuivaient l'épée à la main ». Ce récit, comme on le voit, évite les objections faites à ceux de Lactance et d'Eusèbe sur cette vision, dans lesquels on relève des invraisemblances et des contradictions.

« Par reconnaissance, Constantin accorda à l'Église pleine liberté de culte, la combla de faveurs et entreprit des recherches sur le Saint Sépulcre et le bois de la Sainte Croix. Il ordonna aux Juifs de déblayer le tombeau de N. S., dans la grotte duquel on découvrit les trois croix que Nicodème et Joseph d'Arimathie y avaient cachées. Celle de N. S. fut reconnue par l'écriteau qu'elle portait encore. Absorbé par les affaires de l'Empire. Constantin avait confié à sa pieuse mère, Sainte

La Revue Patriarcale 9e Année Janvier-Mars 1934

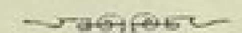
L'EXALTATION DE LA SAINTE CROIX

HOMÉLIE ATTRIBUÉE

à

SAINT CYRILLE DE JÉRUSALEM

313-387



PUBLIÉE POUR LA PREMIÈRE FOIS ET ANNOTÉE

PAR

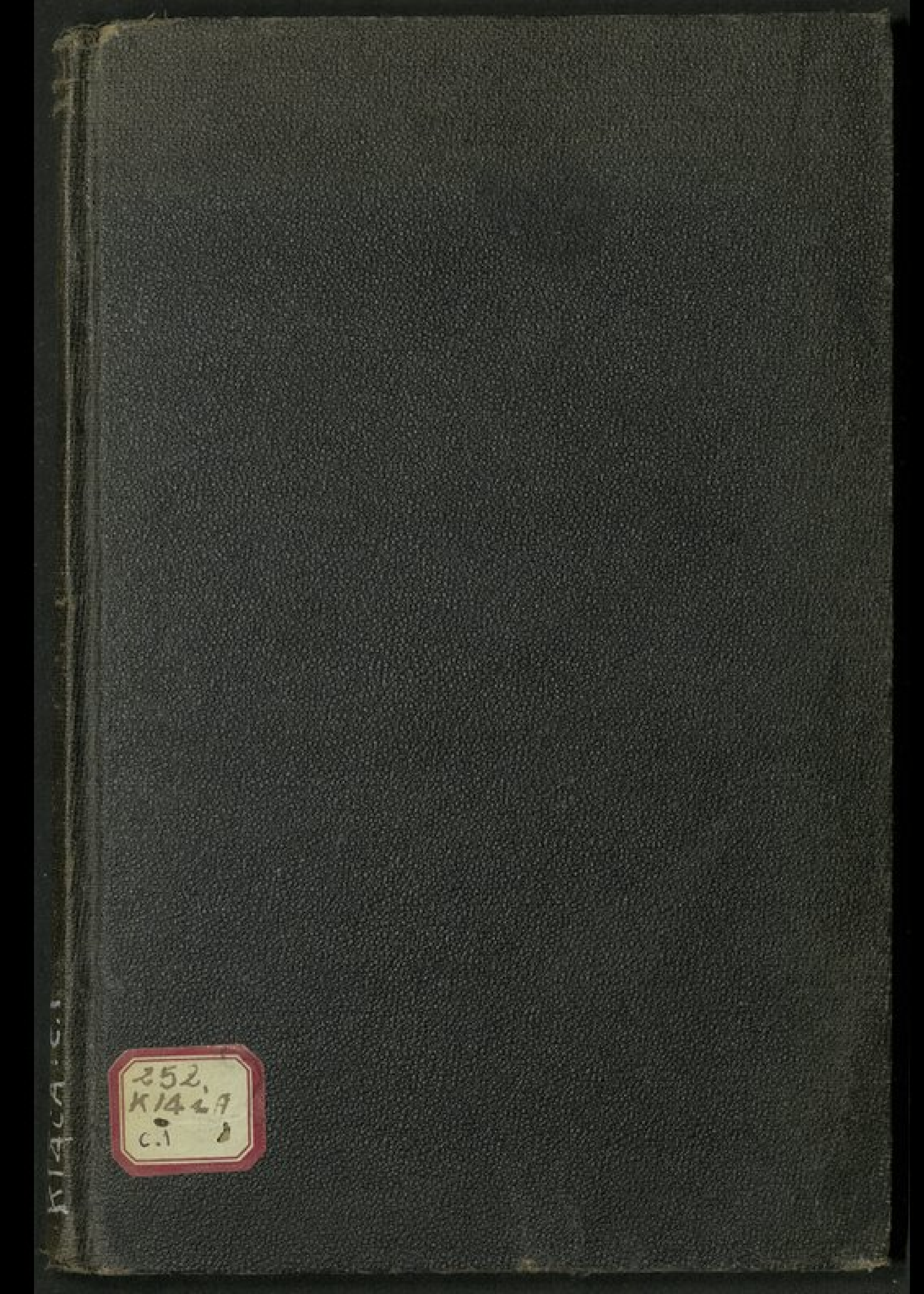
L'abbé PAUL CARALI

Directeur de la Revue Patriarcale

IMPRIMERIE CATHOLIQUE

Beyrouth 1934


AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
الجامعة الاميركية في بيروت


252
K14 a
c.1